سلسلة الرسائل الجامعية (٣٣)

جهود وفتاوى
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
رحمه الله

في الدعوة والاحتساب

يحتوي هذا الكتاب على ٣٠٠ فتوى للشيخ رحمه الله

إعداد
منى بنت عبد الرحمن آل الشيخ
المحاضرة بكلية الدعوة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدي النبوي
مصر

توزيع
دار الفضيلة
السعودية

سلسلة الرسائل الجامعية (٣٣)

جهود وفتاوى
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
رحمه الله
في الدعوة والاحتساب

يحتوي هذا الكتاب على ٣٠٠ فتوى للشيخ رحمه الله

إعداد
منى بنت عبد الرحمن آل الشيخ
المحاضرة بكلية الدعوة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدي النبوي
مصر

توزيع
دار الفضيلة
السعودية

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

النَّاشِر

دَارُ الهَدْيِ النَّبَوِيِّ

مصر - المنصورة

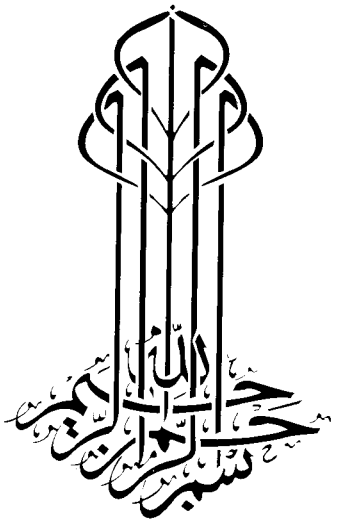
تَوْزِيع

دَارُ الفَضِيلَة

الرياض ١١٥٤٣ - ص.ب ٥١١٤٢

تلفاكس ٢٣٣٣٠٦٣

جهود وفتاوى
الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
رحمه الله
في الدعوة والاحتساب


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾(٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيد الأولين والآخرين ، الذي بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد بعث الله تبارك وتعالى رسله مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط، فيؤدوا ما أوجبه الله عليهم من حقوقه، وحقوق دينه وعباده ، فبلغوا عليهم الصلاة والسلام رسالة ربهم، وأدوا الأمانة ، ونصحوا أممهم ، وقد كان أبلغهم بياناً وأعظمهم معجزة وأعمهم رسالة خاتمهم محمد ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات : ٧٠-٧١ . هذه الخطبة هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوها بين يدي كلامهم في أمور دينهم . سنن أبي داود ، كتاب : النكاح ، باب : في خطبة النكاح ، ج٢ ص٢٣٨ رقم الحديث ٢١١٨ . حديث صحيح ، انظر زوائد السنن على الصحيحين ، جمع وترتيب : صالح أحمد الشامي ، ط١ (دمشق : دار القلم ، ١٤١٨هـ) ج٧ ص ٣٦٥ .

ثم بعد موته ﷺ خلفه في الدعوة إلى هذا الدين ، ورثته من بعده وهم الصحابة رضوان الله عليهم والعلماء المصلحون رحمة الله عليهم ومن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم وترسم خطاهم ، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم .

وعلى مر العصور واختلاف الأيام، يُقيض الله لهذا الدين العلماء الذين يقومون بإرشاد الناس إلى الدين ، ويهدونهم إلى الصراط المستقيم عن طريق ما يبذلونه من جهود عظيمة في الدعوة إلى الله بواسطة الخطب والمواعظ والدروس والمؤلفات النافعة، وغير ذلك من الوسائل والأساليب التي يتحقق بها إقامة المجتمع الإسلامي ، فأمر هذه الأمة اليوم لن يصلح إلا بما صلح به أولها ، وصلاح أولها كان بالدعوة الحق إلى الله تعالى .

ومن هؤلاء العلماء الذين جاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الدين بالتعليم والنصح والإرشاد والإفتاء والاحتساب مفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها في حياته الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - في القرن الرابع عشر للهجرة - فقد بذل- رحمه الله حياته ، ونذر أوقاته لخدمة العلم ، وقد عرف منذ حداثة سنه برغبته القوية، وحرصه الشديد على تحصيل العلم، فكان باذلاً له حياته صارفا فيه أوقاته، زاهداً في كل ما يشغله عن العلم والتعلم والدعوة إلى الله .

دعا إلى الله على بصيرة متبعاً بذلك سبيل نبي الرحمة الذي بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبذل وسعه وطاقته لإرشاد الخلق حتى نفع الله به الكثير من أبناء هذه المملكة، وغيرهم من سائر البلاد الأخرى .

ولما كان على كل باحث أو باحثة في الدراسات العليا أن يقدم بحثا في مجال تخصصه ، فقد رأيت بعد التوكل على الله واستشارة المختصين في هذا الفن ، أن أقوم بدراسة علمية لجهود وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في الدعوة إلى الله تعالى وذلك للأسباب التالية :

١- أن البحث في هذا الجانب المطروح، يناسب تخصصي الدراسي في قسم الدعوة والاحتساب .

٢- أن التعرف على الجهود الدعوية للعلماء له الأثر الأكبر الذي يجعل طالب العلم سائراً على ما كان عليه العلماء من تعلم للعلم، وعمل به، ودعوة إليه .

٣-أن شخصية الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - شخصية فذة ، تستحق من الباحثين الاهتمام بها ، لما له من جهود عظيمة في الدعوة إلى الله كالتدريس ، والإفتاء، والإمامة والخطابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة المطبوعات، وتعيين الأئمة والمؤذنين، وبعث الدعاة وغير ذلك .

٤- أن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - هو مفتي الديار السعودية في عهد الملك عبد العزيز والملك سعود والملك فيصل -رحمهم الله جميعاً-. ومما لا شك فيه أن مرتبة الإفتاء مرتبة عالية لها أثر كبير في نشر الدعوة ، وتصحيح العقائد، وربط الناس بالدين في شتى مجالات حياتهم الأسرية، والاجتماعية، والاقتصادية .

٥- طول الزمن الذي قام فيه بالدعوة إلى الله، حيث أمضى خمسين عاما - من عام ١٣٣٩هـ إلى عام ١٣٨٩هـ - في تعلم العلم النافع ، ثم تعليمه والدعوة إليه، والحكم به .

٦- أن هذا البحث محاولة لإعطاء هذا البحر من العلوم، وهذا الجبل في الثبات، وهذا المجاهد الصابر في سبيل مصلحة هذه البلاد ما يعتبر جزءًا من الاعتراف بفضله ومساعيه المشكورة في كل أعماله العلمية والقضائية والتعليمية والإصلاحات الاجتماعية.

أولاً: الدراسات السابقة: من الممكن تقسيم الدراسات السابقة إلى ثلاثة أقسام :

أولا: الدراسات السابقة :

١- بحث بعنوان : "**منهج الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله - في الدعوة إلى الله**". إعداد: *عبد الحميد بن عبد العزيز الغليقة*

وهو بحث تكميلي من متطلبات نيل درجة الماجستير مقدم لقسم الدعوة والاحتساب بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة (سابقاً) ، كلية

الدعوة بالمدينة المنورة (حالياً) عام :١٤٠٨هـ .

وهذا البحث مكون من مقدمة وفصلين وخاتمة، تناول الفصل الأول ترجمته وحياته، أما الفصل الثاني تناول فيه منهجه في الدعوة .

٢- بحث بعنوان : "**حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره**"

إعداد : معالي الشيخ *الدكتور صالح بن عبد الرحمن الأطرم* - د. *عبد الله بن موسى العمار* ، وهو من ضمن البحوث التي طبعت بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١١هـ ويتكون البحث من مقدمة وأربعة أبواب :

الباب الأول: عن حياة الشيخ العامة، والباب الثاني عن حياته العلمية، والباب الثالث عن أعماله وجهوده ، والباب الرابع عن وفاته وآثاره .

وقد تم التركيز في هذا البحث على نماذج من رسائله ومكاتباته ونصائحه، وما تدل عليه، إضافة إلى الكتب التي امتدحها الشيخ وذمها، مع ذكر نبذة موجزة عن كل كتاب .

٣- بحث موجز بعنوان : "**محمد بن إبراهيم آل الشيخ**" إعداد: *معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ*

منشور في مجلة الدارة ، العددان: الثالث والرابع - السنة الرابعة والعشرون عام ١٤١٩ هـ بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، وتناول هذا البحث حياته العلمية والعملية وجهاده في نشر الدعوة إلى الله، وثناء العلماء والأدباء والمثقفين عليه .

ثانيا : مؤلفات مختصرة عن الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- :

١-"**الشيخ محمد بن إبراهيم وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية**" تأليف: *الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل*، وطبع على نفقة : الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، عام: ١٤٠٦هـ.

وهو كتاب محدود الصفحات، تناول فيه مؤلفه تعريفاً موجزاً بسيرة الشيخ وأثر مدرسته، وبعض تلاميذه وأثرهم في النهضة الحديثة، كالشيخ عبد الرحمن بن

قاسم والشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهم الله جميعا، بالإضافة إلى نماذج لبعض تلاميذه الأحياء .

٢- "**عالم جهبذ وملك فذ**" تأليف الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، ذكر مؤلفه نبذة موجزة عن حياته وبعض أعماله وصفاته ومؤلفاته.

ثالثا: مشاريع الدراسات العلمية المسجلة في بعض الجامعات:

٣- رسالة دكتوراه بعنوان : " فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وتقريراته وأثرها في الفقه الإسلامي " مقدمه من الباحثة : وفاء بنت سعد الراشد. كلية الآداب بالرياض ، قسم الدراسات الإسلامية ، تناولت أثر فتاوى الشيخ وتقريراته المتعلقة بقسم الطهارة فقط، فهي دراسة فقهية تخصصية .

ومما سبق : يتضح وجود عدد لا بأس به من الدراسات السابقة، إلا أنها تتصف بالإيجاز أو التركيز على ناحية معينة من حياة الشيخ ، دون التحليل العلمي الكافي لها من منظار الدعوة إلى الله ، لذلك فان هذا البحث يهدف إلى إبراز ناحية معينة من نواحي حياة الشيخ، هذه الناحية هي التي تتعلق بالجهد الذي قام به في الدعوة إلى الله، من خلال أعماله وفتاواه ورسائله ونصائحه وخطبه التي تتعلق بالدعوة والاحتساب، وبيان منهج الشيخ -رحمه الله- في ذلك .

ثانيًا: تساؤلات البحث تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات من أهمها :

١- ما أهم العوامل المؤثرة في بيئة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله- وعصره على توجهه العلمي والعملي ؟

٢- ما جهود الشيخ - رحمه الله - في الدعوة إلى الله عز وجل ؟

٣- ما جهود الشيخ - رحمه الله - في الاحتساب ؟

٤- ما آثار جهود الشيخ - رحمه الله - في الدعوة والاحتساب ؟

٥- ما أوجه الاستفادة من تلك الجهود في الدعوة والاحتساب ؟

ثالثًا : منهج البحث :

أولاً : المنهج التاريخي: وهو ما يمكن به إجابة سؤال عن الماضي بواسطة مجهود

علمي كبير يبذله الباحث ، متمثلا في محاولته لاستنتاج العلاقة بين الأحداث، والربط بينها، مستندا في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه[١].

ثانياً : المنهج التحليلي: يعتمد هذا النوع على جمع المعلومات التي تتعلق بأي شرط كان، ثم تحليلها، أي تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها، لتقرير ذلك المقرر أو تعديله أو استبداله[٢] .

ثالثاً : قمت بعزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم .

رابعاً : إذا كان الحديث في الصحيحين (البخاري ومسلم) فأكتفي بذلك، أما إذا كان وارداً في غيرهما فاجتهد في البحث عن حكمه في الكتب المختصة بذلك حسب .

خامسًا: ترجمت للأعلام الواردة في الكتاب.

سادسًا: فيما يتعلق بالاقتباس، فقد اتبعت طريقتين:

الطريقة الأولى: الاقتباس المباشر:وهي نقل الفكرة أو المعلومة من مصدرها كما وردت في النص الأصلي الذي رجعت إليه من غير تعديل. كما التزمت الدقة في النقل وذلك بوضع النص المقتبس بين علامتي تنصيص ( ).

الطريقة الثانية: الاقتباس غير المباشر: فقد اعتمدت على نقل الفكرة من مصدرها بالمعنى وليس بالنص من دون استخدام علامتي التنصيص ومسبوقة بكلمة: انظر.

سابعًا: قمت بتوثيق المصادر والمراجع في الحاشية وذلك بذكر كامل بيانات المراجع.

---

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، د. صالح العساف ، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـ) ص٢٨١

(٢) مناهج البحث وكتابتها ، د. يوسف القاضي ، (الرياض : دار المريخ ، ١٣٩٩هـ) ص٨٩ .

رابعًا: خطة البحث

المقدمة: وتشتمل على :

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره
- التعريف بمصطلحات عنوان البحث
- الدراسات السابقة
- تساؤلات البحث
- منهج البحث
- تقسيمات البحث

الفصل التمهيدي : عصر الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – وترجمته :

المبحث الأول : عصر الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –

المبحث الثاني : ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله –

الفصل الأول : جهود الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– في الدعوة إلى الله تعالى :

المبحث الأول : جهوده في مجال التعليم

المبحث الثاني : جهوده في مجال القضاء

المبحث الثالث : جهوده في مجال الإفتاء

المبحث الرابع : جهوده في اعمار المساجد والإشراف عليها

المبحث الخامس : جهوده في إنشاء المكتبات العامة

المبحث السادس : جهوده في كتابة الرسائل والمؤلفات

المبحث السابع : جهوده في مجال الإعلام

المبحث الثامن : جهوده في النصيحة لولاة الأمر

المبحث التاسع : جهوده في الدعوة إلى الله خارج المملكة

الفصل الثاني : جهود الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– في الاحتساب

المبحث الأول: جهوده في الاحتساب على الوجهاء والأعيان

المبحث الثاني: جهوده في الاحتساب على العامة

المبحث الثالث: جهوده في الاحتساب على أهل الأهواء والشبه

المبحث الرابع : جهوده في تنظيم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الخامس: تشجيع المحتسبين وإعانتهم والدفاع عنهم

الفصل الثالث : آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– في الدعوة والاحتساب وأوجه الاستفادة منها .

المبحث الأول : آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– في الدعوة .

المبحث الثاني : آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في الاحتساب

المبحث الثالث : أوجه الاستفادة من جهود الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في الدعوة والاحتساب

الخاتمة.

الفهارس.

ومن باب **من لا يشكر الناس لا يشكر الله** كما قال النبي ﷺ فإنني أتقدم بالشكر لكل من ساهم في هذه الرسالة وأخص بالذكر والديَّ الكريمين أدام الله لهما الصحة والعافية وزوجي أبا عبدالله على صبره ودعمه المتواصل لي حتى نهاية الرسالة وكذلك أستاذي المشرف الدكتور/ حمد العمار وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الذي يم يبخل عليَّ بتوجيهاته وإرشاداته التي أفادتني كثيرًا أسأل الله أن ينفع بهذا البحث الإسلام والمسلمين وأن يجعله في موازين الحسنات يوم العرض على رب الأرض والسموات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منى بنت آل الشيخ

الفصل التمهيدي

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

- رحمه الله -

عصره وترجمته

المبحث الأول: عصر الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –

المبحث الثاني: ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله –

المبحث الأول

عصر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله

المطلب الأول: الحالة السياسية والدينية

عاصر الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- تأسيس المملكة العربية السعودية وتوحيد أجزائها بمراحلها الثلاث ، فالمرحلة الأولى تبدأ من فتح الرياض عام ١٣١٩هـ حتى انضمام حائل عام ١٣٤٠هـ[١]، حيث انشغل الملك عبد العزيز -رحمه الله - في تلك الفترة بمعاركه مع خصومه ، وتأديب القبائل التي تخرج عن طاعته ، حتى أرغم أكثرها على الطاعة والانقياد ، وراح يؤسس الهجر للبادية، ويهتم بأمورهم، ويقدم لهم المساعدات ، حتى سكنوا إلى الراحة والاستقرار ، وارتاح الملك عبد العزيز من مشاكلهم ، وتمردهم عليه وتعرضهم للقوافل ، وإن كان قد تحمل بتوطينهم التزامات مالية تدعمهم ، وكذلك تحمل حمايتهم من خصومهم المحليين كابن رشيد والشريف حسين في شمال نجد والحجاز ، وكحكام اليمن في الجنوب بمنعهم من مضايقة رعاياه الأدارسة ، وآل عايض في تهامة عسير[٢]، كما تمكن - رحمه الله- من القضاء على الدولة العثمانية ، التي جعلت الأحساء قاعدة لأعمالها السياسية والعسكرية[٣]، هذا بالإضافة إلى الحصار الاقتصادي ، إذ عملت على تضييق تجارة نجد بواسطة الحجاز وعرقلة مسيرتها بين نجد والكويت بواسطة القبائل المعادية[٤]

.

وقد وصف المؤرخون تلك المرحلة بأنها حجر الأساس لهذا الملك الواسع،

---

(١) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد ناصر الشثري ، ط٢ (١٤١٨هـ) ج١ ، ص٧

(٢) المملكة العربية السعودية مسيرة دولة وسيرة رجال ، غالب عوض العتيبي (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٤١٩هـ) ص١٣٧.

(٣) عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الاسلامية ، عبد العزيز شرف ومحمد ابراهيم شعبان ، ط١ (القاهرة : ١٤٠٣هـ) ص٢٦١ .

(٤) قلب جزيرة العرب ، فؤاد حمزة ، ط٢ (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ١٣٨٨هـ) ص٣٧٦ .

فهي ركيزة الانطلاق في مسيرة البناء [١] .

والمرحلة الثانية ، تشمل ما تم فتحه بعد انضمام حائل عام ١٣٤٠هـ وحتى توحيد المملكة عام ١٣٥١هـ ، حيث انتهى عهد الاشراف في الحجاز بعد ان تنازل الشريف حسين عن الملك لابنه علي عام ١٣٤٠هـ ، وخرج الى جدة تاركاً مكة المكرمة فدخلها الجيش السعودي في نفس العام [٢] .

وكان من أبرز معالم الإنجاز خلال هذه المرحلة إلغاء كافة النظم والقوانين التي كانت سائدة في الحجاز ، ولا تتفق مع الشريعة الإسلامية ، وكذلك إلغاء نظام المحاكمات العرفية العشائرية والقبلية ، والتي كان يعمل بها لدى أكثرية سكان البادية ، وحلت محلها الأحكام الشرعية ، وبدأ إعادة التشكيل للأجهزة الإدارية والمالية ، والتشريعية ، والتنفيذية في الحجاز يتجه نحو الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية .

والمرحلة الثالثة من عام ١٣٥١هـ حتى عام ١٣٧٣هـ [٣] ، حيث أخذت البلاد في التوسع والتطور ، وزادت الأعمال والمسؤوليات على الدولة خاصة بعد تحسن موارد الدولة المالية بعد انتظام تصدير البترول في نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٥هـ [٤] ، وقد اكتمل في هذه المرحلة توطيد دعائم المملكة ، وأصبحت قوة ذات شأن ، لها أثر كبير في خدمة الدعوة ، وكانت أمور الدولة وشؤونها بحاجة إلى تنظيم ، وإعادة ترتيب [٥] ، فمن أهم التعليمات الأساسية في تلك المرحلة :-

١- المملكة مرتبطة بعضها ببعض ، ارتباطاً لا يقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه .

٢- الدولة دولة ملكية دستورية ، اسلامية مستقلة في داخليتها وخارجيتها.

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ، ص٧٥ .

(٢) انظر : تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ، ابراهيم العتيبي ، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٤هـ) ص٩٤ .

(٣) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ، ص٨٩ .

(٤) المملكة العربية السعودية مسيرة دولة وسيرة رجال ، غالب العتيبي ، ص١٤٧ .

(٥) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١، ص٨٩ .

٣- إدارة المملكة بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، وهو مقيد بأحكام الشرع .

٤- جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم [١] .

يتبين مما ذُكر آنفاً أن الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- عاصر فترة الجهاد الكبرى من أجل توحيد المملكة ، وعاش صراعاً بين الحق والباطل ، بين الدعوة إلى التوحيد والتمسك بكتاب الله ، وبين أوضاع التمزق والتشتت والتنافس ، وصراعات النفوذ بين إمارات شاعت فيها الفوضى ، والخرافات ، والأباطيل ، وابتعد بعضها عن أسس دين الله الحنيف .

كما شهد الشيخ -رحمه الله - عملية التحول الكبرى في المجتمع عن الولاء لتلك الإمارات المتصارعة ، إلى الولاء لشريعة الله والالتزام باحترام سلطة سياسية واحدة ترعى مصالح الجميع ، وتسعى لخير كل أبناء هذه الأرض على السواء ، وهذه السلطة استندت في أسسها وتكوينها وشرعيتها على الشريعة الإسلامية ومبادئها المستمدة من نصوص القرآن ، وما لم يكن فيه فمن حديث رسوله ﷺ وعمله، وما لم يكن فيهما فمن قضاء أصحابه وسيرتهم ، وما لم يكن فمن منهج أهل العدل والعقل والسيرة الحسنة من سلف الأمة [٢]، فكان الملك عبد العزيز - رحمه الله- يرى أن صلاح حال المسلمين وتحقيق الانسجام بين مصالحهم لا يتحقق إلا بالتمسك بعقيدة السلف الصالح كما جاءت في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وفي ذلك يقول الملك عبد العزيز -رحمه الله -: "إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة فالمسلمون لا يعوزهم التجدد ، وإنما يعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح إذا صلح الرأس صلح الجسد ، وأمور الدين هي الرأس ،

---

(١) انظر ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ، عبد العزيز الأحيدب ، (الرياض : مطابع الإشعاع التجارية ١٣٨٨هـ) ص٢٦١ .

(٢) انظر الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، ط١ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩١هـ) ، ص٩٠.

فإذا استقام أمره أصلحت أحوالنا الدنيوية [١]، وكذلك قوله : (دستوري ، وقانوني ، ونظامي وشعاري دين محمد ﷺ، فإما حياة سعيدة على ذلك أو ميتة سعيدة)[٢] .

لذلك لم يكن للمملكة دستور وضعي ، وإنما اكتفت بالقرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين أساسيين للتشريع ، فسياسة الدولة مستمدة من التشريعات الإسلامية ، ومن واقع هذا المنطلق تكونت ملامح الدولة السعودية الثالثة التي نهجت منهجاً إسلامياً أسوة بالدولتين السعوديتين الأولى والثانية [٣].

وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في كثير من فتاواه يستنكر على من يطلب التحاكم بغير ما أنزل الله .

ومن أمثلة ذلك استنكاره على من يطلب إحالة دعواه من المحكمة إلى هيئات قانونية ما أنزل الله بها من سلطان ، وقد قال الله ﷻ في حق من يعدل عن حكم الله ورسوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [٤] .

وكذلك قول الشيخ -رحمه الله - (أما التحاكم إلى الجهات غير الشرعية فهو الحكم بغير ما أنزل الله ، وحاشا لحكومة دستورها كتاب الله وسنة رسوله أن تقر مثل هذا [٥] .

لهذا كان لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أكبر الأثر في استقرار الأمن

---

(١) انظر التحليل السياسي لفكر الملك عبد العزيز ، د. محمد السيد سليم (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) ج١ ، ص٢٣٩ .

(٢) جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة ، عبد العزيز آل الشيخ (الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٦هـ) ص٢٣ .

(٣) السياسة المالية في عهد الملك عبد العزيز ، د. صالح الشعيبي ، ج٢ ، ص٦٠٨ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٦٠ . وللاستزادة انظر : فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، جمع وترتيب وتحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ (مكة المكرمة : مطبعة الحكومة، ١٣٩٩) ج١٢ ، ص٢٦٩ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ، ص٢٦١ .

والنظام في ربوع البلاد ، بعد أن عانت البلاد لفترة طويلة من الزمن الكثير من الانقسامات الداخلية ، والفتن والحروب القبلية[١] .

وهكذا نرى أن جهود الملك عبد العزيز -رحمه الله - في سبيل الاستقرار السياسي منذ اللحظات الأولى لقيام دولته لها الأثر الكبير في استتباب الأمن .

ففي الداخل قضى على كافة أشكال التمرد التي تصدت له في مراحل تكوين المملكة وضم جميع المناطق في وحدة سياسية واحدة ، وأرسى قواعد الحكم على أسس إسلامية سليمة .

وفي الخارج نظم العلاقات الخارجية ، فعقد العديد من المعاهدات ، والاتفاقيات مع الدول المجاورة وغيرها ، والتي تنص على السلام ، والصداقة ، والتعاون ، وحسن الجوار ، وبهذا التنظيم أمَّن بلاده من كل خطر يهددها في الداخل والخارج[٢] .

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

شهد الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- البدايات الأولى لعملية التطور الاجتماعي ، والاقتصادي في المملكة ، وبصفة خاصة حيث عاش في الرياض التي استعادها الملك عبد العزيز -رحمه الله- عام ١٣١٩هـ أي بعد ولادة الشيخ محمد ابن إبراهيم -رحمه الله- بثمان سنوات ، فبدأت البرامج الإصلاحية، والاجتماعية، والاقتصادية للملك عبد العزيز -رحمه الله - الذي تأكد من أن البدوي لا يمكن تعليمه وتحويله إلا إذا استقر في حياته ، وأنه لا نظام في حياة فرد من البشر بدون بيت ، والبدوي المرتحل الذي لا يعرف البيت قد يتحول في لحظة ما معادياً للحكومة المستقرة في الدولة الحديثة ، ومن ثم أقدم الملك عبد العزيز - رحمه الله - على فكرة التوطين مصحوبة بالعزم على استبدال العادات

---

(١) انظر : النظام الإداري في المملكة العربية السعودية ، يوسف ابراهيم السلوم ، ط٢ (الرياض : شركة الطباعة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـ) ص١١ .

(٢) انظر : التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ، لطيفة السلوم ، ط١ (١٤١٦ هـ) ص١٤٥.

والتقاليد ، والأعراف البدوية بالشريعة الغراء[١] .

لقد آمن الملك عبد العزيز بأن نجاح التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، يتطلب إحداث تغييرات سلوكية تزيد من قدرة المجتمع السعودي على الاستفادة من طاقاته البشرية ، وموارده الزراعية ، والرعوية ، لتحقيق مجتمع متكافل ، وحياة أفضل. وجاءت عملية التوطين جزءاً من خطة تنموية عملت على إنقاذ البادية من ضلالاتها ، وفقرها ومنازعاتها ، كما عملت على تعمير الأراضي القابلة للزراعة بإقامة الهجر فيها واستصلاحها للزراعة ، وحرصت تلك الخطة على تنمية الموارد البشرية ، والاقتصادية من خلال تعليم البدو وتثقيفهم ، وتدريبهم على مزاولة أعمال متنوعة تعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير العميم[٢] ، فأنشأ عدداً كبيراً من الهجر ، أولها هجرة الأرطاوية عام ١٣٣٠هـ ، وعمل على توطينهم وتحويلهم من بدو رحل إلى جماعات مستقرة تمارس الزراعة[٣] .

وإذا كان مشروع توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- قد كتب له النجاح والانتشار ، إلا أنه يجدر التنبيه هنا إلى بعض الصعاب التي صادفته أثناء تنفيذ التجربة ، وكيف استطاع التغلب عليها ، فقد حدث أن شعر بأنهم جند الله قبل أن يكونوا جند عبد العزيز ، وكان هذا الشعور سبباً في إهمال السكان لواجباتهم في زراعة الأرض ، فانصرفوا إلى الصلاة ، وانقطعوا للعبادة ، وسماع السيرة النبوية وحدها ، تاركين مهمة العناية بالفلاحة والزراعة إلى النساء على اعتبار أن الزراعة والتجارة ، والحرف الصناعية عملاً معيباً يتنافى وروح الفروسية وتقاليدها ، مما جعل الكثير منهم لا يملك ثمن قوت يومه ، وأصبحوا عالة على الدولة[٤] .

---

(١) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، حمد الجاسر ، (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) ج١ ص٧ .

(٢) توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز ، د. حسن عبد القادر صالح ، (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) ، ج٢ ص٤٢٢-٤٢٣ .

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، ط٢ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٧هـ) ج١ ص٢٦٤ .

(٤) انظر : جزيرة العرب في القرن العشرين ، حافظ وهبة ، ط٥ (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ) ص٢٨٩ .

وإزاء حالة التراخي والدعة ، والكسل التي وصل إليها الكثير من سكان الهجر، لم يجد الملك عبد العزيز -رحمه الله- أمامه غير علماء الدين الحنيف ليعالجوا هذه المشكلة[١]، فأصدر هؤلاء العلماء كالشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وغيره، الفتاوى التي تحث الناس على العمل ورفع مستوى معاشهم ، وأن الإسلام لا يعني الفقر ، وإنما العمل الشريف لحياة أفضل ، فاتجهوا إلى زراعة الأرض ، والبعض إلى البناء والعمران ، وآخرون إلى البيع والشراء ، وانتقلوا بذلك إلى الحضارة ، ومن النهب والسلب إلى التجارة والكسب الحلال [٢] .

كما شهد عصر الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- دخول المخترعات الحديثة التي لم تكن معروفة ، بعد أن قرر الملك عبد العزيز -رحمه لله- السماح بإدخال السيارات لتأمين راحة الحجاج في تنقلاتهم بين الأماكن المقدسة ، رغم صيحات المعارضة من رجال العشائر الذين يملكون الجمال ، ويستخدمونها في تأمين معيشتهم ، واستتبع ذلك تطور كبير في دخول المزيد من التقنية الحديثة ، مثل وسائل الإتصال اللاسلكية ، والهاتفية ، وإنشاء خط حديدي ، ومحطة للإذاعة ، وطرق رئيسة جديدة ، ومحطات لتوليد الكهرباء في المدن الكبرى وتزويدها بالمياه[٣]، وقد تطورت الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والزراعية ، والسياسية والثقافية ، تمشياً مع اكتشاف البترول ، وبداية تصديره إلى الخارج عام ١٣٥٧هـ.

والواقع أن اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية يعتبر تحولاً عظيماً في جميع المجالات ، دفعت الملك سعود -رحمه لله- بعد توليه الملك عام ١٣٧٣هـ إلى تحويل جميع المديريات إلى وزارات بهدف مواجهة التطور ، وتنظيم الدولة وتوفير الخبرات الإدارية والاستشارية[٤]، واستمر الوضع كذلك في عهد الملك

---

(١) انظر : سيرة عبد العزيز ، أمين الريحاني ، ط٥ (الرياض : منشورات الفاخرية ، ١٩٨١م) ، ص ٢٦٢.

(٢) انظر : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، د. مديحة أحمد درويش ، ط١ (دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠٠هـ) ص١٦٠ .

(٣) جهود الملك عبد العزيز في التنمية السياسية ، د. محمد نصر مهنا (بحوث المؤتمر العالمي عن اتاريخ الملك عبد العزيز ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ج١ ص٢٠٢ .

(٤) اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. ابراهيم الفوزان ، (الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠١هـ) ص٣٠٩ .

فيصل -رحمه الله- الذي بدأ سياسته الداخلية بوضع الخطط اللازمة لتنفيذ الإصلاحات في شتى الميادين[١].

وبإيجاز نستطيع أن نقول إن الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- عاصر ثلاثة عهود : عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- الذي عرف بتوحيد الجزيرة ، والتخطيط للبحث عن مصادر الحياة الكريمة ، وعهد الملك سعود -رحمه الله- الذي عرف بالوزارة والتعليم ، وبداية عهد الملك فيصل -رحمه الله- الذي عرف بعهد الصناعة ومضاعفة التعليم الجامعي ، وتحرير الرقيق ، وقيام الضمان الاجتماعي ، وتجلي فكرة التضامن الإسلامي التي دعا لها ، وكانت أمنية كل مسلم في أصقاع المعمورة[٢].

المطلب الثالث: الحالة التعليمية

كان التعليم من أهم المرافق التي حظيت بدعم الملك عبد العزيز -رحمه الله- المادي والمعنوي ، نظراً لإدراكه أن أي حضارة لأي أمة من الأمم لا تقوم إلا على التعليم ، ومن هذا المنطلق جعل من التعليم الأساس لتطوير المناطق الخاضعة له ، والعمل على تقدمها في مختلف المجالات .

ومما يلاحظ أن الاهتمام بالتعليم في عصر الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- قد مرَّ بمرحلتين : تبدأ المرحلة الأولى منذ استرداد الملك عبد العزيز -رحمه الله- لمدينة الرياض عام ١٣١٩هـ ، وتنتهي بضم الحجاز لدولته عام ١٣٤٤هـ ، وخلال هذه الفترة كان التركيز على تعليم البادية أمور دينهم ودنياهم عن طريق إنشاء الهجر، وبناء المساجد فيها ، وإرسال الوعاظ والمرشدين إلى تلك المناطق للقيام بمهمة الإرشاد.

أما بالنسبة للمدن في نجد والقصيم ، والإحساء ، فقد كانت الثقافة الدينية الجيدة تشيع فيها نتيجة وجود عدد لا بأس به من العلماء الذين جعلوا من بيوتهم، ومن المساجد أماكن للدرس ، فكانوا يعقدون الحلقات بعد كل صلاة

---

(١) المملكة العربية السعودية مسيرة دولة وسيرة رجال ، غالب العتيبي ، ص٢٢٨ .

(٢) إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. ابراهيم الفوزان ، ص٣١٠ .

لتدريس العلوم الشرعية ، واللغة العربية ، ومن أهم تلك المساجد مسجد دخنة بالرياض ، وهو المسمى الآن مسجد الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- الذي تخرج فيه عدد كبير من العلماء الأفذاذ[١] .

وقد كان الملك عبد العزيز -رحمه الله- يؤكد على العلماء الاهتمام بالتعليم، إضافة الى دعمه المادي والمعنوي ، فأمر بتوفير الكتب الدينية وطباعتها على حسابه الخاص ، وتوزيعها على طلاب العلم في جميع المناطق ، ورتب المخصصات للعلماء والمدرسين ، والوعاظ ، والمرشدين ، ومنح المكافآت لطلاب العلم ، فكان لهذا كله أثره الكبير على السكان الذين اندفعوا بكل عزيمة وجد واجتهاد لينهلوا من منابع العلم والمعرفة[٢] .

وفي الحجاز كان التعليم يتشكل من ثلاثة عناصر رئيسة هي :

١- التعليم في الحرمين الشريفين .

٢- المدارس الحكومية .

٣- النشاط الأهلي المتمثل في الكتاتيب .

مع ملاحظة أن هذه المدارس لم تكن راقية في مستواها العلمي ، حيث كانت أشبه بالكتاتيب[٣] .

وكان الملك عبد العزيز -رحمه الله- يرغب في أن يسير بالتعليم خطوات أبعد إلى الأمام ، وبطريقة منظمة ، لكن انشغاله في تلك الفترة بأمور كثيرة ، منها سعيه المستمر لتوحيد أجزاء الدولة ، واهتمامه بنشر الأمن ، والعدل ، والاستقرار في كافة المناطق الخاضعة له ، والعمل على تنمية الموارد الاقتصادية لهذا الكيان

---

(١) انظر : التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ، لطيفة السلوم ، ص١٧١-١٧٥ .

- الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، د. عبد الفتاح حسن أبو علية (الرياض : دار المريخ للنشر) ص٢٤٠-٢٤١ .

(٢) انظر : اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، د. فوزان الفوزان ، ص٣٢٥-٣٢٧ .

- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد ناصر الشثري ، ج١ ص٢٣٦ .

(٣) التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة العربية السعودية ، د. ابراهيم محمد ابراهيم ، ط١ (جده : عالم المعرفة ، ١٤٠٥هـ) ص٣٥ .

الكبير، كل ذلك أشغله عن تحقيق ما يرجوه لهذه الدولة الفتية[١].

ولكن بعد أن تحقق له حلمه الكبير، وتم له ضم الحجاز، وتكملة بناء الوحدة السياسية لمعظم مناطق شبه الجزيرة العربية، أخذ -رحمه الله- يعمل على توجيه كل طاقاته إلى الاصلاح الداخلي على أسس راسخة، وبخطوات سريعة، وقد حظي مرفق التعليم بالجانب الأكبر من اهتماماته، فأنشأ لذلك إدارة خاصة هي مديرية المعارف عام ١٣٤٤هـ، وبإنشاء هذه المديرية انتهى عهد نظام التعليم غير المنظم، وحل محله تعليم حكومي منظم وموجه لخدمة مصالح الدولة، وجعله الملك عبد العزيز -رحمه الله- تعليماً مجانياً بعدما كان يصرف عليه من هبات الأثرياء، ولم يكن التعليم مجاناً فقط، بل إن الكتب والأدوات الكتابية والقرطاسية كانت تقدم لجميع الطلاب في مختلف المراحل الدراسية بدون مقابل، كما أن الملك عبد العزيز-رحمه الله- أمر بتخصيص مكافآت شهرية تدفع للطلاب في المرحلتين الثانوية، والعالية، وذلك لتشجيعهم على مواصلة دراستهم العليا، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم في حال تغربهم عن مدنهم وقراهم[٢].

ومع اتساع النشاط التعليمي تحولت مديرية المعارف إلى وزارة عام ١٣٧٣هـ، وشهدت المملكة ميلاد صروح تعليمية كثيرة، بدأها بتنظيم التدريس بالحرمين، وتحسين حالة العلماء العاملين بها ثم تلاها **الإنجازات التالية** :

١-المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ.

٢- مدرسة الأمراء في الرياض عام ١٣٥٤هـ.

٣- مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة عام ١٣٥٥ هـ.

٤- دار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٤هـ.

٥- كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٣٦٩هـ.

٦- معهد الرياض العلمي في الرياض عام ١٣٧٠هـ الذي كان نواة

---

(١) انظر : التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز - نشأته وتطوره - ، د. عبد اللطيف بن دهيش (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) ج٣ ص٧٦٢ .

(٢) التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز : نشأته وتطوره ، د. عبد اللطيف بن دهيش ، ج ٣ ص٧٦٢ .

للمعاهد العلمية المنتشرة في المملكة[١].

أما بالنسبة لمدارس تعليم البنات ، فقد أفادت المصادر أن أول مدرسة نظامية حديثة للبنات فتحت في شبه الجزيرة العربية هي مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة عام ١٣٦٢هـ ، وكانت هذه المدرسة تتلقى من وزارة المعارف قبل إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات إعانات مالية ، وبعض الأثاث المدرسي إلى جانب الرسوم الدراسية التي تدفعها الطالبات ، ثم أسست مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي بمكة المكرمة عام ١٣٦٧هـ، وسارت حسب مناهج مديرية المعارف ثم وزارة المعارف مع تعديل طفيف ، إذ استبدلت مادة الرياضة البدنية بمادة التربية المنزلية .

وأسست مدارس أهلية أخرى لتعليم البنات في أنحاء المملكة ، منها مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالرياض عام ١٣٧٠هـ ، ومؤسسة الثقافة الشعبية بجدة عام ١٣٧١هـ ، ومدرستا روضة المعارف والفيصلية بجدة عام ١٣٧٥هـ .

وكذلك أنشئت في جدة دار الحنان الأهلية عام ١٣٧٥هـ ، ثم أنشئت مدرسة حديقة الأطفال بجدة عام ١٣٧٧هـ ، ومدرسة بيت الطفل بجدة ، ومدرسة الزهراء بمكة المكرمة .

وفي عام ١٣٧٨هـ أنشأت العائلة المالكة مدرسة خاصة لبناتها بالرياض أطلق عليها اسم (معهد الرياض النموذجي للبنات) ، وكانت نموذجاً رائداً لمدارس تعليم البنات ،تتابع بعدها افتتاح عدد آخر من المدارس ، فأسست المدرسة النموذجية للبنات بالدمام في العام نفسه ، والمدرسة النموذجية للبنات بمكة المكرمة عام ١٣٧٩هـ.

وحتى عام ١٣٨٠هـ لم يكن يوجد جهاز إداري حكومي خاص بالإشراف الإداري على تعليم البنات بالمملكة ، ولم تكن هناك جهة حكومية تنظمه وتشرف عليه[٢] .

---

(١) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ص٢٣٦ .

(٢) انظر : تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، د. حمد السلوم ، ط٣ (واشنطن : مطابع انترناشيونال كرافيكس ، ١٤١١هـ) ، ج٢ ص٢٣ .

- المملكة العربية السعودية مسيرة دولة وسيرة رجال ، غالب العتيبي ، ص٢١٠

واستمر الاهتمام بالتعليم بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمه الله حيث أنشأت في عهد الملك سعود -رحمه الله- جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) عام ١٣٧٧هـ[١]، كما أنشئت الرئاسة العامة لتعليم البنات عام ١٣٨٠هـ لما رأت الدولة الحاجة الملحة لافتتاح مدارس حكومية لتعليم البنات ، وإيجاد إدارة تشرف عليه وتنظمه ، فأوجدت الرئاسة العامة لتعليم البنات لتضع الخطط ، وترسم المناهج التي تسير عليها مراحل تعليم البنات ، وتتولى الإشراف على النواحي الفنية ، والإدارية لمدارسهن ، وهذه الرئاسة بإشراف الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-، كما أنشأت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ ، والتي أسندت رئاستها أيضاً إلى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وتم وضع أول منهج للأمية وتعليم الكبار عام ١٣٨٢هـ ، إضافة إلى معاهد المعلمين الثانوية[٢] ، واستمر الوضع كذلك في عهد الملك فيصل -رحمه الله- الذي سعى إلى الاهتمام بالعلم والمعرفة ، ووضع المناهج التي ترسخ في أذهان طلبة العلم في كافة المراحل ، وأن طلب العلم فرض على كل فرد ، ونشره وتيسيره واجب على الدولة بقدر إمكانياتها[٣] .



(١) انظر : المرجع السابق ، ص٢٢٥ .

(٢) انظر : تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، د. حمد السلوم ، ج٢ص٢٢٥

(٣) المملكة العربية السعودية ، مسيرة دولة وسيرة رجال ، غالب العتيبي ، ج٢ ص٢٢٥ .

المبحث الثاني

ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله

المطلب الأول : حياته الشخصية

الفرع الأول : اسمه ونسبه

هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن محمد بن بُريد بن مشرف ، ينتهي نسبه إلى المشارفة من آل ريس من الوهبة من تميم ، ثم إلى نزار بن معد بن عدنان[١] .

الفرع الثاني : مولده ونشأته

ولد في مدينة الرياض في حي دخنة في السابع عشر من شهر محرم ، سنة ألف وثلاثمائة وإحدى عشرة من الهجرة .

وكان مولده في بيت علم وفضل وزعامة دينية ، فنشأ على عادة أهله وآبائه محباً للعلم طموحاً إلى الفضل .

فوالده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف -رحمه الله- ولاه الملك عبد العزيز -رحمه الله- قضاء مدينة الرياض سنة ١٣٢١هـ لما رأى فيه من رجاحة العقل ، وسعة العلم ، وبُعد النظر ، واستمر في القضاء إلى آخر حياته مع القيام بالتدريس

---

(١) انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ط٢ (الرياض: دار العاصمة ، ١٤١٩هـ) ج١ ص٢٤٢ .

- مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ط٢(الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٤هـ) ص١٣٤ .

- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وغيرهم ، محمد بن عثمان القاضي ، ط١ (القاهرة : مطبعة الحلبي ١٤٠٢ هـ) ص٣٠٢ .

- اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ط٢ (الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ) ج١ ص٧٩ .

ونشر العلم والدعوة إلى الله تعالى[١] .

فنشأ الشيخ محمد -رحمه الله- في بيت علم وشرف ودين ، ورباه والده أحسن تربية[٢]، ولما بلغ السابعة من العمر أدخله والده مدرسة تحفيظ القرآن ، فتلقى القرآن الكريم نظراً وسماعاً من الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج -رحمه الله-، تلقي ضبط وإتقان[٣]، فما إن بلغ الحادية عشر حتى أتمه حفظاً .

وبعد أن حفظ القرآن شرع في الطلب ، فأخذ في القراءة على أبيه في مختصرات العلم من التوحيد ، وأصول العقيدة ، ورسائل الأئمة ، ابن تيمية ، وابن القيم ، ومحمد ابن عبد الوهاب -رحمه الله-، كما قرأ في مختصرات كتب الحديث ، وأصوله ، والفقه وأصوله ، والنحو ، وحفظ متون هذه العلوم[٤].

ولما بلغ -رحمه الله- السادسة عشر من عمره مرض بالرمد في عينيه ، وطال معه قرابة سنة ، فنتج عنه أن كف بصره ، فصبر واحتسب ، ولم يثنه ذلك عن عزمه وتصميمه في طلب العلم ، فقد زاد هيامه في تحصيله ، وقضى أيام حياته في إدراكه[٥]، أي أن الله عوضه قوة في البصيرة ونوراً في القلب ، فأقبل -رحمه الله- على العلم إقبالاً منقطع النظير حتى نبغ في فنون عديدة ، وكان لا يحس بالملل ولا يسأم ، مفرط الذكاء ، قوي الحفظ ، سريع الفهم ، وكان المشايخ معجبين بفرط ذكائه ونبله ، ويقولون سيكون لهذا الفتى شأن[٦].

وقد توفي والده -رحمه الله- عام ١٣٢٩هـ فصار لأخوته الصغار كالأب في الرحمة والشفقة ، وجعل من أخيه الشيخ عبد اللطيف -رحمه الله- مرافقاً له في الذهاب والإياب ، ومعيناً له في تحضير المسائل ، وإعداد الدروس ، فاستفاد كل

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٣٤ .

(٢) روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وغيرهم ، محمد بن عثمان القاضي ، ج٢ ص٣٠٢

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٣٤ .

(٤) أنظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٢٤٢ .

(٥) اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ص٨٠ .

(٦) روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وغيرهم ، محمد بن عثمان القاضي ، ج٢ ص٣٠٣

منهما من أخيه ، ولم يزل على حاله في الاشتغال بالعلم ، وصرف جميع أوقاته في تحصيله حتى أدرك في زمن قصير ما لم يدركه الكبار في الزمن الطويل[١].

الفرع الثالث : أخلاقه

لم يصل -رحمه الله- إلى ما وصل إليه من مكانة في قلوب الناس بمجرد المصادفة ، ولكن مرد ذلك إلى توفيق الله ﷻ أولاً ثم إلى ما يتحلى به من أخلاق فذة منها :

١- شدة خشيته لله ، يقول الشيخ محمد بن قاسم -رحمه الله-: (كان -رحمه الله- من أكثر الناس استحضاراً لعظمة الله ، كثيراً ما تسمعه يلهج بذكر الله ، والاستغفار ، وتغرورق عيناه بالدموع حينما يكون في موقف مناجاة الله ، أو يسمع بعض ما يحرك القلوب)[٢].

٢- كان - رحمه الله قوي الشخصية ، مرهوب الجانب[٣]، وهو أمر لا يرجع إلى مخافة منه ، ولكن إلى محبته ، وإجلاله ، ومعرفتهم عنه صرامة الحق[٤]، مهما كانت الجهة التي لديها الحق ، الضعيف عنده قوي حتى يأخذ له الحق ، والقوي ضعيف حتى يأخذ منه الحق لغيره[٥].

٣- الشجاعة في إبداء الرأي وقوة الشكيمة ، لا يخاف في الله لومة لائم ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، صادعاً بكلمة الحق أياً كان المخاطب بها ، ودافعه في ذلك مخافة الله ، وحرصه على إبراء ذمته[٦].

٤- طهارة قلبه ، فكان لا يحمل ضغينة على من أساء إليه ولا ينتقم من

---

(١) اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد بن عثمان الزهراني ، ج١ ص٨١ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٨ .

(٣) الشيخ محمد بن إبراهيم وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية ، محمد آل اسماعيل (الرياض : المطابع الأهلية للأوفست) ص١١ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٧.

(٥) من أفذاذنا العلماء الشيخ محمد بن ابراهيم ، عبد الله بن سليمان بن منيع ، مجلة البحوث الإسلامية ، (العدد ١٨ ، ١٤٠٧هـ) ص٢١٣ .

(٦) حياة الشيخ محمد بن ابراهيم وآثاره ، د. صالح الأطرم ، و د. عبد الله العمار ، (الرياض : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤١١هـ) ص٢٠ .

أحد ناله بأذى[١]، بل كان ديدنه الصفح والتجاوز[٢].

٥- ومن أخلاقه البارزة الإخلاص في العمل فلم يكن -رحمه الله- طالب شهرة ولا باحثاً عن سمعة ، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها[٣].

٦-كان -رحمه الله- يتنزه عن الغيبة والحديث في الآخرين بما يكرهون ، وعرف بذلك منذ حداثة سنه حتى فارق الدنيا ، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقصهم ، بل كان يقف دون ذلك ، ويزجر من حاوله [٤].

٧- ومما لا ينكر من أخلاقه الظاهرة للعيان ، كراهيته الشديدة للمديح والثناء عليه ، فما كان يرضى من أحد أن يثني عليه ، أو يبالغ في مدحه سواء كان ذلك مشافهة أو كتابة [٥] .

٨- كان -رحمه الله- معروفاً بالبذل والسخاء في الحدود التي لا تصل إلى المبالغة المكروهة شرعاً ، والمؤدية إلى الإسراف وإضاعة الوقت ، وبالأخص ما يتعلق بإكرام العلماء والقضاة ، وطلاب العلم ، وذوي رحمه [٦].

٩- امتاز بجلده وصبره وجده ، ومثابرته ، وقوة عزيمته في تحصيله العلمي ثم في تعليم تلاميذه ، وتعويدهم الجد ، والجلد ، والمثابرة ، والمجاهدة ، فهو مربياً قبل أن يكون معلماً .

---

(١) إتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ص٩٣.

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٧.

(٣) انظر : اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ص٩٣ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٧ .

(٥) المرجع السابق ، ج١ ص١٨ .

(٦) المرجع السابق ، ج١ ص١٨ .

الفرع الرابع : أعماله[1] :

١- إمامة مسجد عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله- ، وتدريس الطلاب فيه مدة خمسين عاماً ، من عام ١٣٣٩هـ إلى قبيل وفاته عام ١٣٨٩هـ.

٢- رئاسة الكليات والمعاهد العلمية منذ عام ١٣٧٠هـ ، والتي تعتبر النواة الأولى لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

٣- رئاسة المكتبة السعودية بالرياض ، والتي أنشئت بجوار مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله- عام ١٣٧٠هـ .

٤- رئاسة دار الإفتاء التي أنشئت عام ١٣٧٣هـ ، والإشراف على الشؤون الدينية .

٥- الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين .

٦- في عام ١٣٧٦هـ أنشئت رئاسة القضاء تحت رئاسة سماحته في المنطقتين الوسطى والشرقية ، والمنطقة الشمالية ، وبعد وفاة سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- سنة ١٣٧٨هـ رئيس القضاة بالحجاز والمنطقة الغربية ، ضمت رئاسة القضاة بالحجاز والمنطقة الغربية إلى سماحته فصار رئيس قضاة المملكة العربية السعودية .

٧- رئاسة دور الأيتام التي ضمت فيما بعد إلى وزارة العمل والشؤونالاجتماعية .

٨- رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي منذ إنشائها عام ١٣٧٩ هـ .

---

(١) انظر: قادة الفكر الإسلامي عبر القرون ، عبد الله الرويشد ، ط٢ (دمشق : مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٩٤هـ) ص٤٩٤ .
- مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٣٧ .
- العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ط١(الرياض ، مكتبة الإمام الشافعي ، ١٤١٦هـ) ص٤٦ .
- فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٩-٢٠ .
- علماؤنا ، فهد البدراني ، و فهد البراك ، ط٢ (١٤١٠هـ) ص١٧-١٨ .

٩- الإشراف على الرئاسة العامة لتعليم البنات منذ إنشائها عام١٣٨٠هـ.

١٠- رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي أسست عام ١٣٨١هـ .

١١- رئاسة المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ .

١٢- الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا .

١٣- رئاسة مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية التي تصدر عنها مجلة الدعوة عام ١٣٨٤هـ .

١٤- رئاسة مجلس القضاء الأعلى الذي شكل في عام ١٣٨٨هـ ، وعقد في حياته مرتين .

١٥- بدأ في إنشاء مجلس هيئة كبار العلماء الذي أثبت في ميزانية عام ١٣٨٩هـ غير أن المنية وافت سماحته قبل أن يباشر أعماله .

الفرع الخامس : وفاته ووصف جنازته

كانت وفاة الشيخ على أثر مرض أصابه في كبده في أواخر شهر شعبان عام ١٣٨٩هـ وسافر للعلاج خارج المملكة ولكن دون جدوى وظل على هذا الحال حتى توفاه الله في يوم ٢٤ رمضان عام ١٣٨٩هـ،عن عمر ثمان وسبعون سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام وحزن الناس حزنًا شديدًا، وقد احتشد خلق كثير من علماء وأمراء وأعيان وعلى رأسهم الملك فيصل رحمه الله وصلى عليه في الجامع الكبير وقد أم المصلين سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى فرحم الله الجميع.

الفرع السادس : ثناء العلماء عليه

يقول معالي الشيخ عبد الله البسام -رحمه الله-: (الحقيقة أن الشعب هزته وفاته ، وأصيب أفراده جميعاً بالفزع لفقده ، ورأوا أنهم فقدوا شخصية كبيرة غالية من أعز أبناء البلاد عليها ، لا سيما أهل العلم الذين يرون فيه الوالد والشيخ ، والرئيس، والمرجع ، فقد اشتد عليهم الأمر ، ورجعوا إلى قوله تعالى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يرددونه بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره وصار الناس يعزي

بعضهم بعضاً لاشتراكهم في المصيبة .

ولا شك في أن البلاد السعودية فقدت بموته شخصية كبيرة في علمها ، وعملها ، ومركزها ومقامها)[١].

ويقول الشيخ محمد القاضي -رحمه الله-[٢] : (وبالجملة فهو فقد كبير خسرته المملكة وهي أحوج ما كانت إليه ، فلقد كان من الهداة المهتدين بمميزات ليست موجودة في غيره ، فلقد أوتي حنكة وحكمة ، وفراسة لا تخطي ، مع رجاحة في العقل ، وحزم في كل شؤونه ، فرحمه الله برحمته الواسعة)[٣] .

وكتب معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ -رحمه الله-[٤] :(ونحن بما فقدناه قبل أيام بوفاة صاحب السماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم نجد أنفسنا فيما يشبه الدوامة الحائرة من الأسف ،والأسى ، فالفقيد شخصية علمية لامعة ، وحياته كانت جهاداً متلاحقاً في سبيل العلم والتعليم)[٥].

ويقول معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي -يحفظه الله-: (لقد كان -رحمه الله- قلعة يهابها كل مبطل ، ولقد أخذت بيده هذه الحكومة وفقها

---

(١) انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٢٦١ .

(٢) محمد بن عثمان بن صالح القاضي ، ولد في عنيزة عام ١٣٤٦هـ ، وُفق بعلماء أجلاء في عنيزة من أبرزهم والده الشيخ ابن سعدي، ثم الشيخ ابن عثيمين ، حيث استفاد من دروسه وحلقاته ، له باع طويل في الأنساب ، ولعل من تمام نعمة عليه أنه وُفق في عمل يزيده علماً ويدفعه للقراءة والكتابة والبحث ، حيث كان قيماً للمكتبة الصالحية بعنيزة التي تأسست عام ١٣٧٢هـ وإماماً وخطيباً في أحد جوامعها . انظر : صفحات من حياة علامة القصيم ابن سعدي ، د. عبد الله الطيار ، ط١ (الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤١٣هـ) ص٨٣-٨٤ .

(٣) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ، محمد القاضي ، ج٢ ص٣٠٨ .

(٤) حسن بن عبد الله آل الشيخ ، ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٥٢هـ ، تخرج في كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ ، شغل منصب وزير المعارف منذ عام ١٣٨١هـ . من مؤلفاته : التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، توفي عام ١٤٠٧هـ . انظر : معجم المطبوعات العربية ، ج١ ص٤٧٠- ٤٧١

(٥) مقال بعنوان : عالم فقدناه ، حسن بن عبد الله آل الشيخ ، جريدة الدعوة ، العدد ٢٣١ ، من كتاب العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص٥ .

الله، وأعطته ما يريد لينهض بهذه البلاد ، ويهتم بأمورها الدينية والإصلاحية ، وما أكثر المجالات التي أشرف عليها ، ووجهها ، وقامت في عهده في القضاء ، والإفتاء ، ورابطة العالم الإسلامي ، والجامعة الإسلامية ،والمؤتمرات التي لا تحصى، انعقدت برئاسته ، وإشرافه) [١] .

أما تلميذه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- فيقول : (لقد أكرمني الله ﷻ ، وتفضل علي (وله الحمد والمنة) بأن كنت من أخص تلامذة شيخنا المذكور ، لازمته نحو عشر سنين ، من عام ١٣٤٧هـ إلى عام ١٣٥٧هـ ، ثم تعينت في القضاء بعد ذلك ، لكني لم أنقطع عن الاتصال به ، وسؤاله عن كل ما يشكل ، والاستفادة من علومه وتوجيهاته الإسلامية ، إلى أن توفي -رحمه الله-، وقد حضرت له مواقف مشرفة ، وشاهدت منه أعمالاً موفقة في نفع المسلمين، والغيرة على الإسلام ، والرد على خصومه ، أجزل الله له المثوبة ، وكان يوصي الطلبة كثيراً بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، وكان واسع العلم كثير الخوف من الله ﷻ ، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً)[٢].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: (عرفنا فيه وفور العلم ورجاحة العقل ، وتمام الحكمة والصبر المنقطع النظير ، وهو -رحمه الله- فيما أعتقد وأجزم به -وإن كنت لا أزكي على الله أحد - فهو من نوادر الرجال الذين عرفناهم علماً وعقلاً وحكمة ، فنرجو الله أن يتقبل منه صالح عمله ، وأن يجزيه كل خير ويعلي درجته في الآخرة كما أعلاها في الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)[٣] .

---

(١) الكليات والمعاهد ثمرة جهاد الشيخ محمد بن إبراهيم ، د. عبد المحسن التركي ، مجلة الدعوة ، العدد ١٣١ ص٥٧ .

(٢) اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ص١٠١ .

(٣) اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ص١٠٢ .

المطلب الثاني: حياته العملية:

الفرع الأول : بداية طلبه للعلم

لما بلغ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- السابعة من عمره شرع يتعلم القرآن الكريم على المقرئ عبد الرحمن بن مفيريج -رحمه الله- فأجاده نظراً حتى أتم قراءته ، فما بلغ الحادية عشرة حتى أتمه حفظاً .

وبعد أن حفظ القرآن شرع في الطلب ، فأخذ في القراءة على أبيه ، وعلى عمه علامة نجد في زمانه ، الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله-، وقراءته الأولى في التوحيد ، وأصول العقيدة قراءة حفظ وتفهم ، ثم قرأ مختصرات كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومختصرات كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، كالواسطية والحموية ، وكذلك عُني بمختصرات النحو ، كالأجرومية ، والفرائض كالرحبية [١] .

وفي السادسة عشرة من عمره أصيب بالرمَّد في عينيه فكف بصره [٢]، ولكن الله عوضه قوة في البصيرة ، ونوراً في القلب ، وإشراقاً في حياته المباركة المعمورة بتقوى الله والجهاد في سبيله [٣]، فعلاوة على ما يحصله من شيوخ أسرته ، أقبل على الاغتراف من علماء بلده ، فقرأ التفسير ، والحديث وأصولهما الإسلامية ، وعلوم العربية والمطولات من كتب الفرائض ، وهكذا أدرك من العلم في الزمن القصير ما لم يدركه الكبار في الزمن الطويل ، وبذلك صار من أحب تلاميذ عمه العلاَّمة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله-، وأحقهم بتقديره ، حتى إنه عندما أحسَّ عمه بثقل المرض عليه، لفت نظر جلالة الملك عبد العزيز بالإمامة إليه ، وأثنى لديه على علمه ، وبعد نظره ، وحسن إدراكه ، فلما توفي عمه ، أسندت إليه مهامه من التدريس ،والإفتاء ، والإمامة ، والخطابة ، والتف حوله الطلاب يقرؤون عليه ويفيدون من علمه [٤] .

---

(١) اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ، ٧٩-٨٠ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٩ .

(٣) رئيس الجامعة الاسلامية الشيخ محمد بن إبراهيم ، عبد المحسن العباد ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثاني ، شوال ، ١٣٨٩هـ ، ص١١٣ ،

(٤) علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ، ج٢ ص٢٤٨ .

الفرع الثاني : شيوخه[١]:

١- والده الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف -رحمه الله- [٢]: درس عليه كتاب التوحيد ، كما درس عليه علم الفرائض ، وحفظ عليه متن الرحبية ، وبعض المتون العلمية في الفقه والحديث والتوحيد .

٢- عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله [٣]- : درس عليه كتاب التوحيد ، وأصول الإيمان وفضائل الإسلام ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، وكتاب موالاة أهل الشرك للشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- كما قرأ عليه مختصرات ابن تيمية ، وابن القيم كالواسطية ، والحموية وغيرهما.

---

(١) انظر : حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره ، د. صالح الأطرم ، و د. عبد الله العمار ، ص٦٦-٦٧
- محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، الدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، مجلة الدارة ، العددان الثالث والرابع ، السنة الرابعة والعشرون ، ١٤١٩هـ ، ص٢٢-٢٣ .
- فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ص١٠ ، و اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني، ج١ ص ٨٤-٨٥ .

(٢) هو الشيخ ابراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الرياض عام ١٢٨٠هـ ، كان يستوعب السنن ، والآثار ، حتى فاق أهل عصره ، له معرفة تامة في علم الحديث والتفسير والفقه ، ولاه الملك عبد العزيز رحمه الله قضاء مدينة الرياض عام ١٣٢١هـ ، ومع انشغاله بالقضاء ، جلس للتعليم فأخذ عنه كثير من طلبة العلم ، توفي - رحمه الله - عام ١٣٢٩هـ.
انظر : مشاهير علماء نجد ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص٩٧ .
- روضة الناظرين ، محمد القاضي ، ج١ ص٤٠ ، والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري، ج٢ ص٦٨٩ ، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٣٤٠-٣٤٣ .

(٣) هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الإحساء عام ١٢٦٥هـ ، فقرأ على علمائها ، ثم انتقل إلى الرياض فأخذ عن علمائها ، ثم سافر إلى الأفلاج فأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق ، ثم عاد إلى الرياض ، وكان بيته عامراً بقراءات كتب الحديث والتفسير ،والتوحيد ، والفقه ، أوكل له الملك عبد العزيز رحمه الله مهام عدة ، منها الإفتاء ، والاشراف على القضاء ، وتعيين القضاة ، ولم يشغله ذلك عن التدريس والتعليم ، فالتف حوله مجموعة كبيرة من طلبة العلم ، توفي رحمه الله عام ١٣٣٩هـ .
انظر : مشاهير علماء نجد ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٠١ ، علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٢١٥-٢٣٠ ، أشهر أئمة الدعوة خلال قرنين ، ص٤٥ .

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله[١]-: قرأ عليه الحديث وعلومه ، (بلوغ المرام) و (ألفية العراقي) ، وقرأ عليه في الفقه (زاد المستقنع)، وشرحه الروض المربع) وكتاب (كشاف القناع) كما قرأ عليه في كتاب المغني لابن قدامة .

٤- الشيخ حمد بن فارس -رحمه الله[٢]- قرأ عليه علوم اللغة العربية ، ومما قرأ عليه في ذلك (متن الألفية وشروحهما) كما قرأ عليه في الفقه (زاد المستقنع وشرحه) وشرح المفردات المسمى (منح الشفا الشافيات في شرح المفردات) وغيرهما من كتب الفقه المشهورة .

٥- الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي -رحمه الله-[٣]: قرأ عليه علم الفرائض ، واستفاد منه في هذا العلم فائدة كبرى .

---

(١) الشيخ سعد بن حمد بن علي بن محمد بن حيضة ، اشتهر بابن عتيق ، ولد في بلدة العمار في الأفلاج عام ١٢٧٧هـ ، طلب العلم في نجد والحجاز ، والهند على يد كثير من علمائها ، تولى قضاء الأفلاج سنين عديدة ، حتى نقله الملك عبد العزيز -رحمه الله - بعد ولايته إمارة نجد إلى قضاء الرياض متخصصاً للجنابات والبوادي ، وعينه إماماً للجامع الكبير للأوقات الخمسة ، جلس للتدريس ، فأخذ العلم عنه جمع غفير وانتفع بعلمه خلق كثير ، توفي -رحمه الله- عام ١٣٤٩هـ . انظر: مشاهير علماء نجد ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص٢١٣ ، علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج٢ ص٢٢٠-٢٢٣ ، وروضة الناضرين ، محمد القاضي ، ج١ ص ١٠٨ ، والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج٢ ص٦٩٥ .

(٢) هو العلامة حمد بن فارس بن محمد بن فارس بن رميح ، ولد في الرياض عام ١٢٦٣هـ قرأ على عدد من علماء الرياض ، وسافر إلى بلدان عديدة لطلب العلم ، اشتهر في علوم اللغة العربية بوجه خاص ، حتى سمي سيبويه زمانه ، جلس للتدريس في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله -، حتى تخرج على يديه الفوج بعد الفوج ، وأغلبهم من كبار العلماء ، توفي -رحمه الله -عام ١٣٤٥هـ . انظر : مشاهير علماء نجد ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٩٨ ، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج٢ ص٩٧-١٠٢ ، وروضة الناضرين ، محمد القاضي ، ج١ ص٩١ ، والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج٢ ص٧٦١-٧٦٣ .

(٣) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن راشد بن جلعود العتري ، ولد في بلدة القصب عام ١٢٧٩هـ طلب العلم على علماء سدير والرياض ، نبغ في علم الفرائض ، حتى كان القضاة يحيلون إليه ما يشكل عليهم في تقسيم التركات ، وحل المناسخات ، رشح للقضاء مراراً فامتنع تورعاً ، جلس للتدريس فالتف حوله التلاميذ للاستفادة منه ، وخاصة في علم الفرائض ، توفي رحمه الله عام ١٣٣٩هـ . انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج٤ ص٤١٥-٤١٧ ، وروضة الناضرين ، محمد القاضي، ج١ ص٣٧١ ، والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج٢ ص٧٥٧ .

٦- الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج -رحمه الله- [١] : قرأ عليه القرآن.
٧- الشيخ محمد بن محمود -رحمه الله- [٢] : أخذ عنه الفقه.

الفرع الثالث : تلاميذه[٣]:

تتلمذ على الشيخ -رحمه الله- عدد لا يحصون كثرة ، تولوا التدريس في المعاهد والكليات ، وولوا القضاء ، وولوا الفتيا ، وولوا التوجيه والإرشاد ، وولوا الدعوة والإصلاح ، وقد أحصى من أبرزهم قرابة مائة وتسعين تلميذاً منهم :

١- سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- مفتي عام المملكة العربية السعودية سابقاً ، ولو لم يكن من حسنات الشيخ إلا هذا الإمام لكفى .

٢- الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس الإشراف الديني بالمسجد الحرام، ثم رئيس المجلس الأعلى للقضاء بالمملكة العربية السعودية ، إلى أن توفي -رحمه الله - .

٣- الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم صاحب المؤلفات ، وجامع فتاوى

---

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن مفيريج ، كان مقرئاً للقرآن في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، قرأعليه كثير من العلماء القرآن الكريم ، وحفظوا عليه ، وكان له حلقات دراسية بعد صلاة الفجر ، والظهر والعصر ، والمغرب في المسجد المذكور ، توفي -رحمه الله - عام ١٣٥٠هـ . انظر : مشاهير علماء نجد ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٣٤ .

(٢) الشيخ محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمود ، ولد ببلدة ضرماء عام ١٢٥٠هـ ، حفظ القرآن صغيراً ، ثم ابتدأ في الطلب على قاضي ضرماء ، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٢٦٥هـ ، فقرأ على علمائها، عينه الإمام فيصل بن تركي قاضياً في وادي الدواسر، ثم أعفي من القضاء ، فرجع إلى بلده ضرماء ، ثم عين قاضياً بها حتى عام ١٢٨٠هـ ، وفي عام ١٢٨٣هـ نقله الإمام عبد الله بن فيصل إلى قضاء مدينة الرياض فاستقر فيها ، توفي -رحمه الله - عام ١٣٣٣هـ . انظر : مشاهير علماء نجد ، عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص١٨٩-١٩٠، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج٥ ص٤٧٥-٤٧٧ .

(٣) انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٢١-٢٢ .
- محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، مجلة الدارة ، ص٢٩ .
- حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. صالح الأطرم ، و د. عبد الله العمار ، ص ٢٢٩-٢٤٠
- اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ص٩١-٩٢ .

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

٤- الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي الداعية الإسلامي في جنوب المملكة العربية السعودية -رحمه الله-.

٥- الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رئيس هيئة التمييز بالرياض سابقاً -رحمه الله-.

٦- الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ نائب رئيس الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام حالياً) -رحمه الله-.

٧- الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية سابقاً -رحمه الله-.

٨- الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ رئيس المعاهد والكليات بعد عمه، ثم الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة سابقاً -يحفظه الله-.

٩- الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ رئيس الدعوة والإرشاد والإفتاء والبحوث ثم وزير العدل سابقاً .

١٠-الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة ثم الرئيس العام للحرمين الشريفين -رحمه الله-.

١١- الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة -سابقاً -رحمه الله-.

١٢- الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري رئيس ديوان المظالم سابقاً -يحفظه الله-.

١٣- الشيخ محمد بن هليل عضو ديوان المظالم سابقاً -رحمه الله-.

١٤- الشيخ حمد الجاسر صاحب المؤلفات ، ومؤسس دار اليمامة للطباعة والنشر -رحمه الله-.

١٥- الشيخ عبد الله بن يوسف بن وابل قاضي محكمة أبها سابقاً-رحمه الله-.

١٦- الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي سابقاً -رحمه الله-.

١٧- الشيخ حمد بن محمد بن فريان وكيل وزارة العدل عضو مجلس الشورى

-يحفظه الله-.

١٨- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فريان الواعظ المشهور ورئيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالرياض -حفظه الله - .

١٩- الشيخ راشد بن صالح بن خنين المستشار بالديوان الملكي-يحفظه الله-.

٢٠- الشيخ زيد عبد العزيز بن فياض المدرس بكلية أصول الدين سابقاً - رحمه الله-.

٢١- الشيخ سعود بن رشود رئيس محكمة الرياض سابقاً -رحمه الله-

٢٢- الشيخ صالح بن علي بن غصون عضو هيئة كبار العلماء -رحمه الله- .

٢٣- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى - يحفظه الله-.

٢٤- الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع عضو هيئة كبار العلماء - يحفظه الله-.

٢٥- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين عضو دار الإفتاء سابقاً - يحفظه الله -.

هذه طائفة من أسماء تلامذة الشيخ ، لا تعبر عن عددهم إطلاقاً ، فهم لا يحصون كثرة ، وإنما تعبر عن نموذج للمستوى العلمي الرفيع الذي نهض به الشيخ ، وخلفه في أبنائه أكابر العلماء في هذه الديار ، فرحمه الله تعالى ، وأسبغ عليه شآبيب رحمته ورضوانه العظيم .

الفرع الرابع: مؤلفاته

إن ما كتبه من المؤلفات ليس على قدر علمه ، بل هي أقل من مستواه العلمي ، فهي رسائل وردود ، ولا تكون مقياساً لما يحمله من علم ، ولا ما بذله من نشاط في سبيل نشره ، فإنه من مشاهير العلماء ذوي الإطلاع الواسع [١]، وسبب ذلك أنه لم تكن له فرصة يتفرغ فيها للتأليف [٢]، فاشتغال الشيخ - رحمه

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٩٢ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٢٢ .

الله بالتعليم وتخريج الرجال ، واشتغاله بالدعوة إلى الله ، ثم اشتغاله بالوظائف التي يشرف عليها بنفسه ، ومتابعته لأحداث العالم الإسلامي ، كل هذا صرفه عن التأليف [١].

كما أنه لم يكن ممن يكتب كل ما عنَّ له ، بل كان طويل التأمل ، شديد المحاسبة لنفسه ، ومسئوليته تحتم عليه ألا يكتب إلا بعد تحرٍ طويل ، لأن الكلمة منه تعد حجة يتعلق بها العامة والخاصة ، ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسائل والفتاوى التي كتبها في مناسبات مختلفة[٢].

فمن مؤلفاته [٣]:

١- الفتاوى التي جمعها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله- التي بلغت ثلاثة عشر جزءاً ، لو لم يكن له أثر سواها لكفى به فخراً لم يصل إليه غيره من أهل عصره .

٢- رسائل متنوعة كتبها الشيخ -رحمه الله- وطبعت في حياته ، أدرجها الشيخ ابن قاسم في مجموعة الفتاوى منها :

أ- الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم.

ب-رسالة تحكيم القوانين .

ج- نصيحة الإخوان في الرد على الشيخ ابن حمدان .

د- الجواب المستقيم في نقل مقام إبراهيم .

هـ- الروضة الندية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية .

و- تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك .

٣-كتاب تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ ، وهو كتاب في الحديث جمع فيه المفتي -رحمه الله- ما يقرب من ألف حديث .

٤- نظم علمي لمقدمة كتاب (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل) للمرادوي .

---

(١) الشيخ محمد بن إبراهيم وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية ، محمد آل اسماعيل ، ص١٢ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٢٢ .

(٣) اتحاف النبلاء بسير العلماء ، راشد الزهراني ، ج١ ص٩٨ .

الفصل الأول

جهود الشيخ محمد بن إبراهيم

-رحمه الله - في الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الأول: جهوده في مجال التعليم.

المبحث الثاني: جهوده في مجال القضاء.

المبحث الثالث: جهوده في مجال الإفتاء.

المبحث الرابع: جهوده في إعمار المساجد والإشراف عليها.

المبحث الخامس: جهوده في إنشاء المكتبات العامة.

المبحث السادس: جهوده في كتابة الرسائل والمؤلفات.

المبحث السابع: جهوده في مجال الإعلام.

المبحث الثامن: جهوده في النصيحة لولاة الأمر.

المبحث التاسع: جهوده في الدعوة خارج المملكة.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول

جهوده في مجال التعليم

المطلب الأول: فضل العلم الشرعي

العلم يطلق على أشياء كثيرة ، ولكن عند علماء الإسلام المراد بالعلم هو العلم الشرعي ، هو المراد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند الإطلاق : وهو العلم بالله وبأسمائه وصفاته ، وهو علم العقيدة ، ثم يلي ذلك ما يتعلق بحقه على عباده، وما شرعه من الأحكام وما ينتهي إليه العاملون ، ثم ما يتبع ذلك مما يعين عليه ويوصل إليه من علم قواعد اللغة العربية ، والمصطلحات الإسلامية في أصول الفقه، ومصطلح الحديث ، وفي غير ذلك مما يتعلق بذلك العلم ويعين عليه، وعلى فهمه ، والكمال فيه[١].

من هذا المفهوم ، ندرك أن الفقه في الدين لا يتم إلا بتحصيل العلوم الشرعية، فليس كل عالم بأي علم من علوم الحياة أو العلوم الإنسانية ، أو غيرها يعد فقيهاً بل الفقه لا يتم إلا بتحصيل العلوم المستمدة من كتاب الله ﷻ ، ومن سنة نبينا محمد ﷺ ومن هدي وعلم السلف الصالح ، وما عداه فإنه علم مقيد ، فيقال علم الفلك ، أو علم الطب ، أو علم الحساب ، ولا يقال العلم بإطلاق إلا للعلم الشرعي[٢].

فالعلم الشرعي هو أفضل العلوم ، وهو الجدير بالطلب والحرص على تحصيله، لأنه به يعرف الله سبحانه وتعالى ، وبه يعبد، وبهذا العلم يعرف ما أحل الله، وما حرم، وما يرضيه ، وما يسخطه ، وبهذا العلم يعرف المصير إليه ، والنهاية من هذه الحياة[٢]، قال النبي ﷺ (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، فإنما أنا**

---

(١) انظر : العلم وأخلاق أهله ، الشيخ عبد العزيز بن باز ، مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ٣٢ ، ص ٨٠٧

(٢) الفقه في الدين ، د. ناصر العقل ، ط١ (الرياض : دار إمام الدعوة للنشر ، ١٤١٣هـ) ص١٠ .

(٢) العلم وأخلاق أهله ، الشيخ عبد العزيز بن باز ، ص٧ .

قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) [١] .

والله ﷻ أوجب العلم قبل القول والعمل فقال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[٢] وقد بوب الامام البخاري -رحمه الله- باباً بعنوان (العلم قبل القول والعمل) وذلك أن الله أمر نبيه ﷺ بأمرين : بالعلم ، ثم العمل ، والمبدوء به العلم في قوله تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) ثم أعقبه بالعمل في قوله : (واستغفر لذنبك) فدل ذلك على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل وأن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو مقدم عليهما ، لانه مصحح للنية المصححة للعمل[٣] .

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله- في معنى قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[٤] :

(ولا بد لنا أن نعلم الفرق في هذه الآية الكريمة وما ماثلها من الآيات بين العلم بلا إله إلا الله وبين مجرد التلفظ بها ، فالله ﷻ يأمرنا أن نعلم بأنه لا إله إلا الله، وحينئذ يتبين لنا أن الله افترض على عباده من الجن والإنس أن يعرفوا معنى لا إله إلا الله لكي يستغفروه ويعبدوه على بصيرة ، لكي لا يضلوا كما ضل النصارى ، وافترض الله على عباده معرفة معنى لا إله إلا الله لكي يعرفوا معنى المعبود ، حتى لا يقعوا في عبادة عبد من عبيد الله ، أو مخلوق آخر من مخلوقاته ، كما قد وقع من كثير من المنتسبين للإسلام الذين عبدوا الأنبياء والصالحين وغيرهم)[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ج١ ، ص٣٩ ، رقم الحديث ٧١ .

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ) ، ج١ ص١٦٠ ، ج٦ ص٣٨٨

(٤) سورة محمد ، الآية : ١٩ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص١٩٧ .

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ وقد يكون علم من غير الرسول ، لكن في أمور دنيوية مثل : الطب والحساب والفلاحة والتجارة)[١] .

والتعلم له طريقان بحسب طاقة الناس :

الطريق الأول : من كان قادراً على تلقي العلم من شيوخه بالجلوس عند ركبهم، ودراسة العلوم عليهم ، وجب عليه أن يتعلم الحد الواجب من العلوم .

الطريق الثاني : من لم يكن قادراً على ذلك ، فعليه أن يتعلم عن طريق السؤال، فيسأل أهل الذكر وأهل العلم عن المسائل الضرورية التي يصحح بها إيمانه ويصحح بها عمله .

وقد سلك أصحاب رسول الله ﷺ كلا المسلكين ، كل على قدر طاقته وعلى قدر إمكاناته، فالمهاجرون والأنصار الذين كانوا معه ﷺ في المدينة المنورة أكثرهم تلقوا العلم من فم رسول الله ﷺ ومن لم يسمعه من فمه ﷺ سمعه ممن سمعه منه ﷺ وكثير من المسلمين في عهده ﷺ الذين لم يستطيعوا التعلم بهذه الطريقة، تلقوه بطريق السؤال، كانوا يأتون إلى الرسول ﷺ من كل حدب وصوب يسألون عن الضروري من أمور دينهم[٢] ؟

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (**ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم ، أو متعلم**)[٣] .

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة على فضل العلم ، وشرفه ، وفضل أهله، من ذلك استشهاد الله ﷻ بأهل العلم على أجل مشهود به وهو (التوحيد)، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة حيث قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[٤] ، وفي ضمن ذلك تعديلهم ، فإنه ﷻ لا يستشهد بمجروح[٥] ، كما أخبر ﷻ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ج١٣ ص١٣٦ .

(٢) منهج السلف في تلقي العلم الشرعي ، عبد الباسط بن محمد خليل ، (الدوحة : دار الثقافة والطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ) ص٤-٥ .

(٣) سنن الترمذي ، ج٤ ، ص٥٦١ ، رقم الحديث ٢٣٢٢ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٠هـ) ج٢ ص٤٤١ .

أنهم هم الذين يخشونه على الحقيقة والكمال ، فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١) .

ومن معلوم أن كل مسلم يخشى الله ، وكل مؤمن يخشى الله ، ولكن الخشية الكاملة إنما هي لأهل العلم وعلى رأسهم الرسل -عليهم الصلاة والسلام - ثم من يليهم من العلماء على طبقاتهم ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء(٢) .

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (ويكفي في شرفه أن فضل أهله على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وأن الملائكة لتضع لهم أجنحتها ، وتظلهم بها ، وأن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في البحر ، وحتى النمل في جحرها ، وأن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير) (٣) .

وعن معاذ -رضي الله عنه- قال : (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وبذله قربة ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة).

وعن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : (باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً ، وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً) .

وقد ظهر بما ذكرناه أن الاشتغال بالعلم لله تعالى أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة ، وصيام ، وتسبيح ، ودعاء ، ونحو ذلك ، لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس ، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها ، ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها ، ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليس ذلك للمتعبدين ، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره ، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها ، ولأن في بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

(٢) فضل العلم وشرف أهله ، الشيخ عبد العزيز بن باز ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، العدد (١) ، السنة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، ص١١ .

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية ، ص٤٤١ .

الملة [١] .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي [٢] -رحمه الله- في العلم وفوائده :

(الناس كلهم في الظلمات إلا من استنار بنور العلم ، وجعل الله طريق الجنة والصراط المستقيم مركباً من العلوم النافعة ، ومن الأعمال الصالحة . العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، العلم يصحبك في دورك الثلاث : في الدنيا، وفي البرزخ ، ويوم يقوم الأشهاد . والمال إن فرض وجوده صحبك صحبة منكدة في حال الحياة الدنيا . العلم نور يهتدى به في ظلمات الشكوك والجهالات ، وحياة تقيم العبد وتوصله إلى الجنات ، ما زال علم العالم يعمل به أو يعلم أو يستفاد منه ، فصحيفة حسناته في ازدياد في حال الحياة وبعد الممات ، بأي شيء يعرف الله ويهتدى إلى صراط الله ، وبأي شيء يهتدى إلى الفرق بين الأحكام الخمسة التابعة لجميع الحركات والسكنات ، وبأي شيء يهتدى إلى الفرقان بين الهدى والضلال ، والغي والرشاد ، وبأي شيء تعرف الاعمال الصالحة ؟ والله لا يتمكن من شيء من ذلك إلا بالعلم ، والعلم هو الأساس الأعظم لجميع المعاملات ، وهو الشرط لصحة الأقوال والأعمال)[٣].

فقوام الدين بالعلم والجهاد ، ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد والسنان ، وجهاد بالحجة والبيان ، وهذا الثاني هو جهاد الأئمة ، وهو أفضل

---

(١) انظر : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، الشيخ بدر الدين بن جماعة الكناني ، (مطبعة أم القرى ، ١٣٥٨هـ) ص٦ .

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي ، الشهير بعلامة القصيم ، ولد في عنيزة عام ١٣٠٧هـ، رشح لقضاء عنيزة عام ١٣٦٠هـ ، وامتنع منه تورعاً ، عين إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة عام ١٣٦١هـ ، وفي عام ١٣٧٣هـ عين مشرفاً على المعهد العلمي بعنيزة ، له العديد من المؤلفات ، توفي رحمه الله عام ١٣٧٦هـ .

- انظر : روضة الناظرين ، محمد القاضي ، ج١ص٢١٩-٢٢٦ .

- حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي في سطور ، أحمد القرعاوي (عنيزة : مكتبة الأمة ، ١٤١٣ هـ) ص١١-١٢

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، الثقافة الإسلامية ، عبد الرحمن السعدي ، ط٢ (عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤١٢هـ) ج١ ص٤١٨-٤١٩ .

الجهادين ، لعظيم منفعته وشدة مؤونته وكثرة أعدائه .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ ﴾[1]، فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضاً ، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين ، بل كانوا معهم في الظاهر. قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[2]، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن[3] .

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- عن أهمية العلم باعتباره نوعاً من الجهاد : (وطلب العلم داخل في الجهاد لحديث : **من خرج لطلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**)[4]

ولقد عُني الشيخ محمد -رحمه الله- بتعلم العلم الشرعي وتعليمه ، إذ هيأ الله له علماء أتقياء أخذ عنهم العلم والفضل والتقى والصلاح ، فبعد حفظه للقرآن الكريم شرع في طلب العلم على هؤلاء العلماء ، وابتدأ بحفظ المتون العلمية في التوحيد والفقه والفرائض والحديث والنحو، وأقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير حتى نبغ في فنون عديدة ، وكان لا يحس بالملل في المطالعة والقراءة ولا يسأم.

ولما توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عام ١٣٣٩هـ -رحمه الله-، عينه الملك عبد العزيز -رحمه الله- خلفاً لعمه في الفتيا ، وإمامة المسجد والتدريس، واستمر معلماً ما يقرب من خمسين سنة ، وكان خلال هذه المدة شاغلاً جميع وقته للتعليم ينتقل بين حلقاته في مسجد الشيخ ، وفي بيته العامر[5].

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٣

(٣) العلم رفعة وخشية ، يوسف على بديوي ، ط١ (دمشق : دار الكلمة الطيبة ، ١٤١٧هـ) ص٣٢-٣٣

(٤) سنن الترمذي ، ج٥ ص٢٩ ، رقم الحديث ٢٦٤٧ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وللاستزادة انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص٢٠٣ .

(٥) أنظر : مشاهير علماء نجد وغيرهم ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ،

يقول تلميذه الشيخ محمد بن قاسم -رحمه الله-: (ولما توفي شيخه سعد بن عتيق عام ١٣٤٩هـ ، وتوفي قبله الشيخ حمد بن فارس عام ١٣٤٧هـ توسع في مجالس التدريس ، واستقل بأكثرها إلى جانب أعمامه -رحمهم الله- وغيرهم من أفاضل العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس على فترات متعاقبة في بعض العلوم، ولكن ينبغي أن نؤكد أن الشيخ محمد -رحمه الله- له النصيب الأوفر في كثرة المجالس ، وكثرة القاصدين له من طلبة العلم ، وعموم النفع ، فقد كان يعمر أكثر نهاره بالتدريس)[١].

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: (فالعلماء الذين وفقوا لحمل هذا العلم طبقتان :

إحداهما حصلوا العلم وفقهوا العمل به ، والتفقه فيه ، واستنبطوا منه الأحكام، فصاروا حفاظاً وفقهاء ، نقلوا العلم وعلموه الناس وفقهوهم فيه ، وبصروهم ونفعوهم ، فهم ما بين معلم ومقرئ ، وما بين داع إلى الله عز وجل ، ومدرس للعلم إلى غير ذلك من وجوه التعلم والتفقه .

أما الطبقة الثانية فهم الذين حفظوه ونقلوه لمن فجر ينابيعه ، واستنبط منه الأحكام، فصار للطائفتين الأجر العظيم والثواب الجزيل والنفع العميم للأمة)[٢].

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- يؤكد على ضرورة نشر العلم ، ويحذر من العواقب الوخيمة التي تنتج عن الجهل . ففي رسالة موجهة منه -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء بهذا الخصوص قال فيها :

(وغير خاف على سموكم الكريم ما يجب على الدولة نحو الرعية من نشر المعرفة بينهم وإصلاح أحوالهم الدينية والدنيوية ، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم واستقامتهم ، ولا ريب في أن بقاءهم بمثل هذا الوضع المزري من فشو الجهل بينهم ، وإهمالهم بدون مدارس ولا أئمة ولا مرشدين شيء لا تبرأ به الذمة وقد ينتج عنه ما لا تحمد عقباه من انتشار الفواحش والمنكرات والجرائم ، إلى غير ذلك

ص١٣٥ .

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١١ .

(٢) فضل العلم وشرف أهله ، الشيخ عبد العزيز بن باز ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، ص١٢ .

من الأمور الكثيرة والشرور المستطيرة[١].

المطلب الثاني : جهوده في إقامة المؤسسات التعليمية

كان للشيخ -رحمه الله- أثر كبير في تأسيس كثير من المؤسسات العلمية والشرعية وله في ذلك جهود عظيمة في النهوض بها ووضع الأسس لبنائها ، ووضع الخطط والمناهج لها ، كما كان له بعد قيامها : الإشراف عليها والمتابعة لها[٢]، وبيانها فيما يأتي :

أولاً : المعهد العلمي بالرياض : وهو أول معهد يؤسس في مدينة الرياض على المستوى الثانوي ، وقد جاء إنشاء هذا المعهد بعد عودة الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله- من رحلته العلاجية إلى مصر حين أبدى للملك عبد العزيز -رحمه الله- إعجابه بالأزهر ومعاهده العلمية [٣]، إضافة إلى تقدمه في السن بحيث لا يستطيع مواجهة القاصدين إليه من طلاب العلم ، ورأى أن تأسيس قاعدة عريضة للتعليم الشرعي أصبح ضرورة بسبب اتساع البلاد وحاجتها إلى العلماء في شتى المجالات[٤]. عند ذلك أمر الملك عبد العزيز -رحمه الله- بإنشاء المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ تحت إشراف الشيخ محمد -رحمه الله- وأسند سماحته إدارة هذا المعهد إلى شقيقه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم -رحمه الله- واختار سماحته عدداً من تلاميذه وألحقهم بالسنة الثالثة في المعهد نظراً لقراءتهم عليه وتحصيلهم السابق [٥].

وقد ركز المعهد في مواده على العلوم الشرعية ، وهي القرآن وتجويده ، والتوحيد والتفسير وأصوله، والفقه وأصوله، والفرائض ، والحديث ومصطلحه.

وكان الإقبال على المعهد كبيراً حتى أنه احتضن بعض الطلبة من أبناء

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٢٠٦ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٤١ .

(٣) من سوانح الذكريات ، الشيخ حمد الجاسر ، (المجلة العربية ، العدد ٢٠٤ ، محرم ، ١٤١٥هـ) ص ٢١.

(٤) انظر : حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٤١ .

(٥) مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ص١٤٠ .

مصر والشام واليمن والصومال والحبشة وباكستان والهند وغيرها[١]، وانتدب للتدريس فيه نخبة ممتازة من الأساتذة منهم مشايخ من داخل المملكة ، ومنهم علماء من الأزهر ، ومدرسون من وزارتي الأوقاف والمعارف المصرية ، ومن بلاد المغرب والشام ، حتى وصل عددهم إلى ثلاثين مدرساً ، وكان عددهم في أول افتتاحه سبعة مدرسين فقط[٢].

وقد اهتمت إدارة المعهد بتأسيس مكتبة خاصة بأساتذة المعهد وطلابه ، فتكونت مكتبة ضخمة تضم أمهات الكتب الدينية واللغوية ، والتاريخية ، بلغ عدد مجلداتها أكثر من ألف مجلد[٣]، وكان تخرج أول دفعة من ذلك المعهد عام ١٣٧٢ هـ ، ولهذا افتتحت لهم كلية الشريعة بالرياض[٤].

وفي عام ١٣٧٤هـ حصل سماحته -رحمه الله- على أمر ملكي يخوله بافتتاح معاهد أخرى بمناطق المملكة ، فأمر بافتتاح خمسة معاهد أخرى في كل من (شقراء ، والإحساء ، والمجمعة ، ومعهد إمام الدعوة بالرياض وسامطة)[٥]، واستمر بعد ذلك تزايد افتتاح معاهد أخرى في باقي مناطق المملكة .

وكانت الدراسة في هذه المعاهد التي تضم المرحلتين المتوسطة والثانوية إلى عام ١٣٧٦هـ أربع سنوات ، وفي ذلك العام أصبحت خمس سنوات ، وابتداءً من عام ١٣٩٠هـ أدخل تعديل على منهج هذه المعاهد ، حيث أصبحت مدة الدراسة فيها ست سنوات ، وفصلت المرحلة الثانوية عن المتوسطة مدة كل منها ثلاث سنوات يمنح الطالب في نهاية المرحلة الثانوية شهادة المعاهد العلمية الثانوية

---

(١) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خمسة عقود ، عمادة البحث العلمي ، (الرياض : الإدارة العامة للثقافة والنشر ، ١٤١٩هـ) ص٦١ .

(٢) الكتاب السنوي عام ١٣٩٤هـ - ١٣٩٥هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ص٨٨ .

(٣) التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، عبد الله الحقيل ، (ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، ص١٢ .

(٤) الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المملكة ، عبد الله العثيمين ، (محاضرة أعدت بمناسبة الأسبوع الثقافي السعودي في الجزائر ١٤٠٤هـ) ص١١ .

(٥) مشاهير علماء نجد وغيرهم ،الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ص١٤٠.

التي تؤهله للالتحاق بالدراسات الجامعية [١].

ثانـــياً : كلية الشريعة وكلية اللغة العربية بالرياض : أنشئت كلية الشريعة عام ١٣٧٣هـ امتداداً للمعهد العلمي في الرياض الذي أمر به الملك عبد العزيز -رحمه الله - بـاقتراح من الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- -كما ذكرنا آنفاً- ليواصل طلاب المعهد دراستهم الجامعية فيه بهدف تخريج أفواج يشغلون مناصب التدريس للعلـوم الشـرعية بالدرجة الأولى في المعاهد والمدارس ما فوق الابتدائية ، وكذلك تولي منصب القضاء في أنحاء المملكة [٢].

وكـان أعضـاء هيـئة التدريس فيها أربعة فقط كلهم من السعوديين ، وهم العـلماء الأفاضل المشهود لهم بالعلم الشرعي ، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- ثم في عام ١٣٧٥هـ كان عدد المدرسين في الكلية سبعة ، منهم اثنان من السعوديين ، وخمسة من غيرهم ، ثم تضاعف عدد المدرسين بعد ذلك [٣].

أما مواد الدراسة فهي امتداد للمواد التي تدرس في المعاهد العلمية ، حيث تركـزت على العلوم الشرعية ، ثم العلوم العربية وهي (تفسير وحديث وتوحيد وفـرائض وفقـه وأصوله ، وقواعد وعلم العروض والبلاغة ، والتاريخ والتربية) ثـم خفـف التركيز على العلوم العربية بعد افتتاح كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٣٧٤هـ بعد وفاة الملك عبد العزيز -رحمه الله- بسنة ، وتولي ابنه الملك سعود - رحمه الله- الحكم [٤].

وبـتزايد المعاهد العلمية وقيام كلية الشريعة واللغة العربية في الرياض كان لابـد من إيجاد إدارة عامة لها تشرف عليها ، تسير أمورها وتخطط لمستقبلها فكانت (الإدارة العامـة لـلمعاهد العلمـية والكلـيات) برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم -

---

(١) التعليم العام في المملكة العربية السعودية ، د. حمد إبراهيم السلوم (١٤١١هـ) ص١٧٤ .

(٢) انظر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خمسة عقود ، ص٦١-٦٢ .

(٣) انظـر : كلـية الشـريعة والدراسات الإسلامية في ٢٠ عاماً ، جامعة الملك عبد العزيز ، (١٣٩٤هـ) ص١٢١٣.

(٤) جامعة الإمام محمد بن سعود في خمسة عقود ، ص٦٢ .

رحمه الله- نائبه في ذلك أخوه فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم [١]-رحمه الله-. وبوفاة الشيخ عبد اللطيف خلفه في ذلك الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم [٢].

من هذه المعاهد والكليات قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عهد الملك فيصل -رحمه الله- عام ١٣٩٤هـ [٣].

ثالثاً : **الإشراف على الرئاسة العامة لتعليم البنات** : اقتصر تعليم الفتاة على الكتاتيب فقط في بعض المدن النجدية مثل : الرياض ، والزلفي ، وبريدة ، وعنيزة، والرس ، وعيون الجوا ، والشماسية ، وحائل وغيرها ، وقد ذكر بعض الباحثين وجود مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم للبنات في الرياض أسست عام ١٣٧٠هـ ، وكذلك قسم للبنات في معهد الأنجال بالرياض أنشئ عام ١٣٧١هـ ، وكذلك أيضاً مدرسة السديري للبنات في مدينة القريات شمال نجد ، وكلها مدارس تشبه الكتاتيب أو أرقى منها قليلاً . ولم يظهر التعليم الحكومي للفتاة بالمملكة إلا بعد عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله-، وبالتحديد عام ١٣٨٠هـ ، في عهد الملك سعود -رحمه الله- إذ بعد دراسة مستفيظة لظروف البلاد الاجتماعية قررت الدولة أن تفتح مدارس حكومية للفتيات في تلك السنة[٤]، ولحرص ولاة الأمر على أن يكون التعليم النسوي متمشياً مع الشرع المطهر ،

---

(١) عبد اللطيف بن إبراهيم : ولد في الرياض عام ١٣١٥هـ ، كان جليس أخيه سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم -رحمه الله - يحضر له الدروس ويراجع له المسائل ، فحصل له من هذه الملازمة والمراجعة الخير الكثير والعلم الغزير ، جلس لطلاب العلم في الفرائض والنحو ، ثم نائباً لأخيه في إدارة المعاهد والكليات ، توفي عام ١٣٨٦هـ . انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، ج٣ ص٥٥٣ -٥٥٤

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم : ولد في الرياض عام ١٣٣٧هـ ، عمل مديراً للمكتبة السعودية ، ثم مديراً بمعهد الرياض العلمي ، وهو أول مدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تولى رئاسة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم عين مستشاراً بالديوان الملكي وعضو بمجلس الشورى ، له مؤلفات عديدة منها أوضح المسالك لمعرفة أحكام الناسك ، وسيلة الذاكرين . انظر : موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية ، ج٢ ص٥٩٦ .

(٣) لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية ، عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٢هـ) ص٥٣-٥٤ .

(٤) التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، أ . د. محمد السلمان ، (الرياض : الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ١٤١٩هـ) ص١٧٩ .

أسندوا الإشراف على هذا المرفق المهم إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- حيث صدر مرسوم ملكي عام ١٣٧٩هـ يقضي بوجوب فتح مدارس لتعليم البنات في المملكة ، وقد نص على ما يلي :

(الحمد لله وحده . وبعد : فقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من قرآن، وعقائد وفقه، وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية : كإدارة المنزل، وتربية الأولاد وتأديبهم ، مما لا يخشى منه في العاجل أو الآجل أي تأثير على معتقداتنا وتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على أفكار النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم . وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين والشفقة على نشء المسلمين لتنظيم هذه المدارس ووضع برامجها ، ومراقبة حسن سيرها فيما أنشئت له، تكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على أن يختار المدرسات من أهل المملكة أو غيرهن من اللواتي يتحقق فيهن حسن العقيدة وصدق الإيمان ، ويضم في هذه المدارس ما سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة ، وتكون جميعها مرتبطة في التوجيه والتنظيم إلى هذه اللجنة تحت إشراف سماحته ، مع العلم أن التشكيل يتطلب الوقت الكافي لتهيئة وسائل التأسيس، ونأمل أن يكون ذلك في وقت قريب والله الموفق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[١]، فاجتمع الشيخ محمد بن ابراهيم -رحمه الله- بالعلماء والمشايخ لهذا الأمر، وأسند رئاسة هذا التعليم إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رحمه الله[٢].

إن قبول سماحته لهذه المهمة هو في الحقيقة فتوى علمية بشرعية هذا النوع من التعليم ، وتطمين المتخوفين على المرأة من أن هذا الجهاز التعليمي المستقل هو بأيدي أمينة[٣]، حيث كان -رحمه الله- يتابع الإشراف والتوجيه المتواصل ، من

---

(١) التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة العربية السعودية ، د. إبراهيم محمد إبراهيم ، ص١٤٨-١٤٩

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٥١ .

(٣) لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة ، عبد العزيز آل الشيخ ، ص١٤٤ .

ذلك إرساله خطاباً إلى وزير المعارف يوضح له استقلالية تعليم البنات عن المعارف جاء فيه:

(وبعد : فضيلتكم يعرف أصل ما أذن فيه من تعليم البنات في المملكة ، واختيار عبد العزيز بن رشيد لرئاستها أن ذلك من قبلنا ، وعن علم واتفاق من المشايخ معنا ، وذلك على أسس موجودة ومعلومة معروفة ، مغزاها الحيطة على البنات، وألا يتسرب إليهن من الفساد وأسبابه ما تسرب إلى البلاد الأخرى . كما تعرفون أن هذه المدارس لا تعلق لها بالمعارف إطلاقاً ، وفي معلومكم أن إسناد رئاسة مدارس البنات إلى الشيخ عبد العزيز بن رشيد باختيارنا نحن والمشايخ شامل لكل مدارس البنات في المملكة)[١] .

رابعاً الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة : يقول الشيخ عبد الله البسام - حفظه الله- : (إن الدعوة الإسلامية الصحيحة ونداء المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم الصحيح هو جل ما تعنى به حكومتنا -أيدها الله- فكانت تبذل في هذا المضمار كل ما من شأنه تبصير المسلمين ، وغير المسلمين بالدين الإسلامي . ومن هذه الجهود : إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فأنشأتها وجعلت النسبة الكبرى من الدارسين فيها لغير السعوديين فكان المترجم له - الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- هو المشرف على تأسيسها ، والرئيس العام لها)[٢] .

فالجامعة الإسلامية مؤسسة إسلامية عالمية من حيث الغاية ، عربية سعودية من حيث التبعية ، تم إنشائها في عهد الملك سعود -رحمه الله- عام ١٣٨١هـ ، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- أول رئيس للجامعة ، وذلك لما عرف عن سماحته من كفاءة عالية وإخلاص لا حدود له ، ولما كان يحظى به سماحته من ثقة وتقدير من ولاة هذه البلاد[٣].

وتهدف الجامعة الإسلامية إلى تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم من المسلمين من شتى الأنحاء ، وتكوين فقهاء في الدين مزودين من العلوم بما يؤهلهم

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، محمد بن قاسم ، ج١٣ ص٢٠ .

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، ج١ ص٢٥٠ .

(٣) انظر : الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط١ (المدينة المنورة : مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، دار العلم ، ١٤١٩هـ) ص٢١٣ .

لحل ما يعرض للمسلمين من مشكلات في شؤون دينهم ودنياهم على هدي الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح [١] .

وحين افتتاح الجامعة كانت تشتمل على مرحلتين :

الأولى : عالية فيها السنة الأولى فقط من كلية الشريعة ، وعدد الطلاب فيها أربعة وثمانون طالباً .

الثانية : ثانوية : فيها السنة الأولى فقط ، وعدد الطلاب فيها مائة وثلاثة وسبعون طالباً ، وهؤلاء الطلاب ينتمون إلى سبع وعشرين دولة .

وفي عام ١٣٨٦هـ نشر المرسوم الملكي بالموافقة على نظام الجامعة المشتمل على إنشاء كلية ثانية تسمى كلية الدعوة وأصول الدين ، وقسم متوسط [٢] .

وبعد وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- أنشئت كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية عام ١٣٩٤هـ ، ثم كلية اللغة العربية عام ١٣٩٥هـ ، وكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية ، وبالإضافة إلى هذه الكليات تضم الجامعة قسماً للدراسات العليا [٣] .

يتبين لنا مما سبق أن الشيخ -رحمه الله- كان له أثر بارز في تأسيس تلك الجامعة ، والإشراف عليها ، لما رأى أن هذا الخير في نشر العلم لا ينبغي أن يكون قاصراً على أبناء المملكة ، بل ينبغي أن يشمل أبناء المسلمين من آفاق الإسلام كلها ، فأنشئت الجامعة تحت إشرافه وبرئاسته [٤] ، وخرجت إلى دنيا الوجود صرحاً شامخاً ومَعلماً تعليمياً بارزاً يؤدي وظيفته في خدمة الإنسان المسلم أينما

---

(١) كل شيء عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، مجلة المنهل ، العدد ٥٥٥ شوال ١٣٨٦هـ ص٣٣ .

(٢) كل شيء عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عبد العزيز بن باز ، مجلة المنهل ، شوال ، ١٣٨٩ هـ ، ص٣٣ .

(٣) انظر : دور التعليم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية ، عبادة خياط ، ط١ (جدة: دار البيان العربي ، ١٤٠٣هـ) ص١٣٤-١٣٥ .

- الدليل المختصر عن جامعات العالم ، حسين عبد الجليل علي ، دار الاعتصام ، ص٢٢ .

(٤) انظر: فقهاء معاصرون، عبدالفتاح أبو غدة، من كتاب العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم، محمد الرشيد، ص٤٥ .

كان وحيثما وجد[١].

المطلب الثالث: الخصائص والتوجيهات العلمية للشيخ - رحمه الله -

أولاً : خطورة الجهل : بين الشيخ - رحمه الله - الآثار الناتجة عن الجهل ، ومبلغ الخطر الذي يتهدد المجتمع والأمة نتيجة لذلك ، ومن ذلك قوله في رسالة موجهة إلى رئيس مجلس الوزراء :

(وغير خاف على سموكم الكريم ما يجب على الدولة نحو الرعية من نشر المعرفة بينهم ، وبإصلاح أحوالهم الدينية والدنيوية ، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم واستقامتهم ولا ريب في أن بقائهم بمثل هذا الوضع المزري من فشو الجهل بينهم ، وإهمالهم بدون مدارس ولا أئمة ، ولا مرشدين شيء لا تبرأ به الذمة ، وقد ينتج عنه ما لا تحمد عقباه من انتشار الفواحش والمنكرات ، والجرائم إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة والشرور المستطيرة[٢]) .

والحق كل الحق مع سماحة الشيخ -رحمه الله - لأن الجهل داء عضال يفتك بالأمم ، والخير كل الخير في طلب العلم ، لما تقدم من فضله في الكتاب والسنة ، وأن أمة ترضى بالجهل ستجني عواقب ذلك في تخلفها الحضاري في مجالات الحياة كافة ، في النواحي العلمية والاجتماعية ، والاقتصادية ، وغيرها[٣].

إن الانسجام التام لا يكون إلا بين العلم والدين ، لأن غاية التعليم فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً ، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها ، وتزويد الطالب بالقيم والأحكام الإسلامية ، وبالمثل العليا ، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً ، واجتماعياً ، وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه[٤].

---

(١) الإنطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، عبدالله بغدادي، ط٢ (جدة: دار الشروق، ١٤٠٦ هـ) ج٢، ص٤٦٨.

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٢٠٦ .

(٣) انظر : آداب المتعلمين ، د. أحمد عبد الله الباتلي ، ط٢ (الرياض : دار القاسم للنشر ، ١٤١٨هـ) ص٢٠٥ .

(٤) انظر : أفكار تربوية ، د. ابراهيم عباس نتو ، ط١ (جدة : مكتبة تهامة ، ١٤٠١هـ) ص٣١-٣٢ .

والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى العلم النافع ، والعمل الصالح ، وإن فيها لأكثرية لا تحسن تقرأ الفاتحة ، ولا تعرف ما ينقض وضوءاً ، ولا ما يفسد صلاة ، بل إن الأمر أخطر من هذا ، فإن الوضوء إذا كان هناك ما يفسده ، فكذلك الإيمان هناك ما ينقصه [١] .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- : (إن الإنسان في الأصل خلق ظلوماً جهولاً : ليس فيه هدى ولا علم صحيح ، ولا برهان ويقين في المطالب العالية المقصودة ، إلا من جهة الطرق التي بعث الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ... فالعلم والهدى الإجمالي والتفصيلي هو هدي الله ، فلا يليق برحمة الله وحكمته وحمده أن يترك العباد مهملين سدى بلا رسالة ، وتعريف ما يصلحهم حالاً ومآلاً ... فجميع الهدى والعلوم النافعة الموجودة في الأرض ، والمعارف النافعة، والإيمان الصحيح ، وتوابع ذلك من آثار النبوة والرسالة) [٢].

وأشرف الصناعات بعد النبوة إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة [٣].

ثانياً : تأهيل المعلمين : قال رسول الله ﷺ : (**كل مخلوق ميسر لما خلق له**)[٤]، وهكذا فإن من اختاره الله لمهمة التعليم لا بد له من أن يتحمل هذه المسؤولية الجسيمة، لأن التربية والتعليم أصبحت رسالته ، وعليه أن يعتبرها من أسمى الرسالات ، لأنها تضع الأساس السليم لكل رسالة أخرى ، فالمربي القدير، والمعلم الصالح هو أحد المصلحين الذين يسهمون بنصيب وافر من السمو بمجتمعاتهم ، وبث أحسن المبادئ الخلقية والدينية ، والاجتماعية بين أبنائها ، كما أن طبيعة المعلم التي تحتم عليه التعامل مع أنماط مختلفة من التلاميذ

---

(١) انظر : ذم الجهل وبيان قبيح أثره ، د. محمد بن سعيد بن رسلان (القاهرة : دار العلوم الاسلامية) ١٩١ .

(٢) انظر : المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، ثقافة اسلامية ، ج٢ ص٣٠٢ .

(٣) الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، عبد الله بغدادي ، ص٢٣٤ .

(٤) صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٨٩١ ، رقم الحديث ٤٦٦٦ .

تقضي بأن يكون ذا شخصية متكاملة ومتعددة الجوانب[١].

لقد أجمعت تقارير اللجان المؤلفة لإصلاح التعليم في البلاد الأخرى على أن المعلمين يجب أن يكونوا من خير الناس عقلاً ، واستعداداً ، وأن المعول كله في إصلاح التعليم على المعلمين[٢].

والشيخ -رحمه الله- وجه اهتماماً خاصاً بقضية المعلم والسبيل الأمثل لإعداده وتطويره ، وإذا ما أمعنا النظر في رسالة الشيخ التي تهتم بضرورة وجود المعلم الكفء القادر على حمل هذه الرسالة ، عرفنا عظيم ما يتهدد التعليم من خطر محقق . يقول الشيخ -رحمه الله- في رسالة موجهة إلى ولي العهد : (اطلعت -حفظك الله - على كتاب الشيخ ابن حميد من خصوص ما ذكره عن المعارف من أهميتها وخطرها الكبير ، وتولي أناس لا يهمهم الدين لشؤونها من توظيف موظفين ، وتعيين الكتب التي تدرس ، ووضع تراجم أناس هم من أعداء الملة والدين ، ومن رؤوس الحرب لله رب العالمين ، ومن أسئلة اختبارات إلى غير ذلك ما إن ترك في أيدي هؤلاء فعلى الدين العفا والله المستعان ، وقد أنذرنا وأعذرنا)[٣].

وقد بعث الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى أحد القضاة يسأله عن رجلين تقدما له بطلب الإجازة في الدعوة والإرشاد : (فأنتم أفيدونا عن ديانة وتقوى المذكورين وتمسكهما بالقواعد الشرعية قولاً وعملاً ومعرفتهما بالدعوة إلى الله ﷻ ، وطرقها وقواعدها الموضحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومكانتهما من معرفة المصالح والمفاسد ، ومراعاة التسكين والتعقل والرزانة ، وفق الله الجميع إلى الخير والصلاح)[٤].

فلا بد من الاهتمام باختيار رجال التربية والتعليم ، بحيث يكونوا من ذوي الكفاية العلمية ، والتربوية ، والفنية ، والخلق الإسلامي النبيل . والسياسة التربوية إذ تشترط توفر الخلق الإسلامي النبيل في رجال التربية والتعليم ، فإنما

---

(١) انظر : الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، عبد الله بغدادي ، ص١٧١-١٧٢

(٢) انظر : الاتجاهات الجديدة في سياسة التعليم ، صلاح البكري ، (القاهرة : مطبعة المدني) ص٣٩

(٣) انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ص٢٠٧ .

(٤) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٥٩ .

تدرك أن العلم وحده لا يصنع مربياً ، فلا يكفي أن يكون المربي متمكناً من مادته، ملماً بأحدث النظريات التربوية ، بل يجب أن يكون قبل ذلك مربياً مسلماً مؤمناً بالله ، ورعاً صالحاً، مدركاً لجسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه ، عارفاً أن الله سوف يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة في تعليم أبناء الإسلام [١] . وهذا ما أشار إليه الشيخ -رحمه الله- في إذنه لأحد الدعاة بالوعظ . يقول : (وبناءاً على ما عرفناه من حسن نية المذكور واستقامته في ديانته فقد أذنا له بالوعظ والإرشاد في المسجد الحرام ، والمساجد الأخرى بمكة ، وغيرها في حدود العلوم التي هضمها ، من علم التوحيد والعقيدة السلفية ، وأن يجتنب كل ما لا يعنيه ، وعليه في ذلك تقوى الله وخشيته ، لأنه موقوف بين يدي الله ، ومسؤول عن كل ما أسلفه) [٢] .

ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة ، فإن كانت العقيدة غير صحيحة ، بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال [٣] .

كما أن الورع يدعو إلى الثقة والاطمئنان ، وهما أعز ما يحرص عليه الطلاب في مدرسيهم ، ثقة في صلابة العقيدة ، وثقة في غزارة العلم ، وثقة في مكانة الخلق ، وثقة في صدق الود ، واطمئنان إلى كل ما يصدر عنهم من رأي وسلوك [٤] .

ثالثاً : المناهج الدراسية :

السياسة التعليمية تنص بكل جلاء على أن تكون المناهج الدراسية منبثقة من مبادئ الإسلام ، ومن مقومات الأمة ،وأسس نظامها ، وأن تكون موافقة لحاجاتها لتحقيق أهدافها [٥].

---

(١) نظام وسياسة التعليم في المملكة ، أ.د. سليمان الحقيل ، ط٧ (الرياض ، ١٤١٤هـ) ص١١٢

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٨ .

(٣) العقيدة الصحيحة ونواقص الإسلام ، الشيخ عبد العزيز بن باز ، (الرياض : إدارة التوعية والتوجيه) ص١ .

(٤) طرق تدريس التربية الإسلامية ، عابد توفيق الهاشمي ، ط٥ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨ هـ) ص٣٦ .

(٥) الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية ، عبد الله بغدادي ، ١٨١ .

وقد حرص الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- على ملاحظة المناهج ونقدها وتوجيهها الوجهة الإسلامية ، يدلنا على ذلك قوله : (أما الأنسب بهذا الخصوص فالأولى أن يأمر ولي العهد حفظه الله على مدير المعارف بإرسال صورة من البرنامج تتمشى عليه المعارف في جميع أقسام الدراسة الابتدائية ، والثانوية ، والعالية ، والمنهج الإداري لجميع أقسام المعارف)[١].

فأول منهج دراسي أصدرته مديرية المعارف عام ١٣٤٥هـ ، كان من أهم ملامحه[٢]:

١-عنايته الفائقة بالعلوم الدينية ، فقد صمم المنهج ليخرج طلاباً متمسكين بأحكام دينهم الحنيف .

٢-حرصه على تزويد الطالب بقدر كاف من العلوم يمكنه من خدمة الوطن بصورة أفضل .

٣-تأكيده على تنمية الروح الإسلامية والعربية .

وقد انتقد الشيخ -رحمه الله- في رسالة وجهها إلى وزير المعارف ما يدرس في منهاج العلوم مما يتعلق بكيفية صنع الخمور ، يقول سماحته -رحمه الله-: (وبعد : بلغنا أنه يوجد في الصحيفة ٢٠٠ من الجزء الثاني من كتاب العلوم الذي يدرس للمتوسطة الثانية كيفية عمل الخمر وتركيبه وقد أحضرنا الكتاب المذكور وطالعناه فوجدنا ذلك حقيقة ، وتعجبنا كيف يكون ذلك ، ولذا وجب إخباركم عن ذلك لتقوموا حول هذه المسألة بما يجب من إبعاد هذا الكتاب ، ومجازاة من أقر تدريسه . وتعلمون تمام العلم ما يترتب على ذلك من مفاسد أخلاقية . والنشء نشء المسلمين ، وقد جعلهم الله أمانة في أعناق القائمين على تربيتهم وتعليمهم ، وبحسب حسن التربية والتوجيه أو سوئهما تظهر النتيجة . ونحن في انتظار إفادتنا بما تتخذونه حيال هذا الكتاب ، ومن جلبه وأقر تدريسه)[٣] .

وهذا يدل على حرص الشيخ -رحمه الله- على توجيه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها ، وموادها منهجاً ، وتأليفاً ، وتدريساً ، وجهة إسلامية في معالجة قضاياها حتى تكون منبثقة من الإسلام متناسقة مع الفكر الإسلامي السديد .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٢٠٧ .

(٢) نظام وسياسة التعليم في المملكة ، أ. د. سليمان الحقيل ، ص١٩.

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٢١ .

المبحث الثاني

جهوده في مجال القضاء

المطلب الأول : الجانب النظري لجهود الشيخ في مجال القضاء

القضـــاء لغـــة : عـلى وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه . وكل ما أحكم عملـه ، أو تـم ، أو ختـم أو أدى أداء ، أو أوجب ، أو أعلم ، أو أنفذ ، أو أمضى فقد قضى[١] .

القضـــاء اصطلاحاً : قـال عنه ابن خلدون -رحمه الله-: منصب الفصل بين الـناس في الخصومات حسماً للتداعي ، وقطعاً للتنازع ، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة[٢] .

وقـد بـذل الشـيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- جهوداً جليلة وعظيمة في مجال القضاء تنوعت ما بين جوانب نظرية ، وجوانب عملية . أما الجوانب النظرية فهي :

الفرع الأول : وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية

إن الـناظر في حـياة الشـيخ -رحمـه الله- ومـا كـان عليه من عمل جاد في سـبيل نشـر العـلم والـتعريف بالعقيدة السليمة وترسيخها في نفوس العامة وبيان أحكـام الإسـلام والدعـوة إلـيها عـن طريق تدريسه وفتاواه ونصائحه ، ورسائله الكـثيرة التي كان يرسلها إلى جهات مختلفة في الداخل والخارج ، وخطبه في الجامع الكـبير ، وخطـبه وخطاباتـه في الـرابطة وغيرهـا ، إن من يطلع على ذلك يلمس الجهود العظيمة التي بذلها -رحمه الله- في سبيل الدعوة إلى الإسلام ، ومن مظاهر هـذه الجهـود ، بعـث الرسـائل والنصائح إلى العلماء والمؤسسات العلمية المختلفة لنصـحهم ، ودعوتهـم إلى العمـل الجـاد في وجـوب تحكـيم الشريعة الإسلامية ،

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ط١ (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق، ج٢ ص٤٧ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ط١ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٩٦م) ، ص٢٢٠ .

ودعوة من ورائهم من المسلمين إلى الشريعة المحمدية[١].

يقول سماحته -رحمه الله- في إحدى رسائله : (ولما كان تحكيم الشريعة الغراء والتحاكم إليها فرضاً على المسلمين بنص القرآن ، وذلك يقتضي أن يكون أساساً هذا الدستور إسلامياً بحيث لا يشرع فيه حكم ينافي الشريعة ، امتثالا لأمر الله تعالى وضماناً لسلامة الشعوب والأوطان واستحقاقها لنصر الله ونجاتها في الدنيا والآخرة)[٢] .

وفي رسالة أخرى يؤكد سماحة الشيخ -رحمه الله- حرصه الشديد على وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية وحدها دون غيرها يقول : (وتحكيم الشرع وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه ، إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له ، وأن يكون رسوله ﷺ هو المتبع المحكم ما جاء به فقط)[٣] .

والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية أمر مرتبط بالإيمان بالله عز وجل ، لذلك كان التمسك بها وتطبيقها هو عين عبادة الله وطاعته ، يقول الشيخ -رحمه الله-: (ومن أعظم طاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، التحاكم إلى شريعته والرضا بحكمها، والتواصي بذلك والحذر كل الحذر مما خالفها ، عملاً بقول الله عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[٤] .

أقسم الله -سبحانه- في هذه الآية الكريمة أن العباد لا يؤمنون حتى يحكموا الرسول ﷺ فيما شجر بينهم ، وينقادوا لحكمه راغبين مسلمين من غير كراهية ولا حرج)[٥] .

وجاء في رسالة من رسائل سماحته -رحمه الله- محذراً بتحذير الله من

---

(١) انظر : حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. الأطرم ، ود. العمار ، ص ١٩٧ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص١٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج١٢ص٢٥١ .

(٤) سورة النساء ، آية : ٦٥ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٢٥٨ .

يعرض عن الكتاب والسنة يقول فيها : (وهذا تحذير شديد من الله سبحانه لجميع العباد من الإعراض عن كتابه وسنة رسوله ﷺ والتحاكم إلى غيرهما ، وحكم صريح من الرب عز وجل على من حكم بغير شريعته بأنه كافر وظالم وفاسق ومتخلق بأخلاق المنافقين وأهل الجاهلية)[١] .

ويعترض الشيخ -رحمه الله- على إحالة بعض القضايا إلى محاكم لا تحكم بشرع الله . ففي رسالة وجهها -رحمه الله- إلى نائب رئيس مجلس الوزراء قال فيها: (ولا يخفى -حفظكم الله ووفقكم- أن المتعين شرعاً أن يكون النظر في جميع الدعاوى من قبل المحاكم الشرعية ولهذا لم نر وجها شرعياً لصرف النظر في بعض الدعاوى إلى غير المحاكم الشرعية)[٢] .

ويبين سماحته -رحمه الله- أهمية تناصح المسلمين فيما بينهم من خلال تعظيم كتاب الله ، وسنة نبيه محمد ﷺ والتمسك والعمل بهما ، وكما في أغلب فتاواه ورسائله فإنه يسوق الأدلة والبراهين من الكتاب والسنة على أهمية التمسك بالشريعة الإسلامية قولاً وعملاً ، يقول -رحمه الله-: (فمن أهم الأمور التي يجب فيها التناصح والتواصي تعظيم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والتمسك بهما ودعوة الناس إلى ذلك في جميع الأحوال لأنه لا سعادة للعباد ولا هداية ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بتعظيم كتاب الله وسنة نبيه الأمين ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً والاستقامة على ذلك والصبر عليه حتى الوفاة ، لأن الله ﷻ أمر عباده بطاعته وطاعة رسوله وعلق كل خير بذلك ، وتهدد من عصى الله ورسوله بأنواع العذاب والخزي في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[٤] ، ففي هذه الآيات

---

(١) المرجع السابق ، ج ١٢ص٢٦٠ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٢٥٠ .

(٣) سورة النور ، آية : ٥٤ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٥٥ .

المحكمات الأمر بطاعة الله ورسوله والحث على اتباع كتابه ، وتعليق الهداية والرحمة ودخول الجنات بطاعة الله واتباع كتابه العظيم وتعليق الفتنة والعذاب المهين بمعصية الله والرسول)[١] .

الفرع الثاني : التحذير من القوانين الوضعية

أنزل الله ﷻ القرآن العظيم ، وبعث عبده ورسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، وحجة على جميع البشر على اختلاف أجناسهم وأعراقهم . قال تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[٢] .

وكانت الشريعة الإسلامية التي أمر الله ﷻ بتطبيقها والعمل بها شريعة سمحة لا تضاهيها شريعة ، بل إنها قد نسخت كل الشرائع التي كانت قبلها ، فنظمت حياة الناس ، وارست دعائم الحق والعدل ، وقضت على الظلم والجور فكانت الدواء الشافي والمعافي الذي لا يضاهيه دواء ، ولا يمكن لأي أمة أن تسعد إلا بهذا الدواء . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[٣] .

وكل أمة حكمت شرعاً غير شرع الله ﷻ قد شقيت وباءت بالفشل الذريع، والواقع أوضح برهان على ما تتخبط به الأمم التي تحكم قوانيناً وضعية هي من صنع البشر ، وما تلاقيه هذه الأمم من ضروب الجور والظلم ، والإنحلال الأخلاقي والعقدي ، تلك القوانين التي ارتفعت بها حتى وطأت سطح القمر ، لكنها لم ترتفع بأخلاقها ومعاملاتها شبراً واحداً .

فالشريعة الإسلامية لا تقارن بالقوانين الوضعية ولا تتساوى معها ، لأن

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٢٥٨ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١٣ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٤٤ .

القوانين الوضعية من صنع البشر ، أما الشريعة الإسلامية فهي من عند الله ﷻ ولا تقاس على القوانين لأن قاعدة القياس تقتضي مساواة المقيس بالمقيس عليه ، ولو من وجه ، وكل ذلك منعدم بين الشريعة والقانون [١] .

ولقد سعى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- دأبه على الحض على تطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ ما سواها من القوانين الوضعية ، وعمل جاهداً في نصح عامة المسلمين والقضاة وغيرهم على العمل لتطبيق شريعة الإسلام ، تلك الشريعة الخالية من معاني النقص والهوى والجهل ، وهذا بخلاف ما يضعه البشر من أنظمة وقوانين معرضة للتغير ويعتريها النقص والزلل ، وتكفير من يعمل بها.

يقول سماحته -رحمه الله-: (وإن من أقبح السيئات وأعظم المنكرات التحاكم إلى غير شريعة الله من القوانين الوضعية والنظم البشرية وعادات الأسلاف والأجداد التي وقع فيها الكثير من الناس اليوم وارتضاها بدلاً من شريعة الله التي بعث بها رسوله ﷺ ولا ريب في أن ذلك من أعظم النفاق ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق وأحكام الجاهلية التي أبطلها القرآن وحذَّر منها الرسول ﷺ قال تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [٢] .

وجاء في رسالة قيمة لسماحته -رحمه الله- في حكم تحكيم القوانين الوضعية : (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين ، مناقضة ومعاندة لقول الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

---

(١) انظر : منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي ، محمد بن الأمين الأنصاري ، ط١ (الرياض : مكتبة الأنصار ، ١٤٠٤هـ) ص٢٧٦ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٠-٦١

تَأْوِيلاً ۝﴾ [١]، فيفيد أن الرد إلى غير الرسول ﷺ عند التنازع شر محض وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة) [٢].

إن المسلمين الصالحين يعلمون بأن الحكم بالقوانين المستوردة من دول الكفر التي وضعها بعض رجال القانون في البلاد الإسلامية ولا سيما في المواد التي هي صريحة في مخالفة الكتاب والسنة الصحيحة أو الحسنة كفر بلا ريب وضلال ، لا يرقى إليه شك كإباحة الربا وممارسة الزنا والشذوذ الجنسي وإلقاء الحد على الزاني وشارب الخمر والسارق والمحارب ونحو ذلك [٣]، يقول الشيخ -رحمه الله- في هذا المضمار : (الذين لا يحترمون الشرائع ولا يعظمون الله أرادوا إضلال الناس بالقوانين الملعونة الإفرنجية فهم يقعون في أهل الشريعة ويقولون أن الشريعة لا يحصل بها قطع النزاع وليس فيها بيان الحق ، وهذا في الحقيقة روح المصادمة والمحاربة لما جاء به الرسول ﷺ من الشرع المطهر ووضع شُبه تصد عن الصراط المستقيم وهو عبادة الله وحده) [٤].

وفي ردِّ سماحته -رحمه الله- على رسالة أحد المسؤولين بخصوص تعيين أعضاء قانونيين بجانب الأعضاء الشرعيين في هيئة المصالحات والفصل في الخلافات التي تنشأ عن تطبيق الأنظمة التجارية التي تصدر بها مراسيم وأوامر سامية ، يستنكر سماحته -رحمه الله- هذا الإجراء لأن الأحكام التي سوف تصدر عن هذه الهيئة ستفتح باب تحكيم القوانين الوضعية ، يقول الشيخ -رحمه الله- ما نصه: (وهذا بلا شك يجعل هذه الأحكام خاضعة لآراء هؤلاء القانونيين كما أنها خاضعة لآراء الشرعيين ، وهذا فيه تسوية بين الشرع والقوانين الوضعية وفتح باب لتحكيم القوانين الوضعية واستبدال الشريعة الإسلامية السمحاء بها فالقانون ورجاله لا يجوز بحال من الأحوال أن يحكموا بين الناس لأنهم إذا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

(٢) انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٣) القوانين الوضعية في ميزان الشريعة الإسلامية ، أحمد بن عبد الرحمن الحصين ، (ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ص٣١) .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج ٢ص٦ .

حكموا في أمر فسيحكمون بما تقتضيه القوانين الوضعية المخالفة لدين الله وشرعه لأنهم لا يحسنون سواه وما يصدر منهم من الأحكام التي توافق الحكم الشرعي فهو إنما جاء عن طريق الصدفة وعن غير قصد للأمر الشرعي) [١] .

وجاء في رسالته -رحمه الله- إلى فضيلة سكرتير عام جمعية العلماء المركزية في -دلهي- الهند : (إنه مما يسرنا ويسرُّ كل مسلم غيور على دينه أن يتكون من الجمعيات العامة التي تهدف إلى إصلاح الأوضاع والتمسك بأصل الدين وتعاليمه الشريفة ومحاربة كل ما خالف الشريعة الإسلامية من البدع والخرافات والدجل ، وكذلك ما هو أهم من ذلك ما يدخله الملحدون والزنادقة والمستشرقون وغيرهم في أفكار بعض المسلمين في تشكيكهم في أصل دينهم وتضليلهم عن سنة نبيهم ﷺ وشريعته وتحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية ، وأهم من ذلك معرفة أصل التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ وتحقيقه علماً وعملاً ومحاربة ما يخالفه من الشرك الأكبر الذي يخرج عن الملة أو من أنواع الشرك الأصغر ، وهذا هو تحقيق معنى لا إله إلا الله وكذلك تحقيق معنى محمد رسول الله من تحكيم شريعته والتقيد بها ونبذ ما خالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان) [٢]

ومما جاء في إحدى نصائح سماحته -رحمه الله- في وجوب رفض القوانين الوضعية: (وإني إذ أقرر هذه الأصول العظيمة الواجبة الاتباع أستنهض همم إخواني المسلمين في داني الأرض وقاصيها وأستثير عزائمهم إلى التمسك بذلك والاعتناء به وأدعوهم إلى أن يرجعوا إلى ربهم في سرهم وعلانيتهم ويصدقوا فيما بينهم وأن تتصافى قلوبهم وتتوحد كلمتهم وتجتمع صفوفهم ويكون الهدف والقصد واحداً وهو تحكيم الشرع الشريف ورفض القوانين الوضعية التي عُزِل بها الكتاب والسنة) [٣].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج ١٢ص٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) انظر كامل الرسالة في فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١/ ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٨٠-٨٣.

الفرع الثالث : التأكيد على استقلال القضاء وحصانته

ومبدأ استقلال القضاء وحصانته من أكثر المبادئ رسوخاً في التاريخ والفقه الإسلامي فمصادر الفقه الإسلامي حافلة بالنصوص التي تركز على استقلال القضاة وعدم التدخل في شئونهم .

وقد نصت المادة (٤٦) من النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية على أن (القضاء سلطة مستقلة ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية)[١] .

وقد أكدت هذه المادة بهذا النص أمرين لاستقلال القضاء:

أ-عدم التدخل في مصادر أحكامه ، وذلك بقصرها على أحكام الشريعة الإسلامية والنظم المرعية .

ب- استقلاله عن سلطات الدولة الأخرى ، ومنع أي ' أحد ' فرداً ، أو مسؤولاً أو مؤسسة من التدخل في القضاء[٢] .

ثم إن استقلال القاضي يرجع إلى متانة أخلاقه ، وشجاعته في إمضاء الحق، والوقوف في وجه الأهواء والعواصف ، ولو ضحى في سبيل ذلك بمركزه ، وهذا هو ما اتصف به قضاة السلف[٣] .

ومن هذا المنطلق ومن خلال عمل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- كرئيس للقضاة كان له الكثير من المواقف النبيلة ، من خلال وقوفه إلى جانب القضاة وضرورة حفظ استقلالهم وحصانتهم وكرامتهم ، فقد كان سماحته يهاله أن يسمع أحدهم يتكلم عن قاض بسوء أو يشوه سمعته ، أو أن يسيئ الأدب معه ، وكان -رحمه الله- دائم الوقوف في صف القاضي ما دام القاضي على حق . ففي رسالة موجهة إلى حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد

---

(١) انظر : الشريعة الإسلامية تحكم ، د. منير عبد الحميد هارون ، ط١ ، (الرياض ، الإسراء للخدمات الإعلامية ، ١٤١٤) ، ص٤٣ ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص٤٤ .

(٣) التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية ، سعود بن سعود آل دريب ، ط١ (الرياض : مطابع حنيفة للأوفست ، ١٤٠٣هـ) ، ص٣٦٦ .

ضمنها شكايته من أن أحد الأشخاص قام بالاجتراء على شخص القاضي قال فيها سماحته : (وحيث إننا نعرف عنكم تعضيد الشرع ورجاله ونعهد فيكم الغيرة الإسلامية والاهتمام التام بكل ما من شأنه رفع قيمة القضاء وحماية الشريعة وتعزيز حملة العلم ورجال الشرع ، إذ غير خاف على سموكم الكريم أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى الإجراءات الرادعة التي توقف كل متهور عند حده وتحفظ للقضاء هيبته ، وتكون منها أعظم عظة لكل من تسول له نفسه العبث والاستهانة بالشرع وإشاعة الفوضى)[١] .

وفي رسالة أخرى لسماحته -رحمه الله- عن أحقية انتهار القاضي للخصم إذا التوى وتعزيره إذا استحق : (نفيدكم أن العلماء قد نصوا على أن للقاضي أن ينتهر الخصم إذا التوى ، وأنه إذا استحق التعزير عزره بما يرى من أدب لا يزيد على عشرة أسواط وحبس ، كما نصوا على أنه إذا افتات الخصم على القاضي فله تأديبه إلى أن يقول : ومما تقدم يتضح أن تولي القاضي للحكم في مثل هذا شيء سائغ له ولا سيما مع حصول ما لا يخفى سموكم من كثرة افتيات الخصوم على القضاة وإهانتهم ، وهذا شيء يلفت النظر ويجب أن يوضع له حد يحفظ للقضاء حرمته وحصانته)[٢].

ومما جاء في رسالة أخرى له -رحمه الله- تبين موقفه من ضرورة استقلال القضاء وحصانته : (ولا يجوز للأخصام ولا يسهل لهم في القضاة ولا في موظفي محاكمهم ، ومن المعلوم قطعاً أن بعض الخصوم لا يبالي في مجلس القاضي بل يسيء الأدب ، ومنصوص في كلام أهل العلم أن للقاضي تأديب من يستحق التأديب إذا أساء الأدب واستعمل ما لا يليق بموقف حاكم الشرع)[٣] .

ومن مظاهر وقوفه -رحمه الله- إلى جانب القضاة سعيه لدى ولاة الأمور باستثناء القضاة من نظام التقاعد عند بلوغ السن النظامية للتقاعد واستثنائهم من اشتراط لياقة القاضي طبياً ، ومن إجراء المسابقة والنجاح في وظيفة القاضي ، فقد

---

(١) انظر كامل الرسالة في فتاوى ورسائل الشيخ ، ج١٢ ص٣٤١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ج١٢ ص٣٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج١٢ص٣٣٧-٣٣٨ .

نصت المادة ٣٧ على (أن يكون القاضي متمتعاً بالأهلية الكاملة للقضاء حسب ما نص عليه شرعاً)[١].

كما جاء في خطاب وجهه -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء في : (أما اشتراط لياقة القاضي طبياً فقد أوضح العلماء رحمهم الله الشروط التي يتعين توفرها في القاضي وليس ذلك منها ولهذا فإن الضرورة في بعض الأحيان تدعو إلى تولية مكفوفي البصر الذي هو فقدان حاسة هامة بكاملها فضلاً عما دون ذلك ولو أخذ بهذا الشرط لفقدت الرعية تولية كثير من أهل العلم والدين والورع والأخلاق الفاضلة)[٢].

ومما ورد في الخطاب أيضاً : (أن توقف وظيفة القضاء على إجراء المسابقة والنجاح في امتحانها ينجم عنه بقاء أكثر الوظائف شاغرة لعدم توفر الرغبة في القضاء لمشقة وعظم مسؤولياته وخطره ، وعلى فرض وجود متسابقين لنيل الوظيفة فإن الشروط المطلوبة توفرها في القاضي لا تكفلها شروط المسابقة المنصوص عليها في النظام فإنه يجب بقدر الإمكان توفر الثقة من ناحية الديانة والعفة والورع وتوفر الذكاء والعقل بجانب توفر المؤهلات العلمية ، وبالإضافة إلى ما تقدم فإن إجراءات المسابقة على فرض وجود متسابقين معناه إفساح المجال لطلب القضاء ، وقد نص العلماء على تحريم ذلك ، وعملاً بقول النبي ﷺ (**إنا لا نولي عملنا من سألناه**)[٣].

الفرع الرابع : توجيه القضاة وإرشادهم

إن من يقرأ رسائل الشيخ -رحمه الله- وفتاواه يجد كثرة الرسائل التي يوجهها للقضاة في مختلف أنحاء المملكة ، لتوجيههم وإرشادهم ، وتمييز

---

(١) النظام الإداري في المملكة العربية السعودية ، يوسف إبراهيم السلوم ، ص٨٧ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٣٢٦ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٣٢٦ ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ، ج٥ ، ص٥٧٢ ، رقم الحديث ١٩٢٤٢ . وصححه الألباني في الجامع الصغير ، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٨هـ) ج٢ ص٢٦٩ .

صكوكهم وأحكامهم.

فمن توجيهاته ، تذكير القضاة بين حين وآخر بواجب الدعوة ، فلقد أرسل إلى أحد القضاة خطاباً جاء فيه : (إن العلم يقضي على صاحبه القيام بواجب البيان والمناصحة ، والتذكير ، والإرشاد ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[١] فالواجب علينا وعليكم المذاكرة في ذلك وحثّ الناس على التمسك بهذا الدين ، وتعليم جاهلهم ، وتنبيه غافلهم ، وعليك بصفتك مسؤولاً عما ولاك الله عليه أن تعين وقتاً من أوقاتك تجلس فيه في السوق يقرأ عليك ...)[٢].

وفي رسالة أخرى إلى أحد القضاة قال -رحمه الله- : (لا يخفاكم فضل الدعوة إلى الله ، وأنها مقام رسل الله وخلفائهم ، وأنتم أهل كلمة ، ومقام في بلادكم، والواجب عليكم أن تقوموا بما أوجب الله من النصيحة والإرشاد ، وتقفوا حياتكم على الدعوة إلى توحيد الله الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ... ونعتقد أن هذا الأمر على بالكم ولكن أحببنا مذاكرتكم ولفت نظركم إلى هذا المهم العظيم)[٣].

وفي تعميم وجهه -رحمه الله- إلى جميع القضاة بخصوص وجوب النظر في جميع القضايا ، وعدم إحالة بعضها إلى جهات أخرى يقول : (فقد بلغنا أن بعض القضاة يردُّ بعض القضايا إلى مكتب العمل والعمال أو غيرها من الدوائر بحجة أن ذلك من اختصاص جهة معينة ، وغير خاف أن الشريعة الإسلامية كفيلة بإصلاح أحوال البشرية في كل المجالات وجميع النواحي المادية وغيرها ، وفيها كفاية تامة لحل النزاع وفض الخصام وإيضاح كل مشكل ، وفي الإحالة إلى تلك الجهات إقرار للقوانين الوضعية وموافقة على الأنظمة المخالفة لقواعد الشريعة المطهرة ، وإظهار للمحاكم بمظهر العجز والكسل ، وإعلان عن التنصل عن الواجبات والتهرب من المسئوليات ، فاعتمدوا النظر في كل ما يرد إليكم ، والحكم فيه بما

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ص٢٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٨٨ .

يقتضيه الشرع الشريف ، واجتهدوا في إنجازه وإتقانه بكل ما تستطيعون ، واحذروا من أي قضية من أي جهة ، وما أشكل عليكم فاكتبوا لنا عنه)[١] .

وفي رسالة أخرى وجهها -رحمه الله- إلى القضاة لاتخاذ الإجراءات اللازمة في حال إعراض الناس عن تعلم أمور دينهم من قبل أئمة المساجد ما نصه : (يتعين على إمام كل مسجد أن يقوم بعد صلاة فجر كل يوم بتعليم ثلاثة أشخاص من جماعة مسجده أو أكثر حسب الاستطاعة أصول الدين كمختصر ثلاثة الأصول ، وشروط الصلاة ، وأن يتعاهد جماعة مسجده بالنصيحة والتذكير والدرس ، ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم ، ويعلمهم ما يخفى عليهم فيها ، ومن طلب مهلة لتذكرها وتحفظها فيمهل ، ومن امتنع من ذلك يلزم به من قبل الإمام والمؤذن ، والهيئة، وإن لم يتمثل فيرفع باسمه إليكم لتقوموا حوله بما يلزم براءة للذمة ونصحاً للأمة)[٢] .

المطلب الثاني: الجانب العلمي لجهود الشيخ رحمه الله في مجال القضاء

الفرع الأول : توحيد رئاسة القضاء

التنظيم القضائي دعامة قوية يقوم عليها بناء الدولة ، وهو يهتم بوضع وتطبيق القواعد والأحكام التي توصل إلى حماية الحقوق العامة والخاصة ، وفصل الخصومات ، وقطع المنازعات [٣] .

وللقضاء مكانة رفيعة في الإسلام فالحكم صفة من صفات الله ﷻ فهو أحكم الحاكمين ، لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٤] كما أنه وظيفة الأنبياء، والمرسلين لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ص٢٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج١ص٨٩ .

(٣) التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية ، سعود بن سعد آل دريب ، ص٢٣ .

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤١.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [١] .

كما وضح النبي ﷺ أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب ، أو أخطأ حيث قال : **(وإذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)** [٢] .

وهكذا فإن نظرة الإسلام إلى القضاء والقضاة نظرة احترام وتقدير ، وهذا الاحترام ليس لشخص القاضي ، بل لكونه منفذاً لأحكام الشريعة الإسلامية القائمة على العدل والإنصاف . فالقضاء القائم على العدل والإنصاف إحدى الدعائم الأساسية للدولة ، وإحدى سلطاتها الرئيسة ، ويعدُّ واجباً عليها وأساساً قويماً في حياتها وبنائها [٣] .

ونظراً للظروف السياسية السابقة لتوحيد هذه البلاد ، فإن القضاء في منطقة نجد وملحقاتها استمر على نظامه التقليدي المتوارث في فض المنازعات وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، يقوم به القاضي والأمير ، فالأمير يحاول أن يوفق بين الخصمين ، أو يحيل القضية إلى القاضي ، فإن رضي الطرفان بالحكم نفذ من دون عناء ، وإن أبياه أو أباه أحدهما رفع إلى الأمير ليتولى تنفيذه [٤] .

أما القضاء في منطقة الحجاز فقد كان متأثراً بالقضاء العثماني ، والمذهب السائد في المدن هو المذهب الحنفي ، إلى جانب باقي المذاهب الثلاثة الأخرى ، وخصوصاً المذهب الشافعي في غير الحواضر [٥]، أما البوادي فقد اتبعت النظام القبلي القائم على العرف والسوابق ، يقوم بتنفيذه رجال مشهود لهم بالحكمة ، والاطلاع على العادات القَبَلية [٦] .

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ج٦ ص٢٦٧٦، رقم الحديث ٦٩١٩ .

(٣) انظر : التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي وتطبيقه في المملكة العربية السعودية ، محمد مصطفى الزحيلي ، ط١ (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٠هـ) ص٢٣ .

(٤) انظر : التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، حامد محمد أبو طالب ، ط١ (القاهرة : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ) ص٤ .

(٥) التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ، للدكتور سعود آل دريب ، مرجع سابق ، ص٣٠٣ .

(٦) التنظيم القضائي في المملكة ، حامد أبو طالب ، ص١٧ .

وبعد ضم الحجاز إلى الدولة السعودية استمرت إدارة القضاء على ما كانت عليه ، وأهم ما ظهر في هذه الفترة استحداث منصب رئيس القضاة في الدولة، وأسندت هذه الوظيفة إلى الشيخ عبد الله بن بليهد[١] عام ١٣٤٣هـ ، ثم إلى الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ [٢]عام ١٣٤٦هـ ، وفي عام ١٣٤٥هـ صدر الأمر الملكي القاضي بتوحيد النظام القضائي بحيث يكون المذهب الحنبلي هو الأساس ، وفقاً لمضار تضارب الأحكام ، وتعدد المراجع [٣]، وأصدر العلماء الفتوى الداعية إلى إلغاء القوانين الوضعية التي كانت سائدة أثناء الحكم العثماني للحجاز ، ولا يحكم إلا بالشريعة الإسلامية [٤].

ثم صدر نظام تشكيلات المحاكم الشرعية ، وذلك في عام ١٣٤٦هـ والذي تم بموجبه تنظيم المحاكم وتصنيفها ، وتحديد اختصاصاتها ووظائفها ، إذ شكلت المحاكم على ثلاث درجات وهي : المحاكم المستعجلة -المحاكم الشرعية- هيئة المراقبة القضائية[٥].

ولم يكن في نجد والمنطقتين الشرقية والشمالية قبل عام ١٣٧٢هـ إدارة تعنى

---

(١) هو عبد الله بن سليمان بن سعود بن بليهد ، ولد ببلدة الفرعاء بالقصيم عام ١٢٨٤هـ ، وفي عام ١٣٣٣هـ عينه الملك عبد العزيز - رحمه الله - قاضياً لقرى القصيم وبواديها حتى عام ١٣٤١هـ ، حيث عين قاضياً في مدينة حائل ، ثم رئيساً للقضاة في مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ ، وفي عام ١٣٤٥ هـ رجع إلى حائل ، واستمر في القضاء والوعظ والتدريس والإفتاء حتى توفي عام ١٣٥٩هـ. انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري ، ج٢ ص٧٠١-٧٠٢ ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص٣٤٤-٣٥١.

(٢) عبد الله بن حسن آل الشيخ ، ولد بالرياض عام ١٢٨٧هـ ، تعلم فيها حتى أصبح من كبار العلماء، رافق الملك عبد العزيز في الكثير من أسفاره وحروبه ، وبعد ضم الحجاز عينه إماماً في المسجد الحرام ثم رئيساً للقضاء بالإضافة إلى رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغيرها ، استمر عمله حتى وفاته عام ١٣٧٨هـ . انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، البسام ، ج٤ ص ٦٤-٦٦ .

(٣) انظر : البلاد العربية السعودية ، فؤاد حمزة ، ط٢ (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ) ص١٩٧ .

(٤) جزيرة العرب في القرن العشرين ، حافظ وهبة ، ص٣٢١ .

(٥) تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ، ابراهيم العتيبي ، ص٢٣١ .

بشؤون القضاء وما يلحق به ، كما لم تعرف تقسيمات المحاكم ودرجاتها ما عدا إنشاء محكمة مستعجلة بالرياض عام ١٣٦٩هـ ، وكان القاضي يقوم بنظر جميع القضايا التي تعرض عليه ويصدر بشأنها ما يراه من أحكام ، وكان مرجع القضاة إلى الملك عبد العزيز نفسه ، يعينهم ، ويراجعونه في معظم شؤون القضاء[١] .

واستمر هذا الوضع إلى عام ١٣٧٢هـ عندما أنشئ في نجد إدارة للإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية ، وعين الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- مفتياً ومرجعاً عاماً للعلماء .

وفي عام ١٣٧٦هـ أحدثت رئاسة للقضاء في نجد والمنطقتين الشرقية والشمالية برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-[٢] .

وبعد وفاة سماحة رئيس القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن حسن -رحمه الله- عام ١٣٧٨هـ وحدت المحاكم في المملكة ، فصار الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رئيس القضاة العام في المملكة العربية السعودية ، فنظم المحاكم وعين القضاة ، وأشرف على أعمالهم[٣] .

وبهذا توحدت رئاسة القضاة تحت نظر واحد ، مما كان له إثر إيجابي ظاهر في اتساق الأوامر ، والتعليمات الصادرة لقضاة المحاكم ، واتحاد النظر في الإجراءات، وتدقيق الأحكام في عموم محاكم المملكة ، مما أعطى فرصة عملية نحو توحيد صيغ العمل القضائي ، وأنماطه وفق منهجية واحدة[٤] .

ثم شُكلتْ محاكم التمييز في الرياض ومكة عام ١٣٨١هـ ، فأسند إلى سماحته أمر إعادة النظر في القضايا المنتهية بأحكام من القضاة جرى تمييزها من محكمتي التمييز في الرياض أو مكة ، فكان عمله -رحمه الله- في هذه القضايا في

---

(١) انظر : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، الزركلي ، ج٢ ص٤٢٧ .

(٢) تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ، ابراهيم العتيبي ، ص٢٣١ .

(٣) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج٢ ص٦٦٦ .

(٤) تطور التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، مجلة المنهل ، العدد (٥٥٥) شوال ، ١٤١٩ هـ ص١٤

عموم المملكة عمل محكمة تمييز عليا تشبه الآن عمل المجلس الأعلى للقضاء بهيئته الدائمة .

ويعطينا سماحة الشيخ -رحمه الله- صورة واضحة عن سير العمل في المحاكم من خلال إجابة سماحته لمدير الإذاعة والصحافة والنشر عن طلبه الإجابة عن بعض النقاط المتعلقة بالقضاء فمما قاله : (تنقسم المحاكم الشرعية إلى ثلاثة أقسام محاكم كبرى : وتشتمل على رؤساء ومساعدين وأعضاء على قدر الحاجة واللزوم ومحاكم متوسطة ، ومستعجلات . وقد حدد اختصاص كل محكمة من المحاكم المذكورة ، ورسمت لها خطة صلاحيتها، وما يضرح لها بالنظر فيه، وزودت بالجهاز الكافي من الكَتَبَة والموظفين ..

كما أن (الرئاسة) هي المرجع للقضاة ولدوائرهم الرسمية في شتى شئونهم واختصاصاتهم الشرعية ، وتعليماتهم الإدارية ، تشرف على أعمالهم بجولات تفقدية، وترشدهم لمناهج الإصلاح العام ، وتجيب عن أسئلتهم واستفتاءاتهم فيما يشكل عليهم فهمه ، أو يَعْسُرُ عليهم توجيهه أثناء النظر في المرافعات بين أرباب المصالح ، وتقوم الرئاسة بتدقيق الأحكام المحتاجة للتمييز بعد صدورها من قضاة المحاكم ، ومن ثم تقرر ما يجب شرعاً : إما بتصديق الحكم والأمر بتنفيذه ، أو بيان ما اعتراه من نقص ومخالفة للدليل الشرعي لفهم شذ من حاكم القضية ، ثم ترجعه إلى حاكم القضية ليقوم بما يلزم حول الحكم المذكور ، ومن ثم يوضع الحكم في موضعه ويعاد الحق لمستحقه)[1].

الفرع الثاني : إنشاء المعهد العالي للقضاء

كان طبيعياً بعد إنشاء المعاهد العلمية بصفتها الرافد الذي يُعدُّ الطلاب إعداداً جيداً ويؤهلهم للمرحلة الجامعية ، وافتتاح الكليات التي تستقبل هؤلاء الطلاب ، وطبقاً للسياسات المتأنية والمدروسة ، وتحقيقاً للتدرج المنطقي في مراحل التعليم المختلفة ، أصبح من اللازم إيجاد فرص للطلاب المتفوقين في المرحلة الجامعية لمواصلة دراساتهم العليا في المجالات التي برزوا فيها ، فكانت فكرة إنشاء

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٣٠٠ .

أول معهد للدراسات العليا في المملكة ، وهو (المعهد العالي للقضاء) الذي افتتح في عام ١٣٨٥هـ ، حيث صدر المرسوم الملكي الكريم رقم (٤) وتاريخ ١٢/ ٣/ ١٣٨٥هـ بافتتاح المعهد العالي للقضاء بالرياض للدراسات العليا التخصصية في مجال القضاء وما يتصل به من علوم شرعية [١] .

ويعتبر إنشاء المعهد العالي للقضاء ثمرة لتلك الجهود المباركة التي بذلها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-، ومن المآثر الخالدة لجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته .

وبصدور المرسوم الملكي الكريم ذو الرقم (٥٠) وتاريخ ٢٣/ ٨/ ١٣٩٤ هـ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، أصبح المعهد العالي للقضاء وحدة تعليمية كالوحدات الأخرى بالجامعة ، إلا أنه مختص بالدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه ، ونظام الدراسة فيه تحكمه لائحة الدراسات العليا التي وافق عليها المجلس الأعلى للجامعة في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٤٠٢هـ وما طرأ عليها من تعديل [٢] .

وينقسم المعهد قسمين :

(١) قسم السياسة الشرعية . (٢) قسم الفقه المقارن .

وتتلخص أهداف المعهد فيما يلي :

١- تعميق الدراسات الفقهية المقارنة .

٢- إعداد الكفاءات العلمية المتميزة في القضاء والتدريس ، والبحث العلمي، والتحقيق ، والإدعاء العام والخاص ، والاستشارات .

٣- إثراء المكتبات الإسلامية بالبحوث المتخصصة في مجال القضاء والسياسة الشرعية ، والفقه الإسلامي المقارن [٣] .

النظام الأساسي للمعهد العالي للقضاء : نص النظام الأساسي للمعهد العالي

---

(١) انظر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خمسة عقود ، ص٢٢ ، دليل الدراسات العليا ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إعداد : إدارة الدراسات العليا ، (أشرف على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ) .

(٢) جامعة الإمام في خمسة عقود ، ص١١٤ .

(٣) جامعة الإمام في خمسة عقود ، ص١١٤ .

للقضاء في بداية إنشائه على مايلي :

١- ينشأ معهد للتخصص باسم (المعهد العالي للقضاء) يكون مقره مدينة الرياض ، الغرض منه إعداد قضاة أكفاء لتولي مناصب القضاء .

٢- يرأس المعهد رئيس الكليات والمعاهد العلمية ، وعند الاقتضاء يجوز تعيين نائب له بناء على ترشيح رئيس المعهد .

٣- يربط المعهد بالإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية في الشئون المالية

٤- لغة التعليم في المعهد هي اللغة العربية .

٥- مدة الدراسة في المعهد ثلاث سنوات يمنح الطالب في نهايتها بعد نجاحه إجازة المعهد العالي للقضاء (درجة الماجستير)[١] .

شروط الالتحاق بالمعهد: لا يقبل بالمعهد إلا الطالب الذي توافرت فيه الشروط الآتية :

(أ) أن يكون حاصلاً على الشهادة العالية من إحدى كليات الشريعة بالمملكة، أو على شهادة يعتبرها مجلس المعهد معادلة لها .

(ب) لا يوجد مانع أو غيره يمنعه شرعاً من مزاولة القضاء بعد تخرجه[٢] .

ويوجد بالمعهد الجمعيات والنشاطات العلمية التالية :

أ - جمعية الندوات : وهي تدعو كبار العلماء والشخصيات لإلقاء محاضرات على طلاب المعهد ، وتدعو كذلك أساتذة المعهد لندوات دورية .

ب- جمعية الرحلات : وتقوم هذه الجمعية بالتحضير للرحلات العلمية الداخلية والخارجية .

ج- جمعية الصحافة : وهي تعمل على إصدار مجلة طلابية علمية تنشر الأبحاث العلمية الجادة لطلاب المعهد .

ويشارك المعهد في كثير من المجالات التي تخدم المجتمع من خلال مشاركة كثير من منسوبيه أساتذة وطلاباً في الدعوة الى الله ، وتبصير الناس بأمور دينهم

---

(١) دليل المعهد العالي للقضاء للعام الدراسي ١٣٩٢-١٣٩٣هـ ، ص١١ .

(٢) دليل المعهد العالي للقضاء للعام الدراسي ١٣٩٢-١٣٩٣هـ ، ص١٥ .

كالمشاركة في التوعية في الحج وفي الإرشاد والتوجيه من خلال الإذاعة والتلفاز وسائر وسائل الإعلام والمشاركة في المؤتمرات كمؤتمر الفقه الإسلامي ومؤتمر المسجد[١].

كما يقوم طلبة المعهد بالنشاطات الملائمة لتخصصاتهم ومستواهم العام والاجتماعي بالمشاركة في الندوات ، وزيارة بعض المؤسسات القضائية والتعليمية المتخصصة ، ويصدر المعهد العديد من البحوث في مجال تخصصه ، كما يعقد الندوات واللقاءات التي يشارك فيها أساتذة المعهد ، وبعض العلماء من خارجه[٢].

---

(١) دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (إدارة الدراسات والمعلومات) ١٤١٥هـ ، ص٤٩

(٢) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خمسة عقود ، ص١١٩ .

المبحث الثالث

جهوده في مجال الإفتاء

المطلب الأول: التعريف بالفتوى ومكانتها في مجال الدعوة

الفتوى لغة : الفُتيا تبيين المشكل من الأحكام ، وأفْتاه في الأمر : أبانه له . وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً . قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴿١٢٧﴾ ﴾[١] . أي يسألونك سؤال تعلم[٢] .

وقيل هي : (أفتاه في الأمر أبانه له) والفتيا تبيين المشكل من الأحكام ، أصله من الفتى ، وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي فكأنه يقوي ما أشكل ببيانه ، فيشب ويصير فتياً قوياً ، وأصله من الفتى وهو الحديث السن[٣] .

والإفتاء اصطلاحاً : قيل هو (إظهار الأحكام الشرعية بالانتزاع من الكتاب والسنة ، والإجماع ، والقياس)[٤] .

وقيل هو : (تبيين الحكم الشرعي بلا إلزام)[٥] ، وقيل هو (الإخبار بحكم الله تعالى باجتهاد ، عن دليل شرعي ، لمن سأل عنه في أمر نازل)[٦] .

وقيل هو : (بيان الحكم الشرعي في قضية من القضايا جواباً عن سؤال

---

(١) سورة النساء ، الآية :١٢٧ .

(٢) انظر لسان العرب ، لابن منظور ، ط٣ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ) ج١٠ ص١٨٣.

(٣) تاريخ الفتوى في الإسلام وأحكامها الشرعية ، د. لينة الحمصي ، ط١ (دمشق بيروت ، دار الرشيد، ١٤١٧هـ) ص٤٠ .

(٤) ضوابط الاجتهاد والفتوى ، د. أحمد على طه ريان، ط١ (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ) ص٧١ .

(٥) أدب الفتيا ، الحافظ جلال الدين السيوطي ، دراسة الدكتور محي هلال السرحان ، (بغداد : مطبعة الإرشاد) ص١٧

(٦) الفتيا ومناهج الافتاء ، محمد سليمان عبد الله الأشقر ، ط٢ (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٨هـ) ص١٣ .

سائل، معين كان أو مبهماً ، فرداً أو جماعة)[١] . وهذه التعريفات لا منافاة بينها فكلها تصب في معين واحد .

ولبيان مكانة الفتوى فإن الله ﷻ قد بعث رسوله محمداً ﷺ ليكون هادياً ومبشراً للناس ، وليكون -أيضاً - حجة عليهم ، بعد أن يبلغهم أحكام الله عز وجل، وينير لهم الطريق الذي يسلكوه ، وقد قام الرسول محمد ﷺ بذلك على أكمل وجه ، وبعد ذلك أوجب الله ﷻ على من يجهل شيئاً من أحكامه أن يسأل عنها أهل العلم ، يقول الله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] ، كما أوجب على أهل العلم أن يبينوا ما عندهم من العلم ، ويعلموه الناس ، بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[٤] ، وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**)[٥] .

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذا الحديث الشريف :

(وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[٦] .

ولا شك في أن خلو المجتمع من أهل الفتوى ، أو عدم القيام بواجبهم في بيان أحكام الله تعالى للناس في معاملاتهم ، وعباداتهم يؤدي إلى زيادة الجهالة ،

---

(١) الفتوى بين الانضباط والتسيب ، د. يوسف القرضاوي ، ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٥هـ) ص٧.

(٢) سورة النحل ، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

(٥) سنن الترمذي ، ج٣ ص٣٢١ ، رقم الحديث : ٣٦٥٨ ، قال الترمذي : حديث حسن .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ط (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ) ج١ ص٧ . والآية من سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧ .

والضلالة، وتخبط الناس في دينهم خبط عشواء ، فيحلون المحرمات ، ويحرمون الحلال ، ويعملون المعاصي والسيئات ويحسبون أنهم مهتدون .

فإذا كان لا بد لأي مجتمع من أطباء يعالجون أجساد الناس ، فمن باب أولى أن يكون في المجتمع -أيضاً - علماء أجلاء من أهل الفتوى يقومون على علاج نفوس الناس، وتبيان الحق لهم ، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح في عباداتهم ومعاملاتهم ، فكما أن الإنسان إذا ترك دون علاج فإن المرض سوف يستفحل ويؤدي به في النهاية إلى الموت ، كذلك نفس الإنسان إذا استبد بها الباطل ، وبَعُدتْ عن الحق ، انتهى بها المطاف إلى خسران الدنيا والآخرة ، وباءت بغضب الله وعذابه ، وهو الهلاك الأكبر .

وفي عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- كان للدعاة المفتين نصيب كبير في نشر الدعوة ، وتصحيح العقائد ، وربط الناس بالدين في أمور معاشهم ، ومعادهم وفي شتى مجالات حياتهم الأسرية والاجتماعية ، والاقتصادية ، ويبدو جلياً أن المفتين الذين ظهروا في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله-، قد بذلوا جهوداً عظيمة في الدعوة إلى الله ، فكانت فتاواهم محتوية على إرشاد الخلق ، وتعليمهم ، فجعلوا ذلك سبيلاً ، أو أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله ، وذلك بالمزج بين فقه الفروع ، والأصول ، والإصلاح ، والإرشاد ، وهذا الأمر برز فيه بعض الدعاة في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- [١] .

لكل ذلك يمكن القول بأن أهل الإفتاء في ذلك العهد ، كانوا دعاة مصلحين ، محتسبين ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، يقودون المجتمع المسلم إلى ما فيه صلاح الأمور كلها ، حسب شريعة الله تعالى ، دون الاقتصار على الجزئيات وحدها، ولا على التعصب المذهبي الممقوت .

لقد كان بناء المجتمع المسلم الصحيح هو قضيتهم الأولى ، وكانت غالب الفتاوى موافقة لمذهب الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- إذا كان دليله أقوى ، سواء من الكتاب أو السنة[٢] .

وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- يدرك مكانة الفتوى في مجال

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج٢ص٥٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢ص٥٩٨-٥٩٩ .

الدعوة ، فكان يحرص على اجتماع الكلمة والنفور مما يحدث البلبلة ويثير الخلاف والشقاق بين الناس ، وهذه السِّمة بارزة في منهج الشيخ الفقهي ، فقد كان يدعو إلى الاجتماع ، ويحذر من الاختلاف في رسائله ، وكتاباته ، وفتاواه ، وهذا كثير لا يحد بمثال ، وكان يرى أن الاختلاف في أصله مذموم ، والاجتماع رحمه [١] ، ففي تعقيب له على قولهم : (اختلاف الأمة رحمة) يقول -رحمه الله-: (عند النقد والتحقيق: غلط، وربما تحمل على ما إذا كان بين عالمين مسألة فرعية لم يدل عليها بنص ولا ظاهر ، فيكون العمل بالأسهل من قولهم رحمة ، إحساناً للظن بهم ، وإلا في الحقيقة : الاختلاف بينهم عذاب مع ما ينتج عنه من البغضاء ، والعداوة ، والتفرق وغير ذلك، وأيضاً هو لم يجئ في النصوص إلا مذموماً ، والثواب على الاجتهاد لا على الاختلاف ، فالتحقيق أن الاجتماع رحمة والافتراق عذاب) [٢].

المطلب الثاني: رئاسة دار الإفتاء

كان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- المتولي للإفتاء في المملكة العربية السعودية ، وهو المفتي الأول في وقته ، ولما أصبحت الحاجة ماسة إلى إنشاء جهاز علمي وإداري يتولى الإفتاء بسبب كثرة الاستفتاءات الواردة على سماحته من داخل المملكة وخارجها ، وتشعب الأعمال المنوطة بما يتصل بالإفتاء استصدر أمراً بإنشاء دار الإفتاء ، فأنشأها عام ١٣٧٥هـ ، واختار معه للقيام بهذه المهمة من خيرة العلماء الذين رأى فيهم الكفاية ، والقدرة ، وتولى رئاستها ، ثم شكل مجلساً للإفتاء شغله مجموعة من خيرة العلماء [٣] .

وفي قيام هذه الدار بمهمة الإفتاء فإنها تستند في عملها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ طبقاً لما نص عليه النظام الأساسي للحكم عندما أكد أن : (مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ) [٤] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص٥٦ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص١٢-١٣ .

(٣) انظر : حياة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وآثاره د. صالح بن عبد الرحمن الأطرم ، و د. عبد الله ابن موسى العمار ، ص١٤٩ .

(٤) المملكة العربية السعودية الشريعة الإسلامية تحكم ، د. منير عبد الحميد هارون ، ص٢٢٨.

ولقد أسند لهذه الدار أمر الإفتاء ، ومراقبة المطبوعات ، وترشيح أئمة المساجد والجوامع ، والإذن بإقامة الجمعة ، فيمن يتقدم إليها بطلب إقامة الجمعة فيه ، وإدارة المكتبة السعودية ، وتوزيع الكتب العلمية ، وطباعة ما يستحق الطباعة على نفقتها ، أو تحت إشرافها ، ونظراً إلى أن سماحة رئيسها إذ ذاك رئيس للقضاة فقد أعطاها سماحته مسئولية ممارسة تمييز الأحكام الصادرة من القضاة قبل تشكيل هيئتي التمييز في مكة والرياض ، والنظر فيما يختلف فيه أعضاؤها ، أو يكون موضع نظر من المقام السامي بعد تشكيلها ، ولذلك فقد كان سماحته - رحمه الله- بالاشتراك مع الافتاء حينذاك يمارسون الفتوى والتمييز منذ تشكيل الافتاء حتى انتقل إلى رحمة الله [١] .

ولم يكن عن دار الإفتاء مندوحة في دولة تحكمها شريعة الله ، فتتطلب التعمق في فقه الكتاب والسنة ، لمقابلة النوازل الطارئة بالحلول الصحيحة ، وقد أحسن -رحمه الله- تنظيمها على أفضل الأسس ، وحشد لها جمهرة من خيرة أهل العلم ، تدرس الوقائع وتستنبط لها الأحكام من مصادرها النقية البيضاء . وهكذا حققت هذه الدار مهمة الاجتهاد الجماعي الذي يدعو إليه مفكروا العصر ، وكان لها الفضل الكبير في ترسيخ النظم الاسلامية في نطاق التعامل ، والتعليم ، وسائر جوانب الحياة الاجتماعية ، ودعمت ذلك كله بإشاعة العلوم الدينية على مستوى الجماهير ، وذلك بنشر المؤلفات النافعة ، وتوزيعها بالمجان على الخاصة والعامة ، داخل المملكة وخارجها[٢] .

يقول الشيخ عبد الله بن منيع -حفظه الله -: (وفي العام الخامس والسبعين بعد الثلاثمائة والألف تأسست دار الإفتاء في الرياض ، وأسندت رئاستها لسماحته -رحمه الله- فصار بذلك رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية ورتب الإفتاء ترتيباً إدارياً استطاعت به أن تقوم بالشئون الموكلة إليها من حيث الإفتاء ، ومراقبة المطبوعات وتعيين الأئمة ، والمؤذنين ، وعين مجلساً للإفتاء شغله

---

(١) دور عالمي لرسالة عالمية ، عبد الله بن منيع ، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣) ص١٧.

(٢) انظر : العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص١٣٢ .

مجموعة من المشائخ هم : عبد الله بن عقيل ، وعبد الله بن منيع ، وعبد الملك بن عمر[١] وعبد الله بن غديان)[٢] .

ويقول الشيخ ابن بسام -حفظه الله -: (أنشأ دار الإفتاء فجعل معه من خيرة العلماء فكانت الفتاوى الرسمية الشرعية تصدر عن هذه الدار ، وكانت تقوم مع ذلك بالإشراف على طباعة الكتب ، ونشر المؤلفات ، وتوزيعها مجاناً لنشر العلم ، وتيسير سبله ، وكان هو المفتي الأول في البلاد ، ومرجع هذه الأعمال)[٣] .

ومع تزايد دور ومسؤوليات هذه الرئاسة صدر الأمر السامي في عام ١٣٩٣هـ بتسميتها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)[٤] وأصبحت اختصاصاتها على النحو التالي :

١ - نشر الدعوة الإسلامية والتخطيط لها في إطار ما ثبت عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام وسلف الأمة الإسلامية ، في داخل المملكة وخارجها ، وذلك بتوضيح العقيدة الصحيحة وأحكام الدين الإسلامي ، وبيان المخالفات الشرعية ، والأخطاء الشائعة ، والبدع ، والمحدثات ، وتحذير المسلمين من الفتن والإشاعات التي يدبرها أعداء الإسلام .

٢ - التنسيق بين الأجهزة العاملة في حقل الدعوة في المملكة العربية السعودية ومتابعة القرارات ، والأوامر ، والتوجيهات السامية الصادرة في شان الدعوة الإسلامية .

٣ - تعليم وإرشاد حجاج بيت الله الحرام ، والمعتمرين ، وزوار مسجد

---

(١) عبد الملك بن عمر : ولد في الرياض عام ١٣٤٥هـ ، التحق بالمعاهد العلمية ، وتخرج في كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٦هـ ، عمل عضواً مفتياً بدار الإفتاء تحت رئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ولبث فيها أربعين سنة حتى وفاته عام ١٤١٤هـ ، وخلال عمله بدار الإفتاء قام بمراجعة وإجازة الكثير من المؤلفات في التوحيد والفقه والتفسير والحديث والعقائد والتاريخ . انظر : موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية ، ج٢ ص٧٨٨ .

(٢) دور عالمي لرسالة عالمية ، عبد الله بن منيع ، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣) ، ص١ .

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٩٤ .

(٤) المملكة العربية السعودية الشريعة الإسلامية تحكم ، د. منير عبد الحميد هارون ، ص٢٢٧

رسول الله ﷺ ببث روح الوعي لديهم ، ومحاربة البدع ، ومعالجة بعض القضايا المعاصرة التي تهم المجتمع الإسلامي .

٤ - المحافظة على الفكر الإسلامي ، وذلك بطبع ونشر وتوزيع الكتاب السليم الذي يساهم في إثراء المعرفة للمسلمين ، وتبليغ الإسلام لغير المسلمين .

٥ - تقديم الخدمة العلمية لطلاب المعرفة والعلوم ، وذلك عن طريق (المكتبة العامة السعودية) التي تضم مختلف أنواع المعرفة الإنسانية من كتب ومراجع ، ومخطوطات ، وكذلك عن طريق (مجلة البحوث العلمية) التي تنشر بحوث هيئة كبار العلماء بالمملكة ، وفتاوى اللجنة الدائمة ، وغيرها من البحوث القيمة .

٦ -الرقابة على طباعة (القرآن الكريم) داخل المملكة ، وذلك للتأكد من سلامة رسمه وضبطه ، وإخراجه بالصورة الصحيحة ، كما تقوم الرئاسة بالرقابة الدينية على المطبوعات داخل المملكة أو ما يرد إليها من الخارج ، وذلك لمنع الأفكار المعارضة للشريعة الإسلامية [١] .

المطلب الثالث: منهج الشيخ في الإفتاء

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله-: (نشأ الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في قلب بلاد نجد التي شاع فيها مذهب الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- وجل أهلها حنبليون ، وقد تفقه الشيخ على علماء أسرته، وشيوخ بلده ، وهم من كبار فقهاء السادة الحنابلة ، فهو حنبلي المذهب، ولكنه لم يكن متعصباً للمذهب ، بل لم يكن يلتزمه دائماً في آرائه الفقهية وفتاواه، وإنما كان يعتمد المذهب ما قام الدليل ، فإذا رأى الدليل في غيره أرجح قال به دون حرج ، أو تردد ، وهذا المسلك شائع في كتبه ورسائله وفتاواه) [٢].

---

(١) انظر : مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازاتها ، عبد الله ابن راشد السنيدي ، ط٢ (الرياض ، مطابع الفرزدق ١٤١٠هـ) ص٢١٤ .

(٢) انظر : العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص٤٩ .

ويرى الشيخ -رحمه الله- أن التمذهب بأحد المذاهب الأربعة أمرٌ جائزٌ ، والناس في قضية التمذهب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام فيقول : (التمذهب بمذهب من المذاهب الأربعة سائغ ، بل هو بالإجماع ، أو كالإجماع ، ولا محذور فيه ، كالإنتساب إلى أحد الأربعة ، فإنهم أئمة بالإجماع ، والناس في هذا طرفان ووسط: قوم لا يرون التمذهب بمذهب مطلقاً ، وهذا غلط ، وقوم جمدوا على المذاهب ، ولا التفتوا إلى بحث ، وقوم رأوا أن التمذهب سائغ لا محذور فيه ، فما رجح الدليل مع أي أحد من الأربعة أو غيرهم أخذوا به ، فالذي فيه نص أو ظاهر لا يلتفت فيه إلى مذهب والذي لا من هذا ولا من هذا وكان لهم فيه كلام ورأي والدليل مع مخالفهم أخذ به)[١]. وبما أن التمذهب بأحد المذاهب الأربعة كالإجماع فإن الشيخ -رحمه الله- يؤكد في موضع آخر أن الإجماع أصل من أصول الأدلة فيقول : (أصول الأدلة : الكتاب والسنة ، والإجماع ، والرابع القياس ، والجماهير على حجيته)[٢] .

ويتبين لنا من رسائل الشيخ -رحمه الله- وفتاواه أن منهجه في الإفتاء له العديد من الصفات والمزايا منها :

(أ) الفتوى تختلف باختلاف الأحوال : كان الشيخ -رحمه الله- يفتي بما يناسب حال الشخص المستفتي ، فما يفتي به الكبير لا ينطبق حكمه على الصغير ، وكذلك ما ينطبق على الرجل لا ينطبق على المرأة فالفتوى تختلف باختلاف الأحوال و الأشخاص الوقائع ، يقول سماحته -رحمه الله-: (أفيدكم أن الوقائع غالباً يختلف بعضها مع بعض ، وذلك باختلاف الأشخاص والأحوال تارة ، واختلاف سواهما أخرى ، فلا يتعين أن تكون الفتوى في واقعة من الوقائع أصلاً في كل واقعة تجتمع هي وإياها في أصل واحد ، بل لا يسوغ ذلك لما قدمنا ، والمرجع في مثل هذه الأمور إلى القاضي أو المفتي الذي ابتلي بالقضاء ، أو الإفتاء في تلك الواقعة ، فإنها تارة تكون في تلك الواقعة مماثلة للواقعة التي أفتى فيها المفتي السابق من كل وجه ، وتارة تختلف معها في شيء ما أو أشياء ، فإن ماثلتها

---

(١) انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢ ص٩ .

من كل وجه فحكمها حكمها)[١] .

ومما يدل على هذه الصفة مارواه أبو هريرة -رضي الله عنه -: (**أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم ، فرخص له ، وأتاه آخر فسأله فنهاه فالذي رخص له شيخ والذي نهاه شاب**)[٢] ، وأشهر من ذلك أن النبي ﷺ كان يجيب عن السؤال الواحد بأجوبة مختلفة ، وذلك لاختلاف أحوال السائلين ، فهو يجيب كل واحد بما يناسب حاله ، ويعالج تقصيره ، فقد وجدنا من يسأله عن وصية جامعة ، فيقول له : لا تغضب ، وآخر يقول له : قل : آمنت بالله ، ثم استقم ، فربَّ فتوى تصلح لعصر ولا تصلح لآخر وتصلح لبيئة ولا تصلح لأخرى ، وتصلح لشخص ولا تصلح لغيره ، وقد تصلح لشخص في حال ، ولا تصلح له نفسه في حال أخرى[٣] .

لذلك كان علماء السلف من الصحابة والتابعين والفقهاء ينطلقون في فتاواهم، واجتهاداتهم من قاعدة : (تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان ، والأعراف، والأحوال) لأنه لا يقصد من الاجتهاد في الأمور الفقهية وضع أحكام تطبق على جميع الناس وفي كل عصر[٤] .

(ب) مراعاة التيسير والرفق : اتسمت فتاوى الشيخ -رحمه الله- بطابع التيسير والرفق على كل من استفتاه في أمر من الأمور ، أو مسألة من المسائل ، وكان -رحمه الله- يفتي الشخص بما يناسب حاله ، وينهاه عما يشق عليه ، يؤيد كلامنا هذا جوابه -رحمه الله- لمن سأله عن النفقة في الجهاد فقال : (أن الإنسان لا يتكلف إلا ما يطيق ، فما لا يطيق يتحول عنه ، والعمل الذي يريحه أفضل)[٥] .

وليس هذا معناه أنه يفتيه بإباحة المحرم في غير الضرورات ، أو ترك الواجب ، وإنما كان يرخص له إذا كان هناك مخرج شرعي جائز ، فلم يكن يسد الطريق على المستفتي ، ولم يكن يشدد أو يغلظ عليه ، ففي ردَّ سماحته على سؤال

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٢٢

(٢) سنن أبي داود ، ج٢ ص٣١٢ ، رقم الحديث ٢٣٨٧ .

(٣) الفتوى بين الانضباط والتسيب ، د. يوسف القرضاوي ، ص٨٨ .

(٤) مباحث في أحكام الفتوى ، د. عامر سعيد الزيباري ، ص٨٧ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص٢٠٤ .

أحد الأشخاص الذي أقسم على نفسه أن يطلق زوجته إن امتنع أهلها عن إرسالها له في البلد الذي يعيش فيه ، يقول -رحمه الله-:

(والجواب : لا يلزمك الطلاق ، بل عليك كفارة يمين ، لأن عدولك إلى حنث اليمين والتكفير عنه خير من إيقاع الطلاق ، لما ثبت عن النبي ﷺ قال : (**إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير**)[١] .

وقد عمل الشيخ -رحمه الله- بقول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[٢] ، والتيسير هو الذي لا يصادم نصاً ثابتاً محكماً ولا قاعدة شرعية قاطعة ، بل يسير في ضوء النصوص والقواعد ، والروح العامة للإسلام[٣] . ومثال آخر على التيسير والرفق في فتاوى الشيخ -رحمه الله- فتواه فيمن جامع في أول يوم من نهار رمضان ، ولم يعلم أن هذا اليوم من رمضان ، يقول الشيخ : (الحمد لله ، المذهب أن عليه القضاء ، والكفارة ، وفيه قول آخر أن ليس عليه كفارة لأنه معذور ... وهو الصواب إن شاء الله تعالى)[٤] .

ومن ذلك -أيضاً- أنه سئل -رحمه الله- عن إمرأة نذرت إن شفاها الله أن تذبح ناقتين جميعاً بوقت واحد ، فشفاها الله ، وهي الآن فقيرة لا تستطيع الوفاء بنذرها فأجاب -رحمه الله- بقوله : (فإن كانت فقيرة فتبقى الناقتان في ذمتها حتى يغنيها الله من فضله ، ثم يلزمها الوفاء بالنذر كدين الآدمي)[٥] .

(جـ) : التفصيل والاحتراز في الفتوى : عُرف عن الشيخ -رحمه الله- أنه كان يطيل التأمل والتعمق ، ويبعد النظر فيما كان يعرض عليه من القضايا التي تجدُّ تباعاً ، ولم يكن يتعجل الأمر حتى يمعن في الدرس ، والتأمل ، والنظر في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٢٢٩ ، والحديث أخرجه مسلم ، ج٣ ص١٢٧٠ ، رقم الحديث ١٦٤٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

(٣) الفتوى بين الانضباط والتسيب ، د. يوسف القرضاوي ، ص١٠٧ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٤ ص١٩٥ .

(٥) المرجع السابق ، ج١٢ ص٢٤٥ .

عواقب الأمور ، فكان يصل بعد ذلك إلى الاستنتاج الدقيق الذي لا يكاد يختلف فيه ذو نَصَفَ[١] .

وكانت فتاوى الشيخ معتمدة على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن منيع -حفظه الله -: (وكانت تعرض لسماحته الرغبة لاستذكار حكم شرعي لمسألة ما من مسائل العبادات أو المعاملات ، وقد تكون هذه المسألة من المسائل البدهية الواضحة للأكثرية ، فيطلب -رحمه الله- أكثر من كتاب يتحدث عن هذه المسألة ، فتقرأ عليه ، ثم يقول : الآن تطيب النفس في القول فيها . وقد سألته -رحمه الله- عن أن مثل هذه المسائل واضحة لا يحتاج الأمر إلى استذكارها من الكتاب ، فقال : (يا عبد الله الأعمال شغلتنا عن بضاعتنا فلا بد لنا من فرص نرجع فيها إلى كلام أهل العلم استذكاراً ، أو استزادة في العلم والفهم ، أو استبياناً لما قد يخفى علينا وليس علينا نقص في ذلك)[٢] .

وهذا الكلام غاية في التحري عن الصحيح ، ومنتهى الخوف من الله ﷻ أن يفتي في أمر تكون فيه الفتوى ناقصة ، أو فيها جور أو ظلم لأحد .

وإن من يقرأ فتاوى الشيخ -رحمه الله- يتبين له قوة أسلوبه ، وإيجازه في الكلام مع الوفاء بالمقصود ، فهو واضح الفكرة سلس العبارة ، واضح البيان ، يجد العالم في فتاواه الكلمة القوية ، والعبارة الجزلة البليغة ، فلا يمل ، ويفهم العامي وغير المتعلم مراده في فتاواه ، فنادراً ما تخلو الفتوى من الدليل المؤيد للرأي ، بل كان يقرن الحكم بدليله وحجته ، موضحاً وجه دلالته على الحكم المراد وكان يشبع الموضوع في فتواه ، ولهذا نجده قبل الإجابة عن السؤال الموجه إليه يفصل المسألة إلى فقرات إذا اقتضى الأمر لتوضيحها ، ثم يفصل الإجابة، مجيباً على كل فقرة بحكمها الذي يناسبها[٣] .

---

(١) المرجع السابق ، ج١ ص١٦

(٢) من أفذاذنا العلماء ، عبد الله بن منيع ، من كتاب : العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص٩٣ .

(٣) حياة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ص٣٩ .

وينطلق سماحة الشيخ -رحمه الله- في تفصيله واحترازه في الفتوى من منطلق الخوف العميق من الله -عز وجل-، وتقديره لمسؤولية الفتوى أمامه ، وتأسياً بالرسول الكريم محمد ﷺ فقد كان عليه الصلاة والسلام يستفصل من يسأله ثم يجيبه بعد ذلك ، فقد استفصل ماعزاً لما أقرّ بالزنا ، هل وجد منه مقدماته، أو حقيقته ، فقال له : لعلك قبلت ؟ لعلك لامست ؟ فلما أجابه عن الحقيقة بقوله : (أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً ، استفصله هل به جنون ، فيكون إقراره غير معتبر ، أم هو عاقل ؟ فلما علم عقله ، استفصله بأن أمر باستنكاهه ليعلم هل هو سكران أم صاح، فلما علم أنه صاح ، استفصله : هل أحصن أم لا ؟ فلما علم أنه قد أحصن أقام عليه الحد[١] .

ومنهج الشيخ في التفصيل والاحتراز منهج عام ينطبق على جميع رسائله وفتاواه بتحريه وتأنيه ، وعدم تسرعه في ذلك ، ولهذا لم نعثر له على فتوى رجع عنها[٢].

وكان سماحته -رحمه الله- يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة ، ولم يكن ينطلي عليه كيد أو احتيال[٣]، وهذه الصفة جعلت له نظرة مستقبلية في تعامله مع الواقعة المطروحة ، ونظرة ثاقبة في معرفة ملابسات القضية ، وإدراك فحوى الكلام ، ولذلك يندر أن تنطلي عليه مراوغات الخصوم ، أو حيل المراجعين[٤]، فمن ذلك رفضه إصدار فتوى في أحدى القضايا ، فاشتكى صاحبا القضية إلى نائب رئيس مجلس الوزراء فأجاب سماحته عن سبب امتناعه بما نصه : (وأما ما ذكراه من أنهما استفتياني فلم أجبهما فصحيح ، وذلك لأن المذكورين لم يستفتياني إلا بعد حصول النزاع بينهما وبين أخصامهما وهذا هو الذي أعمله مع كل من يستفتي في قضية خصومة، لأن المستفتي -والحالة ما ذكر - يقصد أن يأخذ شيئاً يؤيد به جانبه ،

---

(١) صحيح مسلم ، ج٣ ، ص١٣٢٢ ، رقم الحديث ١٦٩٥ ، ٢ ،.

(٢) انظر : حياة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص٩٥ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٥ .

(٤) حياة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ص٥٩ .

ومن المعلوم أن الفتوى تكون على حسب السؤال ، وقد يكون لدى الخصم ما يعارض ما ذكره ، فصدور الفتوى لأحد طرفي النزاع يسبب التشويش على القضاة والتأثير على سير القضايا كما لا يخفى)[١] .

(د) متابعة الفتوى ونقدها وإنكاره على من يفتي بفتاوى مخالفة : لقد ذكرنا سابقاً أن الشيخ -رحمه الله- لم يكن يتعجل الأمر حتى يمعن في الدرس والتأمل ، والنظر في عواقب الأمور ، وهذا من ضمن منهج الشيخ في الإفتاء ، فقد كان يتهيب من إصدار الفتوى إلى أبعد الحدود ، خصوصاً وأنه -رحمه الله- كانت ترده أسئلة ، واستفسارات لم تكن سهلة ، بل هي مسائل تحير فيها طلبة العلم ، فأرسلوا إليه يطلبون رأيه فيها ، مثل الأسئلة الموجهة إليه من علماء دول مثل قطر ، والإمارات ، وعمان ، والباكستان ، والهند ، وغيرها[٢] .

وكان سماحته -رحمه الله- شديد الثبات على رأيه ، شديد التحري جداً قبل أن يصدر حكمه على إنسان أو في قضية ، يتحرى العدل والإنصاف [٣] .

وقد انطلق سماحة الشيخ -رحمه الله- في ثباته وترويه ، ونقده للفتوى ومتابعتها من توجيه إمام المفتين سيدنا محمد ﷺ الذي قال : (**أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار**)[٤] .

والتثبت في الفتوى كان من سمات العلماء في صدر الإسلام ، ومن جاء بعدهم من المفتين الذين اقتدوا بهم ، فقد كان عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - يسأله الناس عن الحادثة فيظل يتفكر فيها مدة شهر ثم يقول : (**اللهم إن كان صواباً فمن عندك ، وإن كان خطأ فمن ابن مسعود**)[٥] .

وكان الشيخ -رحمه الله - ملتزماً في الفتوى بما عليه الراجح من الأقوال عن الإمام أحمد -رحمه الله- وما عليه الترجيح عند أئمة هذه الدعوة من الإمام

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٢١ .

(٢) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، مرجع سابق ، ص٦٥٥ .

(٣) العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص٥١ .

(٤) سنن الدارمي ، ج١ ص٦١ ، رقم الحديث ١٥٧ . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته.

(٥) مباحث في أحكام الفتوى ، عامر سعيد الزيباري ، ص١٣٧ .

محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذتهم [١] .

ولقد كان سماحته يصل بعد التأمل والتدقيق ونقد الفتوى إلى الاستنتاج الدقيق، وأحد الأمثلة على ذلك أنه سئل عن افتتاح حمام فني فكتب ما نصه :

(لا أرى فتح مثل هذا الحمام في هذا البلد ، لأن الضرر سيكون أكبر من النفع ، ومثل هذه الأشياء تكون عادة وسيلة لفساد لم يخطر على بال الذي أسسها، ومهما حرصت الآن على مراعاة الآداب الشرعية ، والأخلاقية فإنك لن تستطيع ذلك في المستقبل بعد فتح هذا الباب) [٢] .

وسئل أيضاً عن إنشاء صندوق لسائقي السيارات فأجاب -رحمه الله-: (إن اقتراح الذين اقترحوا جعل الصندوق مشروعاً خيرياً يحتاج إلى تقييد ، لأنه وإن كانت طرق الخير مفتوحة أمام الراغبين إلا أنه ينبغي معرفة ما وراء ذلك لئلا تكون وسيلة إلى استباحة أشياء لا تجوز تحت اسم الشيء المسموح به) [٣].

وكان -رحمه الله- ينكر على من يفتي بفتاوى مخالفة ، ولم يكن يسمح لكل أحد من واعظ وخطيب ، وإمام متخرج في الفتوى ، بل الفتوى منحصرة في الشيخ -رحمه الله- ومن كان معه ، والقضاة في البلاد ، ومن كان معروفاً بسعة العلم ممن لم يكن قاضياً [٤].

وكان -رحمه الله- يؤكد على عدم الإفتاء في المسائل الشاذة ، وبما يثير البلبلة والشقاق بين الناس ، ومن ذلك أنه لا يأذن لمن يفتي إلا إذا تأكد من علمه، وسلامة معتقده ، ومنهجه [٥]، وليس أدل على ذلك من سعيه في طرد رجل يفتي بمسائل شاذة ومعاقبته للمتجرئين على الفتوى أو المخالفين لمشهور الفتوى [٦] .

---

(١) رواد في تاريخنا الحديث ، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، مجلة الدارة ، العددان الثالث والرابع ، ٥شوال ، (١٤١٩هـ) ص٣٧ .

(٢) انظر فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص١٦ .

(٤) مجلة الدارة ، العددان الثالث والرابع ، ص٣٧ .

(٥) حياة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص٥٧ .

(٦) انظر : رواد في تاريخنا الحديث ، صالح آل الشيخ ، مجلة الدارة ، العددان الثالث والرابع ، ص٣٧

ففي خطاب وجهه -رحمه الله- الى وزير المعارف جاء فيه : (...وأن المذكور ينتحل فتاوى مرجوحة ومخالفة لما درجت عليه الفتوى لدينا في المملكة ، وأنه ينتمي الى مذهب الظاهرية ... لاتخاذ ما ترونه كفيلاً بإبعاده ، خصوصاً وأنه يقوم بمهمة خطيرة لها آثارها السيئة على عقائد الطلاب وسلامة فطرهم)[١] .

المطلب الرابع: تنوع جوانب الفتوى لدى الشيخ

الناظر في فتاوى الشيخ -رحمه الله- يجد أنها متنوعة ، متعددة الجوانب ، فلم تكن تقتصر على نهج واحد ، أو منحاً فقهياً واحداً ، وإنما شملت العديد من الجوانب كالعقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، وغير ذلك ، كما برز في مجموع هذه الفتاوى علمه الغزير ، وسعة مداركه ، ونظرته الحاذقة للأمور التي جدَّت في حياة الناس ، مما يدل على رجاحة عقله ، وسعة أفقه . وهذه الفتاوى شملت جميع شؤون الحياة[٢].

ومن صور الفتوى لدى الشيخ -رحمه الله- وتنوعها ، الفتيا بأمور علمية ، فمن ذلك أنه سئل -رحمه الله- عن جواز تدريس علم الجغرافية ، والأرض ، وتقويم البلدان في مدارسنا ، فأجاب سماحته -رحمه الله-: (نعم في هذا الفن أبحاث كروية الأرض ، فهذه غير مقررة ولا مدروسة في المعاهد والمدارس ، والبحث في كروية الأرض وعدمها مفهوم ومعروف ، وعلماء الهيئة مجمعون على القول بكرويتها ، ومن هؤلاء جماعة من محققي العلماء ، والأمر في ذلك سهل ، وأما دوران الأرض ، وبحثهم في الشمس والقمر المقرون بالبحث في دوران الأرض فباطل لمخالفته لظواهر النصوص ...)[٣] .

وفي إجابته عن سؤال هل يتولد المطر من البحر أو من السماء أجاب سماحته: (... فينشئ سبحانه السحاب ، وهي روايا الأرض ، ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به كما يلقح الفحل الأنثى ، ولهذا تجد البلاد

---

(١) انظر فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٢٢

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج٢ ص٦٥٣ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٠٧ .

القريبة من البحر كثيرة الأمطار ، وإذا بعدت عن البحر قلَّ مطرها)[١].

وقد أفتى -رحمه الله- في مجال السياسة أيضاً ، فمن ذلك أنه سئل عن الدولة التي يسودها حكم جمهوري ، وعن رئاسة الجمهورية فقال : (ليست شرعية ، هذه باطلة ، باطلة ، باطلة ، خلاف المحمدية ، وخلاف الصحابة ، وما عليه المسلمون ، هذه فرنجية محضة)[٢].

فالشيخ -رحمه الله- يؤيد السياسة المنبثقة من الشريعة الإسلامية التي تسوس أمور البلاد والعباد وفق ما يرتضيه الله -سبحانه وتعالى - ما يرتضيه رسوله محمد ﷺ وفي ذلك يقول :

(إن الشريعة جاءت بسعادة الدنيا والآخرة ، وجاءت بالسياسة التي ما وراءها سياسة ، وما وراءها إلا جهل ، وعدم تصور للنافع من الضار ، أو جشع وظلم ، وكانت سياسة ذي القرنين يقول : ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[٣]، فالذي لا يسوس هذه السياسة لا ينجح في الدنيا وفي الآخرة[٤].

أما في مجال الحياة الاجتماعية فقد أفتى -رحمه الله- في مسائل عدة أظهرت نفاذ بصيرته ، وحنكته ، وبراعته في شتى مجالات ومناحي الحياة .

فمن ذلك أنه سُئِلَ عن نظام جمعية التموين المنزلي لموظفي الدولة بالرياض، وبعد اطلاعه على اللائحة النظامية لهذه الجمعية قال -رحمه الله- في رسالة إلى رئيس مجلس الوزراء :

(أولاً: جاء في المادة الرابعة من الأحكام المالية ما نصه : (يدفع كل عضو في الجمعية رسم خدمة بالنسبة للقروض التي يستلفها من الجمعية ، وتحدد الجمعية قيمة هذه العمولة) وملاحظتنا على هذه المادة من حيث الاشتراط في القرض ، إذ إن الغرض من القرض الإرفاق والقربة ، والاشتراط على المقترض أن يدفع رسم

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١١٠ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٧٣ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٨٧-٨٨ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٧٦ .

خدمة بالنسبة للقرض الذي يستلفه من الجمعية يخرجه عن أصله المشروع إلى أنواع الربا ، إذ قد أجمع العلماء على تحريم كل شرط في القرض جر نفعاً...

ثانياً : جاء في المادة الثالثة من الأحكام المالية (الفقرة (ب) التي هذا نصها: (تدفع الجمعية عمولة على التوفيرات لا تزيد نسبتها على ٣ في المائة سنوياً، وذلك في حالة الوديعة) .

لأجل هذه المادة باطلة من أساسها ، وهي تشتمل على الربا الصريح المحرم شرعاً في كتاب الله - تعالى - ، وعلى لسان رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٥﴾ ﴾[1]... ونرجو أن يكون مع هذه الجمعية وأمثالها ، وأنظمتها ما يرد باطل المبطل ، وزيف الدخيل ، ويحفظ للمسلمين دينهم وأحكام شريعتهم ، وحقوقهم الثابتة ومكاسبهم المشروعة)[2].

كما سُئِلَ سماحته -رحمه الله- عن حكم التعامل مع مكاتب التأمين على الحياة، وغيرها من الأموال ، فأجاب عن ذلك بقوله : (وبتكرار دراسته تبين أنه معاملة مريبة تشتمل على مغامرة ومخاطرة ، وربا ، وأكل لأموال الناس بالباطل ... وبالجملة فكل من تأمل حالة هذا العقد وجده لا ينطبق على شيء من العقود الشرعية ، ووجده قد اشتمل على أنواع من الغرر والجهالة ، والربا ، فيتعين القول بمنعه[3]) .

وقد أفتى الشيخ -رحمه الله- أيضاً بمسائل طبية كثيرة ومتنوعة ، منها أنه سئل عن حكم التداوي بالحجامة فقال : (الحجامة شأنها هام في الصحة ، وجاء في حديث الإسراء (أنه ما مر بملأ من الملائكة إلا أمروه أن يأمر أمته بالحجامة)[4]، فإن الدم يبقى فيه فضلات زائدة على ما يدور في البدن ، وما يفرز ، ولولا أنه يتلاشى شيئاً فشيئاً ما بقيت الحياة ، ثم أيضاً يفرز من فضلة لا حاجة لها فجاءت

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ٢٧٥

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٧ ص١٦٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج٧ ص٣٥ .

(٤) مستدرك الحاكم ، كتاب : الطب ، باب : كتاب الطب ، ج٤ ص٤٥٣ ، رقم ٨٢٥٣ . ولفظه (ما مررت ليلة أسري بي بملأ إلا قالوا يا محمد : مر أمتك بالحجامة) حديث صحيح . انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، ج٤ ص٥٢ .

الحجامة، ولكن الدكاتر لا يرونها شيئاً ، وليس بمستنكر عليهم ، فإن عندهم قصور من نواحٍ عديدة)[١] .

كما سئل -رحمه الله- عن حكم الكشف على الجنين بالأشعة ، وإخراجه من رحم أمه قبل موعد الولادة ، فأجاب : (يجوز الكشف بالأشعة على الحامل التي مضى عليها أربع أشهر وتسعة أيام للتأكد من حياة الجنين ، وإخراجه بالعملية إن كان ميتاً)[٢] .

وفي إجابة سماحته -رحمه الله- عن حكم سلخ قرنية عين الميت وتركيبها لإنسان حي قال : (...ومما استدل به المجيزون أن حرمة الحي أعظم من حرمة الميت، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، وهذا الترقيع لإعادة البصر يمكن قياسه على الحاجة إلى استنقاذ الحياة بدفع الهلاك ، أو إلى منع إتلاف العضو عندما يتوقف ذلك على تناول بعض المحرمات ، وقد صرح الفقهاء أنه يسوغ بل يجب تناول مثل هذا لدفع الهلاك ...)[٣] .

وقد ورد إلى دار الإفتاء سؤال بواسطة الإذاعة عن غلام ولد وله ستة أصابع في يده ، هل يجوز قطع الإصبع الزائدة ، وقد أجاب عليه سماحته بمايلي :

(الغلام له أحوال : (الحالة الأولى) : أن تكون هذه الإصبع الزائدة ثابتة عظامها في الكف من أصل خلقتها ، ولا يمكن قطعها إلا بتكسير عظام الكف ، فهذا لا يجوز قطعه ، لأنه يشوه منظر الكف ، وهو من التمثيل المنهي عنه شرعاً.

(الحالة الثانية) : أن تكون الإصبع الزائدة غير ثابتة في عظام الكف تتدلى كالسلعة الزائدة ، وليس في قطعها تشويه لمنظر الكف ، فالظاهر أن هذا لا بأس به، لاسيما إن كان يؤذي صاحبه عند حركة اليد ، فهذا يقطع اتقاء لأذاه ، فهو بمنزلة الداء، وما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء)[٤] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٦٥ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٦٦ .
(٣) المرجع السابق ، ج٣ ص١٧٩
(٤) المرجع السابق ، ج٣ ص١٦٤ .

المبحث الرابع

جهوده في إعمار المساجد

المطلب الأول: التعريف بالمسجد وأهمية إعماره

المسجد لغة : (كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد)[١] .

المسجد شرعاً : كل موضع طاهر من الأرض ، ليس فيه نجاسات لقول النبي ﷺ :(**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**)[٢] .

وجاء ذكر المسجد في القرآن الكريم في ستة وأربعين موضعاً موزعة بين سور القرآن وقد اختلفت المسميات اللفظية ، ولكنها تحمل معنى واحداً ذا مدلول واحد مفاده المسجد ، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[٣] . وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[٤] ، وقال أيضاً : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ط٣ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م) ج٦ ص١٧٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التيمم ، ج١ ص١٢٨ ، رقم الحديث ٣٢٨ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٩

خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظ (مسجد) مجردة من الإضافة إلى شيء آخر جاء في أربع سور مشتملة على ست آيات ، فلقد جاء في سورة الأعراف في آيتين وفي سورة التوبة في آيتين ، وفي سورة الإسراء ، والكهف[٢] .

والمسجد قديم وتأريخه مرتبط بنزول الدين الحنيف ، واستجابة الناس له ، وما ذاك إلا لأنه ببنائه القائم الشامخ يرمز إلى دينونة العباد للإسلام ، واستقامتهم على مبادئه الحنيفة في كل زمان ، ومكان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٤] .

ومن أبرز المساجد وأشرفها على الإطلاق المسجد الحرام ، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى ، هذه المساجد الثلاثة هي التي قال فيها الرسول ﷺ : **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى)**[٥]، **هي قلاع الإسلام ، ولا زالت ، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها**[٦] .

ولقد رتب الله ﷻ فضلاً عظيماً لمن بنى المسجد أو شارك فيه ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧

(٢) منهاج المسلم في تكوين المجتمع المسلم ، أبو أسامة عبد الحميد محي الدين ، ط١ (جدة : مكتبة الخدمات الحديثة ،١٤١٤هـ) ص١٢-١٧ .

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٩

(٥) أخرجه البخاري ، ج١ ص٣٩٨ ، رقم الحديث ١١٣٢ .

(٦) المسجد واثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه ، عبد الله قاسم الوشلي ، ط١ (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد ، ١٤٠٨هـ) ص١٥ .

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[١] . فقول الله تعالى (يعمر) دال على العمارة بالبناء ، كما دل على العمارة بالعبادة ، لأن باني المسجد يتقرب إلى الله تعالى ببنائه ، فهو يعمر المسجد بطاعة الله ﷻ[٢] .

وعن عثمان رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : (**من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله**)[٣] .

والمسجد بأهله فإن عمروه كان منارة للهدى ، وإن هجروه تعطلت رسالته ، وكان عليهم حسرة وندامة يوم القيامة ، وقيمة البلاد بمساجدها ، فإن رأيت مساجدها مهملة مظلمة فهي بلاد لا خير فيها[٤] .

وعن أنس -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : (**من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة**)[٥] .

وعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**من بنى مسجداً ، قال بكير: حسبت أنه قال : يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة**)[٦] .

وهذه الأحاديث متقاربة في لفظها ، متحدة في دلالتها ، إذ تدل على أن الجزاء أوفى من العمل عند الله تعالى ، فباني المسجد في الدنيا يبني الله له بيتاً في الجنة ، لا يخرب ولا يفنى ، وما كان هذا الفضل من الله إلا لعظمة هذه المساجد، وأهمية وجودها في الأرض للمسلمين .

ولقد كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- إذا فتحوا بلاداً بنوا فيها

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨

(٢) انظر : أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ، د. إبراهيم بن صالح الخضيري ، (الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية) ج٢ ص ٤.

(٣) أخرجه مسلم ، ج١ ص٣٧٨ ، رقم الحديث ٥٣٣ .

(٤) الإرشاد للأئمة والخطباء والعباد ، عبد البديع صقر ، (القاهرة : دار الاعتصام) ص٧٧ .

(٥) أخرجه الترمذي ، ج٢ ، ص١٣٥ ، رقم الحديث ٣١٩ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٦) أخرجه البخاري ، ج١ ص١٧٢ رقم الحديث ٤٣٩.

المسجد وتركوا فيها من يعلم الناس الخير ، ويؤدي رسالة هذه المساجد ، باعتبارها مركزاً إسلامياً لتفقيه المسلمين في شؤون دنياهم وآخرتهم [١] .

والمساجد هي حلقات العلم العامرة التي يغشاها الناس ، طلباً لعبادة الله على بصيرة ، وعلى هدي المصطفى ﷺ والنهل من العلوم التي على رأسها القرآن الكريم ، وتفسيره والسنة المطهرة وآدابها ، وشعور المسلم أنه في بيت من بيوت الله يضفي عليه الطمأنينة والسكون ، مما يهيئه لوعي ما يقال في هذا المكان الطاهر . وتعالج الدروس التي تدرس في المسجد ، والمجالس الإيمانية كثيراً من الأمراض والأدواء التي تنخر في جسد هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، وبها ينشر العلم ويقطع الجهل ، وتحل بها كثير من المشاكل الاجتماعية [٢] .

وقد أولى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- عناية خاصة بعمارة المسجد باعتباره منبراً للدعوة والتوجيه والإرشاد ، وتعليم أصول الإسلام ، يقول الشيخ -رحمه الله-: (فعمارة المساجد بطاعة الله فيها من الذكر والقراءة والصلاة ، كما في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٣] .

ويقول سماحته أيضاً -رحمه الله- في رسالة أخرى: (...لأن المساجد بيوت الله ، وقد قال تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [٤] .

وعن عائشة -رضي الله- عنها قالت : (أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تطيب وتنظف) ... ولهذا قال العلماء -رحمهم الله تعالى -: (إن المساجد تصان عن كل ما تصان منه العين)[٥] .

---

(١) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ، إبراهيم بن صالح الخضيري ، ج٢ص٤٢ .

(٢) انظر: من أجل مسجد فاعل، عبدالرحمن بن عبدالله اللعبون، ط٢، (الرياض: دار ابن لعبون، ١٤١٨هـ) ص٣٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨، وللاستزادة انظر: فتاوى الشيخ ورسائله، ج٣ ص٣٩ .

(٤) سورة النور، الآية: ٣٦ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٤ ص٢٠٩. والحديث أخرجه ابن حبان ، ص٥١٣ ، رقم الحديث ١٦٣٤ .

المطلب الثاني: أنشطة الشيخ الدعوية من خلال المسجد

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله-: (لما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله تعالى- عين الملك عبد العزيز -رحمه الله- الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله - خلفاً له في الإفتاء والتدريس ، وإمامة المسجد - مسجد عمه- في حي دخنة ، وأنزله في نفسه ومشورته منزلة عمه الراحل ، وكان الشيخ محمد في ذروة شبابه ، واكتمال نشاطه وحيويته ، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً فنهض بهذه المهمة وكان خير خلف لخير سلف في كل ما كان يقوم به عمه ، وصار إماماً للناس في الفروض الخمسة ، فكان يجلس فيه لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء ، تقرأ عليه الأفواج في جملة من العلوم الشرعية والعربية ، وهو بين ظهرانيهم معين لا ينضب ، ونشاط لا ينقطع، وعلم لا ينحسر ، ودأب عجيب دائم)[١].

وللشيخ -رحمه الله- أنشطة عديدة في المسجد منها :

أولاً : الخطب : لقد عرف عنه -رحمه الله- في خطبه اتباع السنة ، في تقصير الخطبة ، واشتمالها على أهم المطالب التي تشترط أو تسن لها ، مع معالجة الموضوعات المهمة ، والمشكلات الواقعة بعبارة جزلة واضحة مختصرة ، وهو يخاطب فيها بيئته ، ومجتمعه[٢] .

ففي إحدى رسائله المتضمنة ما يجب أن تشتمل عليه الخطبة يقول سماحته -رحمه الله-: (ينبغي أن تكون الخطبة مشتملة على ذكر دعائم الدين ، وقواعده العظام، وكذلك ينبغي بل يجب أن يأتي بما يحرك القلوب ، أما شيء لا يحركها فلا ينبغي، ثم الاقتصار على فناء الدنيا ، والموت ، كما أنه لا يكفي الاقتصار على كلمات الحكم النافعة ، لا بد من موعظة ، وشيء يحرك القلوب ، ثم -أيضاً - اعتماد التسجيع ، وكونه هو هم الخطيب مرجوح ولا ينبغي ،

---

(١) العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص٣٩ -٤٠.

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم . و د. العمار ، ص١٢٠ .

فإن أتى به مع إتيانه بالأمور الهامة فلا مانع)[١] .

وخطب الشيخ -رحمه الله- غير موجودة في فتاواه ، ولكن يوجد خطبتان بصوته مسجلة على أحد الأشرطة[٢] .

وفيما يلي نعرض ما جاء في خطبته الأولى (إحدى خطب الجُمع) ، كنموذج على ما يجب أن تشتمل عليه الخطبة . يقول -رحمه الله-:

(الحمد لله الولي ، فلا ولي من دونه ولا وال ، الغني فلا تنفد خزائنه ، يحلم على من عصاه ، وينتقم بما لا يحصى ، ولا يكلف ما لا يطاق .

أحمده سبحانه ، وله الحمد وحده على الاستحقاق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من ذاق طعم الإيمان فوجده حلو المذاق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ففتح به قلوباً غلفاً ، وأعيناً عمياً ، وأذاناً صماً ، ليس للحق إلى الحق سواه ، وصلي على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة بالعدل والإشراق وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا أيها الناس ، اتقوا الله تعالى ، ولا تجعلوا الدنيا أكبر همكم ولا مبلغ علمكم واعتبروا بمن مضى قبلكم من الأمم الخالية ، أهل المراكب العالية ، كيف طحنتهم الدنيا طحن الحصيد ، وأسكنتهم بعد القصور قبراً ضئيلاً ، قبضوا ذلك قبض الأعمال ، ونحن على الآثار . فرحم الله امرءاً لم يجعل الدنيا على باله ، واستعد للموت وأعماله ، والقبر وأهواله ، والمَلَكَ وسؤاله ، والقبر وظلامه ، وهل يلقى كتابه بيمينه أو في شماله ؟ وهل يدعى إلى النعيم وظلاله ، أو إلى الجحيم وأهواله؟ والله غفور ولا أصدق من مقاله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[٣] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات

---

(١) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم . و د. العمار ، ج٣ ص٢.

(٢) سقطت بعض الكلمات من خطب الشيخ -رحمه الله- وذلك بسبب عدم وضوح الصوت المسجل على شريط الكاسيت رغم المحاولات الكثيرة لتصفية الصوت .

(٣) سورة النازعات ، الآيات : ٣٧-٤١ .

والذكر الحكيم. أقولي قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم) .

وفي خطبة أخرى يقول -رحمه الله-: (الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون ، وبعدله ضل الضالون ، لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ، أحمده - سبحانه - حمد عبد نزه نفسه عما يقول الظالمون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسبحان الله رب العرش عما يصفون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخليله الصادق المأمون ، اللهم صلي على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن على سبيله إلى الله يسيرون وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا أيها الناس ، اتقوا الله تعالى حق تقاته ، وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته ، وأجيبوا الداعي إلى دار كرامته وجناته ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا بما فيها من زهوة العيش ولذاته ، فقد قرب الرحيل وغُرَّ الناس بالعمر وأوقاته . واعلموا أن الخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار ، فاجتهدوا في العمل منها ، ألا وإن الدنيا عمل حاضر يأكل منها البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار البوائق، ومنزل دوحة وعناء ، يبحث عن حاله الضعفاء ، وانتفعت من روحه الأرض والطغاة ، وحال بينه وبينها أن نوره قدر وانقضى ، ضُمت لكم بها المماليك والأمثال، وقبلت الحقيقة في الشبه والمثال ، فقال ﷺ : (**مالي وللدنيا ، إنما مثل الدنيا كما رجل قال[1] في مندوحة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :** ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴿٢٤﴾ ..... إلى قوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] .

---

(١) قال من القيلولة ، وهي النوم عند الظهيرة . انظر :

- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، باب : القاف ، فصل : اللام ، ط (دمشق : دار الإيمان) ص٥٥٩ .

(٢) مسند أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ، كتاب : مسند عبد الله بن مسعود ، باب : مسند عبد الله بن مسعود ، ج٩ ص١٩٥، رقم الحديث ٥٢٩٢ . حديث حسن صحيح ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد الألباني (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٧٨هـ) م١ ، ج٥ ص١٨٠ . والآية من سورة يونس ، الآية : ٢٤ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

هذان النموذجان من خطب الشيخ -رحمه الله- أنصع دليل على ما قدمناه مما يجب أن تكون عليه الخطبة من قصر ، واشتمال على الفائدة ، وتذكير بالدار الآخرة وما فيها من جنة ونار ، وعدم اغترار العبد بالدنيا وأنها دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فكانت هذه الخطب نموذجاً يجب على خطباء المساجد امتثاله في خطبهم، تلافياً للإطالة المنهي عنها ، وعدم استعمال السجع وغريب الكلام ، فهكذا كان نهج رسول الله ﷺ في خطبه، وعلى هذا النهج سار من بعده صحابته الكرام -رضوان الله عليهم- والعلماء والصالحون .

ثانياً : التدريس : ذكرت سابقاً أنه لما توفي الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله- عام ١٣٣٩هـ ، تولى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إمامة مسجد عمه ، وتدريس الطلاب فيه مدة خمسين عاماً ، من عام ١٣٣٩هـ إلى قُبيل وفاته عام ١٣٨٩هـ .

ولقد كان الشيخ -رحمه الله- من أبرز النماذج الرفيعة التي قامت بنشاط دعوي وتعليمي في المساجد وطريقة التدريس في المسجد ، وأسلوب الدعوة فيه[١] ، وكان منهجه في التدريس واضحاً ، وهو أشبه بنظام الجامعات الحديثة بتقسيم الطلاب إلى مستويات مختلفة على حسب تقدمهم في التعلم ، وقدراتهم على الاستيعاب والمتابعة. وتخصيص منهج محدد لكل مستوى بحيث لا يتجاوزه إلا بعد حفظ وفهم ما خُصِصَ له ، كل مجموعة من طلبته في مستوى ، وتحديد أوقات محددة لكل مجموعة[٢] .

ولقد وصف الشيخ عبد الله البسام -حفظه الله- طريقة تدريس الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وصفاً دقيقاً حيث قال :

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ص٣٦٣ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص٧٨ .

(كان يجلس بعد صلاة الصبح لصغار الطلاب فيدرسون عليه -كما مرَّ معنا سابقاً- مبادئ النحو في الآجرومية ، ثم يأتي بعدهم المتوسطون في العمر ، ثم يأتي بعدهم الكبار بالألفية ، وكل واحد من هذه الطوائف الثلاث يعطيه ما يناسبه من المسائل والبحث والدرس ، فإذا انتهت دروس النحو شرع في دروس الفقه فأخذ الطلاب يقرؤون عليه (مختصر المقنع) عن ظهر قلب ، ثم يشرع في شرح وبيان معانيه، ثم يعيدون الدرس بعد شرحه بقراءة أحدهم واستماع الباقين، وهو يقاطع القارئ بشرح جملة وتعليل أحكام وإلحاق فائدة لما هو عليه من سعة في الفقه ، وجودة استحضار ، وغزارة مادة ، فلا ينتهون من هذه القراءة إلا وقد أشبع رغبات الطلاب بما أزاح من الإشكالات ، وأوضح من المعاني وصور المسائل وزاد من الفوائد . وبعد انتهائهم من درس الفقه يشرعون في درس الحديث ، والكتاب المفضل لديه لتدريس أصحابه هو كتاب (بلوغ المرام) لاشتماله على أحاديث الأحكام وشرحها معها ، فهو دليلها ، ومستند أحكامها ، ومستند تفريعها ، فيوضح ألفاظه ، ويبين أحكامه ويبرز فوائده .

وكل ما تقدم من دروس الفقه والحديث والنحو في جلسة واحدة من جلساته، والتلاميذ على حلقته الكبيرة ما بين وارد ، وصادر ، وهو في مجلسه كالنبع الصافي ، والمورد العذب الذي لا ينضب على كثرة الواردين وازدحام الناهلين.

ثم يذهب إلى بيته فيلبث فيه بقدر ما يفرغ من حاجته الضرورية ، ثم يعود إلى مجلسه في المسجد ، فيأتيه كبار الطلاب ، ويشرعون بالقراءة عليه بالكتب الكبار والمراجع الضخام ، ثم يعود إلى بيته ويستريح فيه حتى تحين صلاة الظهر .

وبعد الفراغ من الصلاة يقام الدرس بحضور كبار التلاميذ وصغارهم بأحد الأمهات الست ، وبعد الفراغ منها يقرأ عليه الطلاب في كتب العقيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وغيرهما في عقائد السلف ، ويستمر الدرس حتى صلاة العصر ، وبعد الصلاة إلى قرب المغرب ، وهو في جلسة واحدة لاستقبال الطلاب فوجاً بعد آخر ، وهم ما بين كتب

التوحيد أو الحديث أو الفقه ، أو النحو ، وبعد صلاة المغرب يخصص وقته لعلم الفرائض ، فإذا قرب العشاء شرع في درس عام فقرأ عليه القارئ تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) ، وهو يعلق على التفسير والآيات الكريمات بما يرى الحاجة تدعو إلى ذكره)[١] .

ثالثاً : إنكاره للمنكرات : لقد كان سماحته ينكر كثيراً من المنكرات على الناس، خوفاً من الله تعالى ، وطمعاً في رحمته ، فقلما تجد رسالة من رسائله تخلو من أمر بالمعروف أو نهي عن منكر ، ففي خطاب وجهه إلى ولاة الأمر قال فيه : (ومن أكبر الكبائر وأعظم العظائم : التهاون بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وعدم القيام حولهما بما يشترط ويفتقر إليه في حصوله على الوجه الذي تبرأ به الذمة ويحصل به المقصود)[٢].

ومن خلال اهتمام سماحته -رحمه الله- بالمسجد ، وما يجب أن يكون عليه، ينكر بعض الأشياء التي تحدث فيه ، منها : عدم سماحه للأجانب بالقيام بالوعظ والإرشاد ، ففي إحدى رسائل سماحته -رحمه الله- التي وجهها إلى أمير منطقة الرياض ، يقول فيها : (...وأنه ينبغي عدم السماح لأي واعظ أو مرشد من الأجانب بالوعظ والإرشاد ما لم يحمل إجازة منا بذلك ، حيث أن كثيراً من هؤلاء الوعاظ الأجانب يستخدمون وعظهم وإرشادهم بالتسول ، وبعضهم جهال ضررهم أكثر من نفعهم ، وقد يكون فيهم من لا يطمأن إليه)[٣] .

ومن صور إنكاره -رحمه الله- على من لا يحضر صلاة الجماعة ، خطاب وجهه إلى أمير منطقة الرياض ، قال فيه : (نرفع لسموكم من طيه الخطاب المقدم إلينا من إمام مسجد ... حارة ... بصدد الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في الخطاب المذكور ، والذين ذكر أنهم لا يحضرون الصلاة مع الجماعة ، وأنهم لما أمروا بالحضور امتنعوا ، إلى آخر ما ذكره في خطابه المذكور ، والحقيقة سلمكم الله

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ، عبد الله البسام ، ط١ (مكة المكرمة : مطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٨٩ هـ) ج١ ص٨٩-٩٠.

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٥٠.

(٣) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٦٠ .

أن هـؤلاء وأمـثالهم إن لم يجازوا بما يردعهم ويردع أمثالهم استفحل الشر ، وفشى ترك الصلاة ، فتأمل قيامكم نحو ذلك باللازم)[١] .

والأحاديـث عـن الرسـول ﷺ في الحض على صلاة الجماعة كثيرة ، فمنها عـن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله إنـه لـيس لـي قـائد يقودنـي إلى المسـجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصـلي في بيـته ، فرخص له ، فلما ولى دعاه ، فقال : (**هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال: فأجب**)[٢] .

إن هـذا الحديـث نـص في وجـوب صلاة الجماعة بالمسجد على من سمع الأذان، ولـو كـان أعمى ، ليس له قائد يأتي به إلى المسجد ، لأنه ﷺ همَّ بإحراق بـيوت المـتخلفين عن الصلاة مع الجماعة في المسجد بلا عذر ، وهذا الوعيد دليل على وجوب صلاة الجماعة في المسجد[٣] .

وكـان سماحـته -رحمـه الله- يـنكر عـلى بعـض المؤذنين المط والتمديد في أذانهـم، فمن ذلك:رسالته إلى رئيس مؤذني المسجد الحرام بمكة المكرمة التي يقول فيها:

(يجب أن تبلغوا جميع مؤذني المسجد الحرام أن يؤذنوا أذاناً سمحاً سهلاً ، ويجتنـبوا المط والتمديد إن هذا التمديد والمط الذي يستعملونه الآن في الأذان مخل بشرعيته ، فعليهم اجتناب ذلك والتمشي بما يوافق الشرع)[٤] .

وقـد نهى -رحمه الله- عن كتابة (الله - محمد) في قبلة المسجد لما في ذلك مـن التشـويش عـلى المصـلين ، يقـول في رسـالة إلى الرئـيس العـام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز : (لا يجوز أن يكتب في قبلة المصلين شيء يشغلهم ويشوش عليهم ، لأن المصلي مأمور بالخشوع ، وإذا علق في قبلته نقوش

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٢٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم في ، ج١ ص٤٥٢ ، رقم الحديث ٦٥٣ .

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ، د. إبراهيم صالح الخضيري ، ج٢ ص١٣٣- ١٣٤

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص١٢٥ .

أو تصاوير ، أو كتابة أي شيء انشغل باله فيها ، وألهته عن صلاته)[١] .

وقد أنكر سماحته -رحمه الله- على الفقراء السؤال في المساجد معللاً ذلك بانتهاك حرمة المسجد والتشويش على المصلين ، يقول : (وهنا بلوى في المساجد ، وهم الفقراء الذين هم أهل الرحمة ، ولكن لا يجوز أن تنتهك حرمة المسجد ، ويشوش على الذاكرين بعد الصلاة ، بعضهم يتكلم بصوت مشوه أو صاحب عاهة ، وهذا منكر في الحقيقة ، وصرح شيخ الإسلام أن السؤال في المساجد لا يجوز إلا للحاجة ، هذه ليست الحاجة التي يشير إليها ، هؤلاء يقصدون المجتمعات أهون لهم من المشي في الأسواق ، وبعضهم معروف أنهم يجمعون ، وبعضهم جاء من وراء البحار)[٢] .

وفي رد سماحته -رحمه الله- على سؤال من أحد الأشخاص حول دخول النساء إلى المسجد مع أطفالهن ، أجاب سماحته -رحمه الله-: (نفيدك أنه لا تمنع النساء من إتيان المسجد بأطفالهن في رمضان ... لكن عليهن الحرص على صيانة المسجد من النجاسة بالتحرز في حق الأطفال في نومهم وغير ذلك)[٣] .

المطلب الثالث: إشراف الشيخ على تعيين الأئمة والمؤذنين

ذكرت سابقاً أنه حينما أسست دار الإفتاء في عام ١٣٧٥هـ ، أسندت رئاسة هذه الدار لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وكان من ضمن الأعمال الكثيرة ، والكبيرة التي أُنيطت به مهمة الإشراف على تعيين الأئمة والمؤذنين ، وقد جعل سماحته -رحمه الله- هذا العمل منطلقاً إلى الدعوة إلى الله ، من ذلك إرساله خطاباً لحث أئمة المساجد على نشر العلم ، والتذكير بأيام الله ونعمه ، وإرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم ، قال فيه : (لا يخفى ما ورد في فضل نشر العلم والتذكير بأيام الله، ونعمه وآلائه ، ولا سيما مع إعراض كثير من الناس عن شكر ما أنعم الله به عليهم ، وغفلتهم عن ذلك ، مما يُخشى منه زوال

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، المرجع السابق ، ج٤ ص٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج٤ ص٢١١ .

(٣) المرجع السابق ، ج٤ ص٢١٤ .

النعم ، وحلول الثلاث والعياذ بالله من ذلك ، لهذا رأينا الكتابة إليكم لتقوموا بأنفسكم ، وتعمموا على جميع أئمة المساجد بملاحظة ما ذكر وتخول الناس بالموعظة في كل مناسبة ، ولا سيما في أوقات الفراغ ، كما ينبغي لكل إمام مسجد تعاهد إلقاء درس خفيف بعد صلاة العصر ، وقبل صلاة العشاء يقرأ فيه ما تيسر من كتب السنة ، ويشرح لهم ما قرأه باختصار ، ويجعل من باله تبيان أمور العقيدة وأحكام العبادات ، وما لا يسع المسلم جهله ، وقد عملنا هذا فيمن حولنا ، فعليكم العمل به فيمن لديكم ، والتعميم على جميع المساجد في القرى وملاحظة تطبيقه ، ومعرفة من يتخلف عنه ، وإخبارنا بنتيجة ما تجدونه ، وينبغي قراءة هذا الكتاب على الناس في الجوامع بعد صلاة الجمعة ، رجاء أن يعم نفعه ، ويتم امتثال موجبه)[١] .

وقد كان -رحمه الله- يمنع التحدث بالمساجد إلا لمن عرف بالتقى والصلاح والتأهيل[٢]، ففي خطاب وجهه -رحمه الله- إلى أمير منطقة الرياض يقول فيه: (... وأنه ينبغي عدم السماح لأي واعظ أو مرشد من الأجانب بالوعظ والإرشاد ما لم يحمل إجازة منا بذلك)[٣] .

فإذا تبين له -رحمه الله- تأهيل الشخص ، وكفاءته في الوعظ والإرشاد أذن له يقول : (فبناء على الطلب المقدم من الشيخ ... حول التماس المذكور منحه رخصة للقيام بالوعظ والإرشاد في المسجد الحرام ، والمساجد الأخرى بمكة، وغيرها، وبناء على ما عرفناه من حسن نية المذكور ، واستقامته في ديانته ، فقد أذنا له بالوعظ والإرشاد في المسجد الحرام ، والمساجد الأخرى بمكة وغيرها في حدود العلوم التي قد هضمها من علم التوحيد ، والعقيدة السلفية ، وأن يجتنب كل ما لا يعنيه ، وعليه في ذلك تقوى الله وخشيته ، لأنه موقوف بين يدي الله ، ومسؤول عن كل ما أسلفه والله الموفق...)[٤].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٤٩ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٨٨ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٥٨ .

ومن صور إشراف ومراقبة -سماحته -رحمه الله- للأئمة والمؤذنين في عملهم، رسالة وجهها إلى فضيلة رئيس محكمة القنفذة بخصوص ما رفع إليه من تخلف بعض الأئمة والمؤذنين عن مساجدهم ، يقول فيها : (فاطلعوا على ما ذكروا ، واجمعوا الأئمة والمؤذنين بجهتكم ، وعظوهم ، وانصحوهم ، وأكدوا لهم بالمواظبة على وظائفهم ، وتفقدوا المتخلف ، وليكن منكم الاهتمام بهذا ، وأخبرونا بنتيجة ما تجرونه، والسلام عليكم)[١] .

وقد سعى كذلك لدى ولي الأمر باستثناء الأئمة والمؤذنين من نظام عدم الجمع بين وظيفتين ، ففي خطاب رفعه إلى رئيس مجلس الوزراء جاء فيه : (بناء على ما نص عليه نظام الموظفين الجديد من عدم الجمع بين الوظيفتين ، لقد اعتمدنا تطبيق ذلك في جميع الوظائف المرتبطة بنا ، ونلفت نظر سموكم بصفة خاصة إلى أئمة المساجد فإن شمول ذلك لهم سوف يحدث نقصاً في أداء هذه الفريضة العظيمة المهمة الشأن من ناحية تخلي الأئمة الحاليين عنها لأن معظمهم قضاة ورؤساء وأعضاء هيئات ، وطلاب، ومدرسون ، ونحوهم ممن ارتبط بوظائف دينية أخرى ، وإن سموكم -ولا شك - تعلمون -حفظكم الله - أن الإمامة في هذه الفريضة العظيمة يعتمد لها الأمانة، والديانة ، والفقه بأحكامها وإذا اضطررنا الأئمة الأكفاء إلى التخلي عنها لسبب أنهم مرتبطون بوظائف دينية أخرى ، تعطلت المساجد وصلى بالناس من لا يحسن الصلاة ، اللهم إلا أن يرتب للأئمة والمؤذنين رواتب ضخمة تضاهي رواتب الوظائف الأخرى ما دام أنهم سيقصرون على هذه الوظيفة . ولكن أيسر ما يكون ، وأضمن للمصلحة ، وأوفر لخزينة الدولة أن تعفى وظائف الإمامة والأذان من شمول نظام الموظفين لها بخصوص الجمع بينها وبين غيرها من الوظائف الدينية كما في النظام الأول ، لأن وظيفة الإمامة وظيفة دينية محضة ، وهي تؤدى خارج الدوام)[٢] .

وكان سماحته -رحمه الله- يشرف أيضاً على رواتب الأئمة والمؤذنين ،

---

(١) المرجع السابق ، ج٢ ص١١٣ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ، ص١١٧ .

والمكافآت التي يحصلون عليها ، ففي رسالة له بهذا الخصوص وجهها إلى فضيلة النائب بالمنطقة الغربية ، يقول فيها -رحمه الله-: (ونفيدكم بأن هذا المبلغ الذي ارتأيتموه شهرياً لا بأس من تقريره لهم إذا كان عددهم قليلاً ، ومجموع استحقاقهم السنوي يتحمله بند المكافآت لدينا لاحتمال صرفه مستقبلاً من نفس بند المكافآت من قبلنا ، وهذا لا يتسنى معرفته إلا بعد إحصاء دقيق للمستحقين لذلك ، وبعد تمييز الخطباء ، وأئمة الجوامع والمساجد المهمة عن أئمة المساجد التي دونها ، وهؤلاء عن المؤذنين ، مع اشتراط الكفاءة وحسن العقيدة ، وتوفر شروط الإمامة في الأئمة والأذان في المؤذنين ، ثم استثناء الموظفين الذين يتقاضون رواتب أو مكافئات من خزانة الدولة ، والذين يعملون في المساجد التي لها أوقاف أو غلال ، فيقتضي إبلاغ الجهة المختصة ذلك للعمل بموجبه)[١] .

وبالإضافة إلى ما للشيخ -رحمه الله- من صلاحية في تعيين الأئمة والمؤذنين، كذلك له الصلاحية في توقيف رواتبهم ، أو فصلهم من عملهم إذا دعت الضرورة ففي رسالة من سماحته -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء ، حول توقيف راتب أحد المؤذنين يقول فيها : (نشعر سموكم أن المذكور قد حصل منه عدة مشاغبات وأذية لكل إمام يعين في مسجد ... كما أنه قد اغتصب الأرض التي هي حمى المسجد ، وحصل منه تصرفات من هذا القبيل تدل على عدم أمانته، وعدم صلاحيته للأذان ، وبناء على ذلك فصلناه)[٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ج٢ ص١١٨ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص١٢١ .

المبحث الخامس

جهود الشيخ في إنشاء المكتبات العامة

المطلب الأول : بداية ظهور المكتبات في المملكة العربية السعودية

ارتبط تأسيس المكتبات في المملكة بشكل عام بكل من مكة المكرمة ، والمدينة المنورة وخاصة مكتبات المساجد ، والمكتبات الخاصة ، كما هو الحال في معظم البلاد الإسلامية ، حيث اعتاد الناس أن يودعوا في المساجد عدداً من نسخ القرآن ، وغيره من الكتب الدينية والنافعة كوقف لفائدة المطالعين والمصلين [١] .

ويعود السبب في ظهور هذه المكتبات في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى المكانة الروحية التي تحظى بها هاتان المدينتان المقدستان في قلوب المسلمين لوجود الحرم المكي الشريف ، ومسجد الرسول ﷺ فيهما [٢] .

وجاء ظهور هذه المكتبات في كثير من مدن المملكة بمبادرات فردية من بعض المواطنين ، على سبيل المثال نجد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي- رحمه الله - قد أسس مكتبة في عنيزة في عام ١٣٥٩هـ ، وتقع هذه المكتبة في الوقت الحاضر في مبنى قريب من الجامع الكبير بمدينة عنيزة ، وتسمى المكتبة الوطنية بعنيزة ، ولا تتبع من الناحية الإدارية أياً من الأجهزة الرسمية ، بل يشرف عليها -وإلى عهد قريب - إمام الجامع الكبير بعنيزة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله - وبها ما يقرب من خمسة آلاف مجلد تتبع في تصنيفها نظاماً محلياً خاصاً بها [٣] .

فإذا تركنا مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى أنحاء أخرى من المملكة ، نجد أن مكتبات خاصة كثيرة قد أنشئت ، وكانت ملجأ للدارسين من طلاب العلم ،

---

(١) الركائز الأساسية للنظام الوطني للمكتبات العامة بالمملكة العربية السعودية ، د. هشام بن عبد الله عباس ، (الرياض : مطابع التقنية للأوفست ، ١٤١٤هـ) ص١٣-١٤ .

(٢) إطلالة تاريخية على المكتبات العامة في المملكة ، د. سعد بن عبد الله الضبيعان ، ط١ (الرياض : مطابع مكتبة الملك فهد ١٤١٥هـ) ، ص٥٢ .

(٣) إطلالة تاريخية على المكتبات العامة في المملكة ، د. سعد بن عبد الله الضبيعان ، ص٢٥ .

والباحثين ، والأدباء ، وقد أسهمت تلك المكتبات بنصيب وافر في مجالات العلم والثقافة . كما أن لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أثراً كبيراً في إنشاء المكتبات في مناطق المملكة الأخرى ، حيث إنه من غير الممكن العثور على مكتبة عامة قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، إلا أنه بعد استقرار هذه الدعوة عمد الكثير من الأتباع إلى جمع الكتب ، والاستزادة منها، ونسخ العديد من رسائل الشيخ ، فتكونت بهذا مجاميع من الكتب المخطوطة ، كما جرت العادة بجلب كتب من يتوفى من العلماء إلى مدينة الرياض ليطلع عليها الطلبة[١] .

وفي الرياض أسس الأمير مساعد بن عبد الرحمن[٢]-رحمه الله- في عام ١٣٦٣هـ مكتبة خاصة في قصره ، وعين من يهتم بها ، وأتاح استخدامها لجميع المواطنين[٣]، وتعد هذه أول مكتبة تفتح أبوابها لعامة القراء في مدينة الرياض .

المطلب الثاني: جهوده في تأسيس مكتبة الرياض السعودية

تختلف المصادر التاريخية اختلافاً واضحاً حول سنة إنشاء هذه المكتبة ، فالشيخ حمد الجاسر[٤]-رحمه الله- أثناء حديثه عن وسائل العلم والثقافة في مدينة الرياض ذكر أن المكتبة افتتحت في عام ١٣٧٣هـ[٥] .

---

(١) الركائز الأساسية للنظام الوطني للمكتبات العامة بالمملكة العربية السعودية ، د. هشام بن عبد الله عباس ، ص١٥ .

(٢) الأمير مساعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، أخو الملك عبد العزيز آل سعود ، تولى وزارة المالية في عهد الملك خالد . توفي عام ١٤٠٧هـ .انظر : معجم المطبوعات العربية ، علي جواد الطاهر ، ج٣ ص١٣٣٠ .

(٣) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، حمد الجاسر (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٨٦هـ) ص١٣١

(٤) حمد بن محمد الجاسر : ولد في القصيم عام ١٣٢٧هـ ، انتقل إلى الرياض ١٣٤٦هـ ، وقرأ على عدد من علمائها ، ثم التحق بالمعهد السعودي بمكة المكرمة ، شغل مناصب عديدة في التعليم والقضاء والصحافة، وفي عام ١٣٧٤هـ قام بإنشاء أول مطبعة في الرياض ، ثم انتخابه في عضوية العديد من المجامع العلمية العربية ، من مؤلفاته : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، المعجم الجغرافي لبلاد العربية السعودية وغيرها ... توفي عام ١٤٢٢هـ

(٥) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، حمد الجاسر ، ص١٣٠-١٣١ .

ويذهب بكري شيخ أمين إلى ما ذهب إليه الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله-، فيرى أن مكتبة الرياض السعودية تأسست في عام ١٣٧٣هـ [١] .

ويورد صاحب كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم بصدد حديثه عن أعمال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- رواية مختلفة حول تأسيس المكتبة ، فقد أشار إلى أن الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وضمن الأعمال الكثيرة التي تولاها - قام بتولي رئاسة مكتبة الرياض السعودية التي ذكر أنها أنشئت في عام ١٣٧٠هـ بجوار مسجد الشيخ المعروف في حي دخنة [٢] .

ويرجح الباحث سعد بن عبد الله الضبيعان أن الافتتاح كان في سنة ١٣٧١ هـ وهذا هو التاريخ المسجل على الختم الرسمي الخاص بالمكتبة [٣] .

وكان موقع المكتبة إلى جانب المسجد المشهور بمسجد الشيخ في حي دخنة في وسط مدينة الرياض ، على بعد حوالي ٤٠٠م جنوب ميدان الصفاة المعروف وسط مدينة الرياض [٤] .

وحينما أسسها الشيخ -رحمه الله- وضع فيها خمسة عشر ألف كتابٍ مطبوعٍ و مائة وسبعة عشر مخطوطاً [٥]، وأذكر هنا أنه عندما افتتحت المكتبة عانت من قلة الكتب في السوق المحلية في مدينة الرياض ، ولهذا السبب اتجهت لشراء الكتب من أماكن أخرى مثل مكة المكرمة التي كانت متاجرها عامرة بالكتب منذ مدة طويلة ، كما حاولت المكتبة سد هذا النقص عن طريق الشراء من الخارج ، فانتدب أول قيم عليها إلى مصر لجلب بعض الكتب من هناك [٦].

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله-: (وقد جلب إليها الشيخ

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ، ط١(بيروت : دار صادر ١٣٩٣هـ) ص١٨٤

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ص١٨٣ .

(٣) مكتبة الرياض السعودية ماضيها وحاضرها ، سعد بن عبد الله الضبيعان ، (الرياض : مجلة جامعة الملك سعود ، الآداب ، ١٤١٤هـ) ص٢٥١ .

(٤) مكتبة الرياض السعودية ماضيها وحاضرها ، سعد بن عبد الله الضبيعان ، ص٢٥٢

(٥) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ، ١٨٤ .

(٦) مكتبة الرياض السعودية ماضيها وحاضرها ، سعد بن عبد الله الضبيعان ، ص٢٥٧ .

نوادر الكتب والمصادر العلمية ، من شتى البلدان العربية وغير العربية ، وحرص على تزويدها بأمهات كتب التفسير والحديث ، والرجال والمصطلح ، والفقه ، والأصول ، والتاريخ ، والأدب ، والشعر ، واللغة وغيرها من العلوم الإسلامية ، واقتنى لها المطبوعات ، وصور لها كثيراً من المخطوطات المهمة ، مما قدر أن الحاجة إليه سريعة ، فغدت من أغنى المكتبات العامة في الرياض ، إن لم تكن هي أولها إنشاءً وتأسيساً ، وفيها طائفة من المخطوطات النادرة)[١] .

وكان سماحته -رحمه الله- لا يألو جهداً في إمداد المكتبات الجديدة بالكتب النافعة والقيمة ، ففي رسالة لسماحته رداً على خطاب سعادة وكيل الحرس الوطني للشؤون العسكرية بخصوص فتح مكتبة تهدف إلى الخير ، وتوجيه رجال الحرس الوطني الوجهة الدينية الصحيحة ، قال فيها : (ومن جانبنا نحن سنساهم بمد هذه المكتبة من الكتب التي لدينا بضعفي ما يصرف للمكتبات الكبرى ، وهو نسختان من كل كتاب يوجد لدينا)[٢] .

ولكن هذه المؤسسة رغم حداثتها لم تتوافر فيها الكفاءات العلمية المؤهلة للخدمة المكتبية بشكلها الحديث ، فدرجت على منهاج المكتبات القديمة من حيث ترتيب الكتب وتنظيم الفهارس ، ونظام الإعارة ، وساعات الدوام ، وطرز البناء[٣] .

وقد ربطت هذه المكتبة إدارياً ومالياً بدار الإفتاء ، وأسند إدارتها المباشرة إلى فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله- وجعل معه من الرجال المخلصين الأوفياء الذين حرصوا كل الحرص على تأمين الكتب والمخطوطات القيمة لهذه المكتبة، تحت إشراف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وفتحت أبوابها لطلاب العلم[٤]، وقد خلف الشيخ مكتبة حافلة

---

(١) فقهاء معاصرون ، عبد الفتاح أبو غدة ، من كتاب العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ص٤٥ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٣ .

(٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ، ص١٨٤ .

(٤) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٥٢ .

بنفائس المخطوطات والمطبوعات[١].

ولم يكن في المكتبة إعارة خارجية ، ولا خدمة مرجعية ، وتنحصر خدمة المكتبة لقرائها في جلب الكتب من المخازن إلى قاعة القراء وقراءتها هناك[٢].

ومما يؤخذ على هذه المكتبة ضعف اهتمامها بتجميع المطبوعات الدورية ، وترتيبها ، وتنظيمها ، ثم حفظها والحرص عليها -كما ينبغي أن يكون الاهتمام- ولا بد من الإشارة إلى أنها تسعى إلى خدمة طلبة العلم بكل ما تستطيع من إمكانات لا تألو في ذلك جهداً[٣].

المطلب الثالث : جهوده في طباعة الكتب النافعة وتوزيعها مجاناً

حرص سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- على طباعة الكتب النافعة، وتوزيعها مجاناً لنشر العلم وتيسير سبله . وقد كتب خطاباً في عام ١٣٨٧ هـ للملك فيصل -رحمه الله- لجعل بند مالي لطباعة ، وشراء الكتب الدينية ، جاء فيه :

(... وهذا كما أنه حسنة ، وخطوة كبرى في سبيل تسهيل العلم ، ونشره ، فهو مظهر جميل ، وعناية بالكتب السلفية ، التي يهم شأنها كل عالم سلفي في أقطار الدنيا ، مع أنه دائماً ما يهدي للحكومة كتب دينية ، وفي حال قبولها تؤدي قيمتها على ذلك البند)[٤].

وجاء في الرسالة التي وجهها -رحمه الله- إلى مسلمي بريستول قال فيها: (أما بعد : اتصل بي الحاج السيد جواد مقدسي رئيس جمعية مسلمي (بريستول) بإنجلترا ، ومعه كتاب من سكرتير الجمعية يعرف فيه بالسيد جواد المذكور ، وقد شرح لي نشاط الجمعية المذكورة في الدعوة الإسلامية ، وطلب مني إعطاءه بعض الكتب ، وقد أعطيناه بعض الكتب الإسلامية ، والسلفية)[٥].

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج١ص٦٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٥٨ .
(٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري شيخ أمين ، ص١٨٤ .
(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١١٣ .
(٥) المرجع السابق ، ج١٠ ص٩٥ .

ولقد كان لسماحته -رحمه الله- أثر بارز وموقف مشرف فيما يتصل بتقويم الكتب وتمحيصها ، والتوجيه للكتاب الذي يستحق أن يقرأ ، والتحذير من الكتب السيئة المضرة بالدين والعقل ، ففي خطاب وجهه إلى مدير المكتبة السعودية قال فيه :

(وأفيدكم أن الكتب الممنوعة لا تنحصر أسماؤها ، فإن كل كتاب يشتمل على باطل فإنه ممنوع ، ووظيفة المكتبة توريد الكتب النافعة التي لا محذور فيها ، وليس وظيفتها وشأنها توريد الكتب كلها حتى يطلب تبيين ما لا يصلح ليتقى ، أما ما كان مشهور النفع في علم طب أو لغة ، أو ما أشبه ذلك ، وفيه أشياء منتقدة فهذا شيء آخر)[١] .

ولقد امتدح -رحمه الله- العديد من الكتب النافعة التي رأى أنها مفيدة للناس ولا بأس من قراءتها ، من هذه الكتب :

١- إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة للكردي ، قال عنه : (يشتمل على بيان أحكام الحج على مذهب الشافعي ، وهو كتاب لا بأس به)[٢] .

٢- بطل الأبطال : لعبد الرحمن عزام ، قال عنه -رحمه الله-: (بطل الأبطال نفيس جداً ، وإن كان بعض الأحاديث المستشهد بها في سندها بعض الشيء، وعامة ما فيه من الأحاديث سوى ذلك فمن أصح الأحاديث ، فهو كتاب ينبغي الاعتناء به)[٣] .

٣- تيسير العلام لعبد الله بن عبد الرحمن البسام : قال عنه : (كتاب لا بأس به ومفيد لطلاب العلم)[٤] .

٤- حلق اللحى: لفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، قال عنه: (... فوجدت الشيخ حمود قد أجاد فيما كتبه في هذه الرسالة حول هذه المسألة وأفاد بما أبداه من كشفه الشبهة ، وإقامة الحجة ، وإيضاح المحجة ، فجزاه

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١١٤ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٣ ص١١٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢٠ .
(٤) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢٣ .

الله خير الجزاء)[١].

٥- كتاب : (الإكليل في استنباط التنزيل) لجلال الدين السيوطي ، قال عنه إنه (نفيس جداً)[٢].

٦- رسالة المعلمي التي ألفها في شأن مقام إبراهيم - عليه السلام - قال عنها: (رسالة حسنة ونفيسة في بابها ، فينبغي أن تطبع ، ويعم نشرها)[٣].

٧- صيانة الإنسان : مؤلفه رجل هندي ، قال عنه : (هو كتاب نفيس في بابه)[٤].

٨- الفقه الأكبر : قال عنه : (شهرته معروفة معلومة ، وثابت عن أبي حنيفة بالأسانيد الثابتة)[٥].

٩- مزيل الداء عن أصول القضاء : تأليف عبد الله بن مطلق الفهيد - رحمه الله- قال عنه أنه : (كتاب طيب لا بأس به ويصلح للقضاة)[٦].

١٠- المعاملات المصرفية : تأليف الشيخ سعود بن سعد الدريب -رحمه الله-، قال عنه : (وجدناه كتاباً جيداً في بابه ، مفيداً جداً بالنسبة إلى ما تسرب من المعاملات المصرفية من ألوان الربا)[٧].

١١- نداء الإسلام : تأليف الشيخ محمد محمود الصواف -رحمه الله-: قال عنه سماحته : (هو كتاب لا بأس به مشتمل على محاضرات وأبحاث طبية)[٨].

١٢- نقد القومية العربية : لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- قال عنه -رحمه الله-: (وكانت رسالة جليلة نافعة في بابها ، والحاجة

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢٦ .
(٣) فتاوى الشيخ ورسائله، ج١٣ ص١٢٧ .
(٤) المرجع السابق، ج١٣، ص١٤٣ .
(٥) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٣٤ .
(٦) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٤٥ .
(٧) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٤٥ .
(٨) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٤٧ .

داعية إليها) [١]

المطلب الرابع: جهوده في مراقبة ما يصدر من المكتبات ودور النشر

كان لسماحته -رحمه الله- أثر بارز ، وجهد مشكور في تنقية موارد الكتب والمطبوعات ، وتمييز غثها من سمينها ، وما يستحق الطبع والنشر والتوزيع والإيداع في المكتبات العامة ، وما يجب منعه وتطهير المكتبات منه [٢] .

ففي خطاب وجهه -رحمه الله- إلى قائد قوات جيزان الذي عزم على إنشاء مكتبة وطلب كتباً لها ، ذكّره الشيخ -رحمه الله- بوجوب اقتناء الكتب النافعة ، والبعد عن الكتب الضارة دينياً ودنيوياً ، حيث قال : (ونحب بهذه المناسبة أن نلفت نظركم إلى وجوب حماية المكتبة لديكم من كتب الإلحاد ، والأفكار المستوردة ، والدخيلة على ديننا وتقاليدنا وتطهيرها من كتب الانحلال ، والتفسخ الأخلاقي ، كما أنه يتعين عليكم بذل الجهد في اختيار الكتب النافعة: من دينية ، وأدبية ، واجتماعية ، وعسكرية) [٣].

وفي خطاب وجهه -رحمه الله- إلى أمين المكتبة القطرية بالإحساء جاء فيه: (أما بالنسبة لمراقبة ما يصدر عن المكتبة القطرية بالإحساء فأمر لا بد منه أسوة بغيرها من المكتبات ، ودور النشر في كافة أنحاء المملكة) [٤].

وقد أوصى -رحمه الله- في عام ١٣٧١هـ ولي العهد بجعل هيئة لمراقبة الكتب والتفتيش على مكاتب البيع الموجودة في الرياض ، بحيث يُعهد إلى جميع المراكز أن لا يمر بهم شيء من الكتب ، حتى يأخذوا أسماءها لتبليغ تلك الهيئة ، يقول سماحته -رحمه الله-: (وهاهنا مسألة تبلغ عني ولي العهد فيها ، وهي أن توريد الكتب اتسعت دائرته ، وقد تحققنا جلب كتب خبيثة ، فمن المتعين أمور :

أحدها : جعل هيئة اثنين مراقبين مفتشين على مكاتب البيع الموجودة في

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٤٨ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٥٣ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج١٣ ص١١٦ .

الرياض ، مع مزيد الاعتناء بمعرفة طرق التوريد حتى يؤتى على حسم المادة من أصلها .

الأمر الثاني : أن يعهد ولي العهد -حفظه الله - إلى جميع المراكز أن لا يمر بهم شيء من الكتب حتى يأخذوا أسماءها ويرسلوه إلى تلك الهيئة التي في الرياض .

الأمر الثالث : أن أكتب كتاباً مضمونه عدم جواز التجارة في الكتب المشتملة على شيء من البدع والضلال . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هي أعظم وأشد ، وهي أن حاصل ذلك ونتيجته الدعاية إلى البدع والضلال ، ثم يكتب ولي العهد على كتابنا ، ويغلظ في ذلك ، ويتوعد ، ويهدد من وجد عنده شيء من ذلك ومن يرسل أو يتاجر في شيء من هذه الكتب ، وبذلك إن شاء الله تنحسم مادة هذا الفساد أو تقل جداً)[١] .

وقد طالب في رسالته إلى رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء ، في ضرورة مصادرة كتب من بعض المكتبات التجارية والتي تحتوي على الشركيات والبدع ، وتدعو إلى التحلل الأخلاقي والعقائدي ، يقول فيها :

(ونفيدكم أننا حينما شكلنا الهيئة المذكورة شكلناها من طلبة علم غالبهم على مستوى قضاة ، وقد دفعنا إلى تشكيلها ما ثبت لدينا أن في المكتبات التجارية من الكتب السيئة من الناحية الاعتقادية والأخلاقية مما يقتضي وجوب تطهيرها وحماية المسلمين من شرها . فعمدناهم بمصادرة ما يرونه غير صالح للقراءة : إما لما يشتمل عليه من الشركيات والبدع والخرافات ، أو لما يدعوا إليه من التحلل الأخلاقي والعقائدي . وعليه فما صادروه شر لا خير فيه ، ولاحق لمستورديه في التعويض عنه، وإن سمح بدخوله من سمح)[٢] .

ومن ذلك رسالته -رحمه الله- إلى رئيس ديوان مجلس الوزراء بخصوص مصادرة كتب مضرة بالأخلاق والعقائد ، جاء فيها :

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج٨ ، ص١٧٥-١٧٦ .

(نشعركم أننا انتدبنا هيئة تفتيش المكتبات في المنطقة الغربية والمنطقة الشرقية لتصادر ما تراه ممنوعاً في المكتبات ، فوجدوا فيها كتباً مضرة بالعقائد والأخلاق وصادروها)[١].

وفي خطاب وجهه سماحته -رحمه الله- إلى رئيس ديوان مجلس الوزراء جاء فيه: (وبعد فقد انتشرت كتب وروايات الجنس العاري في المكتبات العامة بشكل مخيف منذر بخطر جسيم ، وقد داهم البلاد هذا السيل الجارف من هذه الكتب الخليعة التي جلبها أصحابها إما لأجل الفساد وتعشقه ، أو لأجل المادة ، فقد آن الأوان إلى أن يلتفت إلى هذه الناحية بجد ، واهتمام ، ويقضى على هذا الخطر)[٢].

وجاء في خطاب وجهه -رحمه الله- إلى رئيس الديوان العالي قال فيه: (... ونفيدكم أن هذه الكتب ضارة على العقائد والدين ، والواجب التنبيه على الجمارك ، ومفتشي المطبوعات بأن تصادر أمثال هذه الكتب ولا يسمح بإدخالها إلى المملكة...) [٣].

وقد نهى -رحمه الله- الشباب عن مطالعة كتب الكفار لما فيها من أضرار وعواقب وخيمة فقال : (ومن المؤسف حقاً ما نراه من بعض الشباب من إقبالهم على مطالعة كتبهم ومجلاتهم بل شوقهم إلى ذلك ولهفهم إليها بغاية التعطش ، ولا شك أن هذه بادرة شر وعنوان نحس مؤذن بعاقبة سيئة وخيمة جديرة بوجوب الاهتمام بحسمها قبل استفحالها)[٤].

وقد قوم الشيخ -رحمه الله- كثيراً من الكتب التي ضررها أكثر من نفعها ، من هذه الكتب ما ذمها ، ومنها ما حذر منها ، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر :

١- كتاب: (نقض المباني) لسليمان بن حمدان ، قال عنه : (نصيحة

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٨ ، ص١٧٦ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٣ ص١١٧ .
(٣) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٤٦ .
(٤) المرجع السابق ، ج١٣ص١١٨ .

الإخوان ببيان ما في نقض المباني لابن حمدان من الخبط ، والخلط ، والجهل والبهتان)[١] .

٢- رسالة (التشريع والاجتهاد) للأستاذ راغب العثماني ، قال عنها: (...وقد درسنا الرسالة المذكورة فوجدنا صدرها يشتمل على أشياء شهية إلى المسامع ، وسارة للأفئدة ، وممهدة لأسباب الرغبة فيما يرمي إليه مؤلفها ، ونحو ذلك مما لا يشك المرء عند سماعه أن مؤلفها من الدعاة إلى الشريعة ، ومن الهداة إلى الحق في أواخر هذه العصور التي التبس مسلك النجاة فيها على الأكثر ، ولكن بالتأمل لبقيتها ، والتحقق من نتيجتها يظهر واضحاً أنه من أناس طالما أبدوا هذه الشنشنة ، ألا وهي القضاء على أحكام الشريعة وإلغاء ما درج عليه الصدر الأول)[٢] .

٣-رسالة (الله والعلم الحديث) تأليف عبد الرزاق نوفل ، قال عنه -رحمه الله- (وأفيدكم أني اطلعت عليها وهي رسالة فائدتها قليلة ، مع أنها اشتملت على أمور كثيرة لا تسلم للمؤلف ، وبالجملة فهي رسالة لا ينبغي أن يهتم منها أو يعتنى بها)[٣] .

٤-(تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد) تأليف ظاهر الكردي قال عنه (ليس له أهمية ولا حاجة إلى نشره)[٤] .

٥-كتاب (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح) قال عنه : (فيه أخطاء كثيرة من ناحية العقيدة ، فصاحبه في الصفات يرى رأي الأشاعرة ، وعلى ذلك فلا ينبغي مساعدته على نشره)[٥] .

٦-(تفسير محمد أسد) جاء في خطاب وجهه إلى معالي الأمين العام للرابطة: (تعلمون ما جرى في مجالس دورة المجلس التأسيسي الماضية حول (تفسير محمد أسد) وما تم من وجوب إتلاف التفسير ، وعدم توزيعه ، وإصدار بيان من

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٥ ص٥٦ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٢ ص٢٩٢-٢٩٣ .
(٣) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢٠ .
(٤) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢١ .
(٥) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٢١ .

الـرابطة ببيان الأخطاء الواقعة فيه حتى ينتبه لذلك من كان وقع في يده شيء منه، وحتى يعلم الناس أن الرابطة لم ترض بتلك الأخطاء ولم نقر المترجم عليها)[١].



(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٢٢ .

المبحث السادس

جهودة في كتابة الرسائل والمؤلفات

المطلب الأول: جهود الشيخ في كتابة الرسائل

كتب الشيخ -رحمه الله- رسائل عدة في موضوعات مختلفة ، وهذه الرسائل تبين ما لدى الشيخ -رحمه الله- من سعة أفق ، ومن سعة اطلاع ، خاصة وأن الكثير من هذه الرسائل قد عالجت مسائل عصرية لم يأت بها نص صريح من القرآن أو السنة، مما أعطى هذه الرسائل أهمية بالغة ، ومكانة عظيمة ، خاصة وأنها أصبحت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء فيما استشكل عليهم من قضايا أومسائل معاصرة .

وكثير من الرسائل جاءت مطولة ولا يتسع المجال هنا لذكرها كاملة ، لذا سأشير إلى عدد من هذه الرسائل بموجز لما احتوت عليه :

١- رسالة (الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم) وهي رسالة جاءت في نقد كتاب السيوطي (الإتقان) من أن جبريل -عليه السلام- أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ ، وقد أنكر الشيخ -رحمه الله- في هذه الرسالة مقولة (خلق القرآن) ، كُتبت هذه الرسالة سنة ١٣٦٩هـ ، وجاءت في خمس وعشرين صفحة[١] .

٢- رسالة إنكار الاحتفال بالمولد النبوي :جاءت هذه الرسالة رداً على الشنقيطي ونقضاً لما كتبه من استحسانه للاحتفال بمولد النبي ، أثبت فيها الشيخ -رحمه الله- بالأدلة الثابتة من القرآن والسنة أن الاحتفال بمولد النبي ﷺ من البدع المحدثة في الدين. كتبت هذه الرسالة في ٢١/ ٦/ ١٣٨٩هـ ، وقد جاءت في ثمان وثلاثين صفحة[٢] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ص٢١٤-٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج٣ ص٥٧-٩٥ .

٣- رسالة في (بيان ما في الإنجيل من تحريف وتبديل واختلاف في لاهوتية المسيح) وقد وجهها إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، وذكر فيها -رحمه الله- أن الإنجيل واحد ، وهو ما جاء به المسيح -عليه السلام- وأن إنجيل متى، ويوحنا ، ومرقس ، ولوقا قد كُتِبتْ وحرفت بعد أن رُفِعَ المسيح، كتبت هذه الرسالة في ١٣/ ٧/ ١٣٨٧هـ ،جاءت في ست وعشرين صفحة [١].

٤- رسالة في بيان حكم اتخاذ دار بن أبي الأرقم مكتبة ، أو متحفاً ، أو مدرسة، وجعلها مزاراً للحجاج ، وقد بين -رحمه الله- بالأدلة عدم جواز ذلك . كتبت هذه الرسالة في ٢٩/ ١٠/ ١٣٨٢هـ ، وتقع في ثلاث عشرة صفحة [٢].

٥- رسالة في حكم الغلو في القبور والآثار ، ومنها إقامة الاحتفالات عند أضرحة الأولياء والشهداء في يوم مُعَين من كل سنة ، وجمع النذور والصدقات لها، وإنفاق الأموال في الملاهي ، والألعاب ...الخ ، وقد أثبت الشيخ -رحمه الله- بالأدلة القطعية عدم إباحة مثل هذه الأفعال ، وقد كُتِبتْ هذه الرسالة بتاريخ ٣/ ٩/ ١٣٧٥هـ ، وجاءت في عشر صفحات [٣] .

٦- رسالة في حكم لباس المرأة وما يبدي تقاطع بدنها من عضدين وثديين، وخصر ، وعجيزة ، ولباس الثياب الرقيقة التي تصف البشرة ، مبيناً -رحمه الله-أن هذه الأفعال قد تسربت من بلدان الإفرنج ، وهي من باب التشبه بهم ، كُتِبتْ هذه الرسالة بتاريخ ٨/ ٦/ ١٣٨٢هـ ، وتقع في تسع صفحات [٤].

٧- رسالة في حكم شرب دم الضب للأطفال المصابين بالكحة الشديدة ، (السعال الديكي) ، وهي رسالة قيمة فيما احتوت عليه من أحكام ، ونصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية ، كتبت هذه الرسالة في ٢/ ٥ /١٣٨٨هـ ، وتقع في سبع صفحات [٥].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٣٩-٦٥ .
(٢) المرجع السابق ، ج١ ص١٥١-١٦٢ .
(٣) المرجع السابق ، ج١ ص١١٨-١٢٧ .
(٤) المرجع السابق ، ج٢ ص١٥٨-١٦٦ .
(٥) المرجع السابق ، ج٣ ص١٦٧-١٧٣ .

٨-رسالة في حكم الاحتفال بالعيد الوطني ، بيَّن فيها -رحمه الله- منافاة هذا الاحتفال للشرع ، وأنه ليس للمسلمين أعياد سوى عيد الفطر ، والأضحى ، وأي عيد غيرهما مشابهة للكفار ، ومحرم بالأدلة القاطعة من باب تحريم البدع في الدين ، جاءت هذه الرسالة في خمس عشرة صفحة ، وقد كتبها -رحمه الله- بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٣٨٥هـ[١] .

٩- رسالة في حكم لباس النظارة ، والساعة ، والسِّوار ، والسترة ، والبنطلون وهي مسائل معاصرة ، أفتى بها الشيخ -رحمه الله- بكل وضوح ويسر أجاز بعضها، وحرم البعض الآخر ، تقع هذه الرسالة في ثلاث عشرة صفحة[٢] .

١٠- رسالة (تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك) وهي ردُ على رسالة عبد الله بن زيد بن محمود (يسر الإسلام) التي بعثها للشيخ -رحمه الله- ليأخذ رأيه فيها بعد أن طبعها ، ونشرها ، وعممها تعميماً واسعاً على ما فيها من جهالة، وضلالة ، والتي أكسبت مؤلفها سمعة مزرية ، وأوقعته في هوة مردية ، لأنها احتوت على خلط أشياء تتعلق بمناسك الحج ، كتبت هذه الرسالة سنة ١٣٧٦هـ ، وجاءت في اثنتين وخمسين صفحة[٣] .

١١- رسالتان في مشكلة (غلاء المهور) حذر فيهما -رحمه الله- من مشكلة غلاء المهور ، وما يمكن أن يترتب عليها من أمور سيئة منها : قلة الزواج ، مما يؤدي إلى كثرة الأيامى ، وانتشار الفساد ، والإسراف والتبذير المنهي عنه شرعاً، وقد جاء -رحمه الله- بالأدلة الكثيرة المؤيدة لرأيه في ضرورة تخفيف المهر ، كُتبتْ الرسالة الأولى سنة ١٣٨٤هـ ، وجاءت في إحدى عشرة صفحة[٤]، والثانية كتبها في ٢٩/ ١/ ١٣٨٨هـ وجاءت في ثماني عشرة صفحة[٥] .

١٢- سالة في (بيان مقادير الديات) بين فيها -رحمه الله- من خلال

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٠٧-١٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ج٤ ص٧١-٨٤ .
(٣) المرجع السابق ، ج٦ ص٦٧-١١٩ .
(٤) المرجع السابق ، ج١٠ ص١٧٣-١٨٣
(٥) المرجع السابق ، ج١٠ ص١٨٣-٢٠١ .

الأحاديث الشريفة مقدار الدية في القتل الخطأ ، ومقدارها في القتل العمد ، ومقدارها في الخطأ المحض بالريال الفضي السعودي ، وبغيره مما يناسب كل حالة ، صدرت هذه الرسالة في عام ١٣٧٤هـ ، وجاءت في خمس صفحات[١] .

١٣-رسالة في (مهمات من أحكام زكاة المواشي) وضعها -رحمه الله- ليتمشى عليها عمال جبايتها ، ذكر فيها شروط وجوب الزكاة ، ومقدارها وقد نبَّه فيها الجباة إلى تحري الدقة في مقدار الزكاة ، وتأدية ما يقبضونه من الزكاة إلى ولي الأمر، صدرت هذه الرسالة في ٢/١٢/١٣٧٨هـ ، وجاءت في خمس صفحات[٢] .

١٤-رسالة بيّن فيها أن الإحرام بالحج والعمرة من وادي محرم يعتبر إحراماً من الميقات، وليس من موضع محاذ للميقات ، باعتباره إحراماً من وادي قرن المنازل، صدرت هذه الرسالة في عام ١٣٨٨هـ ، وجاءت في ستة عشرة صفحة[٣] .

١٥- رسالة في (حكم التسعير) بين فيها -رحمه الله- أن تسعير السلع أو البضائع جائز بشروط منها : أن يكون التسعير فيما حاجته عامة لجميع الناس، وألا يكون سبب الغلاء قلة العرض ، أو كثرة الطلب ، وبين فيها -رحمه الله- أيضاً تسعير العقارات ، وتحريم التسعير إذا تجاوز الحد الشرعي، صدرت هذه الرسالة في ١٣/ ٧/ ١٣٨٧هـ ، وجاءت في ثماني صفحات[٤] .

١٦- رسالة في (حكم مشابهة الكفار) ، وقد حرم فيها الشيخ -رحمه الله- لبس الكبوس تحريماً قطعياً لأنه لباسٌ مختصٌ بالنصارى ، وبين فيها أيضاً أن مشابهة الكفار معلومة التحريم في الجملة بالكتاب والسنة ، والإجماع ، صدرت هذه الرسالة بتاريخ ١٧/ ٧/ ١٣٧٨هـ ، وجاءت في عشرين صفحة[٥] .

١٧-رسالة في (حكم كشف المرأة وجهها ويديها للأجانب ، وحكم

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١١ ص٣٢٨-٣٣٣ .
(٢) المرجع السابق ، ج٤ ص٢٤-٢٨ .
(٣) المرجع السابق ، ج٥ ص١٧٠-١٨٦ .
(٤) المرجع السابق ج٧ ص٦٥-٧٢ فما بعدها .
(٥) المرجع السابق ، ج٦ ص٢٣١-٢٥٠ .

اختلاط النساء بالرجال). كتبها الشيخ -رحمه الله- بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٣٨٨هـ ، وهي رسالة مطولة جاءت في عشرين صفحة [١] .

١٨-رسالة في (حكم غناء وصوت المرأة في الإذاعة ، وحكم اختلاط المرأة بالرجل في الوظيفة) ، وقد جاء -رحمه الله- بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة على تحريم الغناء عموماً ، وتحريم غناء المرأة مجرداً من آلات العزف ، أو مقترناً بها، ونهى المرأة في هذه الرسالة عن العمل خارج البيت خاصة في الوظائف أو المجالات التي تخالط فيها الرجال . جاءت في تسع عشرة صفحة [٢].

١٩- رسالة (الروضة الندية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية) وهي رسالة مطولة ، ، رد فيها الشيخ -رحمه الله- على مقالة نشرت في مجلة الأسبوع التجاري ، العددين ٣٩ و ٤٢ في إباحة النفع المشترط في عقد القرض ، كُتِبتْ سنة ١٣٨٤هـ ، تقع في ثلاث وأربعين صفحة [٣].

٢٠- رسالة في (التحذير من العينة) وهي الربا المنهي عنه شرعاً ، وقد أورد الشيخ -رحمه الله- الكثير من النصوص القرآنية التي فيها التغليظ ، والوعيد الشديد لمن يتعامل بالربا الذي هو من أعظم الكبائر ، والمحرمات ، كتبت سنة ١٣٦١هـ ، وجاءت في ست صفحات [٤] .

٢١- رسالة (الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم) وهي رسالة مطولة بين فيها -رحمه الله- بالأدلة جواز نقل المقام عن موضعه ، وتقع في تسع وثلاثين صفحة [٥].

٢٢- رسالة (نصيحة الإخوان ببيان بعض ما في نقض المباني لابن حمدان من الخبط والخلط والجهل والبهتان). وهي رسالة مطولة بين فيها -رحمه الله- الرد على الشيخ سليمان بن حمدان في تعقيبه على الشيخ عبد الرحمن المعلمي في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٢٥-٤٤ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٠ ص٢٣١-٢٥٠ .
(٣) المرجع السابق ، ج٧ ص١١٨-١٦١ .
(٤) المرجع السابق ، ج٧ ص٥٥-٦٠ .
(٥) المرجع السابق ، ج٥ ص١٧-٥٥ .

موضوع نقل المقام ، وهي رسالة قيمة يتضح من خلالها سعة علم الشيخ ، وطول باعه ، وسعة أفقه، وتقع في سبع وسبعين صفحة [١] .

المطلب الثاني: جهوده في كتابة المؤلفات

ذكرت سابقاً أن ما كتبه الشيخ -رحمه الله- من المؤلفات ليس على قدر علمه ، وهي أقل من مستواه العلمي ، والسبب في ذلك أنه لم تكن له -رحمه الله- فرصة يتفرغ فيها للتأليف ، ومع ذلك كان له بعض المؤلفات بالإضافة للرسائل التي تحدثت عنها ، ومن هذه المؤلفات :

١- الفتاوى التي جمعها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله- والتي بلغت ثلاثة عشر جزءاً ، والتي قسمها إلى ثلاثة أقسام ، جعل القسم الأول منها في: (العقائد) ، والقسم الثاني في: (الفقه)، والقسم الثالث في: (معارف عامة ومتنوعة) [٢] .

٢-كتاب (تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ) ، وهو كتاب في الحديث جمع فيه المفتي -رحمه الله- ما يقرب من ألف حديث ، اختارها وراعى في اختيارها أن يكون الحديث أصلاً في موضوعه ومعناه ، وسبب تأليفه لهذا الكتاب أن ولي الأمر قد وضع جائزة لمن يحفظ أحاديث متنوعة ، فكتب الشيخ -رحمه الله- إلى ديوان جلالة الملك كتاباً جاء فيه :

(من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم رئيس ديوان جلالة الملك بخصوص الاقتراح المقدم إليكم بجعل جائزة لمن يحفظ بعض الأحاديث ، أفيدكم أن هذا الاقتراح طيب ، يلاحظ أن يكون المطلوب حفظه على الأقل ألف حديث، وأن يكون الحفظ تاماً ... أما انتخاب تلك الأحاديث فيكون من عندنا إن شاء الله)[٣] .

٢- نظم علمي لمقدمة كتاب (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٥ ص٥٦-١٣٣ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٧ .
(٣) المرجع السابق ، ج٨ ص١٣٢ .

مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل) .

٣- كتاب (المجموعة العلمية السعودية)، وهذه المجموعة تحتوي على مجموعة من الكتب والرسائل والمتون العلمية، وقد طُبعت هذه المجموعة سنة ١٣٧٦هـ ، وهي ليست من تأليفه وإنما تحت إشرافه وتصحيحه [١] .



(١) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص٢٢٧ .

المبحث السابع

جهوده في مجال الإعلام

المطلب الأول: التعريف بالإعلام وأهميته في الدعوة إلى الله

الإعلام لغة : مصدر لفعل أعلم ، وهو رباعي من العلم الذي هو إدراك الشيء على حقيقته . وأعلمته وعلمته الأصل واحد ، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع ، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم[١].

والإعلام اصطلاحاً : له تعريفات كثيرة منها : (تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع ، أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم)[٢].

أو هو نشر الأخبار والمعلومات السليمة والدقيقة بحيث تؤثر في الناس تأثيراً واعياً ، الهدف منه تنوير وتعريف الجماهير بالحقائق الواجبة لخدمة الحقيقة والمجتمع والأفراد .

وقيل هو نشر الكلمة أو الخبر ، أو الرأي ، أو الفكرة ، أو الصورة على عامة الناس بإحدى الوسائل الآتية :

أ - الكتابة سواء كانت في كتاب أو صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية ، أو نشرة عامة .

ب - الإذاعة المرئية (الرائي) .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، بتحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، (بيروت : دار المعارف للطباعة) ص٣٣ .

(٢) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ، محمد الغلاييني ، ط١ (جدة : دار المنارة) ص٤٠-٤١ .

ج- الإذاعة المسموعة (المذياع)[١] .

وقد أصبح الإعلام قوة مؤثرة ومهمة في المجتمع الحديث ، بعد أن تعددت المخترعات الحديثة ، وتنوعت أساليب الإدارة ، وتعقدت سبل الحياة ، فهو ترجمان الأمة والمعبر عن وجهتها ، وقضاياها ، ومصالحها .

ولا شك في أن وسائل النشر والإعلام تؤثر تأثيراً خطيراً على نفوس الناس ، وأعمالهم ، ولا جدال في أن هذه الوسائل لها خطرها الكبير في تكوين الاتجاهات والمعتقدات .

ولا شك أيضاً في أن غياب الدعوة الإسلامية عن مجالات هذه الوسائل ، أو قلة مشاركة الثقافة الإسلامية ، خسارة كبيرة للبشرية ، نظراً لما تتعرض له المجتمعات من أفكار هدامة ، وموضوعات مخلة [٢] .

فالذي حدث أن بعض علماء الإسلام نظروا إلى كثير من وسائل الإعلام في وضعها الحالي نظرتهم إلى أماكن اللهو ، والفساد ، فتورعوا ، أو تأثموا أن يتعاونوا معها ، ووجد العالِم أن أحاديثه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تذاع بين مواد اللهو ، والموسيقى ، والغناء ، فأحجم عن المشاركة في هذه الوسائل[٣] .

وقد جاء في وصية للشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- موجهة إلى فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم الجبير العضو في السياسة الإعلامية يوصيه فيها على ضرورة مخافة الله ﷻ فيما ينشر ويعرض في وسائل الإعلام ومراعاة العادات والتقاليد المنبثقة من ديننا الإسلامي الحنيف ، حرصاً منه -رحمه الله- وإدراكاً لما لوسائل الإعلام من أهمية ، وما يمكن أن تلعبه من دور خطير في حياة المجتمع ، يقول -رحمه الله-:

(نبلغكم في طيه نسخة من الخطاب السامي رقم ١٥١١٤ في ٣/٨/٨٧هـ

---

(١) مدخل الى الإعلام ، د. سيد محمد الشنقيطي ، ط١ (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١١هـ) ص٩ -١٠

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج١ ص٤٦٧ .

(٣) وظيفة وسائل الإعلام في تنمية المجتمعات الإسلامية ، ابراهيم مرزوق عبد الرحمن ، ط١ (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٤هـ) ص١٠٩ .

القاضي بتكوين اللجنة المناط بها تخطيط السياسة الإعلامية برئاسة معالي وزير الإعلام وعضوية المشائخ المسلمين فيه ، وحيث نص الخطاب أن فضيلتكم عضو في تلك اللجنة فإنا نبلغكم ذلك مع توصيتنا إياكم بتقوى الله ﷻ ومراقبته في هذا الأمر الأهم جداً ، والوقوف مع حدود ما يجيزه الشرع المطهر وما يتمشى مع عادات البلاد وتقاليدها وفق منهج إسلامي قويم)[١].

فالدين الإسلامي هو دين إعلامي بطبيعته ، لأنه يقوم على الإيضاح ، والبيان، وذكر الحقائق والمعلومات الصادقة ، والأفكار البناءة ، والقرآن الكريم يعتبر أقوى وأكبر وسائل الإعلام والتأثير التي عرفها التاريخ منذ ظهور الإسلام ، الذي هو بطبيعته وبمقياس مفهوم عناصر العملية الإعلامية رسالة إعلامية ، فلو نظرنا أو حللنا عناصر العملية الإعلامية في القرآن الكريم لوجدنا تلك العناصر واضحة جليـة، فالمرسل هو الله ﷻ حيث قال :﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢] ، والمستقبل أو المتلقي هم الناس كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣]، ومضمون الرسالة هو القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٤]، والوسيلة أو حامل الرسالة هو النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٥]، هذا وبالإضافة إلى القرآن الكريم فإن هناك العديد من المضامين والوسائل الإعلامية والتي منها الأحاديث القدسية، والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة، والخطب، والرسائل البليغة، والشعر والندوات بكل أنواعها[٦]، وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**بلغوا عني ولو**

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٩ .

(٣) سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ١٠٥ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٦) انظر : الحرب النفسية في صدر الإسلام ، د. محمد بن مخلف بن صالح المخلف ، ط١ (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١٣هـ) ص٩٠-٩١ .

آيـــــة)[١] .

وتنص المادة الثانية والعشرون من السياسة الإعلامية في المملكة على مايلي:

(يؤكد الإعلام السعودي على أن الدعوة إلى الله بين المسلمين ، وغيرهم قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكاً في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، معتمداً على مخاطبة الفكر ومبتعداً عن كل ما من شأنه أن يثير حفائظ الآخرين)[٢].

أي أن السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية التي صدرت عام ١٤٠٣هـ تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة ، وشريعة ، وتهدف إلى ترسيخ الإيمان بالله ﷻ في نفوس الناس، والنهوض الفكري والحضاري، والوجداني للمواطنين ، وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية وغيرها[٣].

ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام أصبحت تحتل مكاناً مهماً في حياة الناس على اختلاف مشاربهم ، وأصبح مطلوباً -أكثر من أي وقت مضى- من الإعلام الإسلامي أن يرقى إلى مستوى المسئولية التي اضطلع بها ، ألا وهي نشر الإسلام ، والثقافة الإسلامية إلى جميع أصقاع الأرض ، والتقليل من تأثير الوسائل الإعلامية الأخرى المناهضة لهذا الدين ، فمن تمام نعمة الله ، وإكماله تعالى لدينه أن جعل وسائل إبلاغه من السهولة بحيث يدركها العام ، والخاص ، ممن وفقهم الله تعالى لذلك[٤].

والقول بأهمية وسيلة دون أخرى أمر بالغ الصعوبة ، حيث تدخل متغيرات مادية ومعنوية ، فتجعل من وسيلة أهم من الأخرى في ظرف معين دون الآخر لكن لا خلاف في أن الوسائل الإعلامية المختلفة لها من الأهمية ، والتأثير

---

(١) أخرجه البخاري ، ج٣، ص١٢٧٥ ، رقم الحديث ٣٢٧٤ .

(٢) الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية ، المنهج القويم في الفكر والعمل ، محاضرات المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٩ ٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ (الرياض : مطابع جامعة الإمام) ص١٠١ .

(٣) انظر : المملكة العربية السعودية الشريعة الإسلامية تحكم ، د. منير عبد الحميد هارون ، ص١٣٥ .

(٤) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ص٤٨٦ .

في عملية الدعوة ما ليس لغيرها [١].

المطلب الثاني: جهود الشيخ -رحمه الله- في إنشاء مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية

لما كانت الرسالة الإسلامية هي البناء المتكامل لكل ما ينشده المرء في حياته لذلك ينبغي استغلال كل وسيلة إعلامية ممكنة لتبليغ هذه الدعوة ، والاجتهاد في معرفة خصائصها ، وأسلوب الدعوة الناجح من خلالها ، حتى تصل إلى عقل كل إنسان ، وتنفذ إلى كل جارحة منه ، فيعلم الصحيح من السقيم [٢].

وقد رأى سماحته -رحمه الله- الدور الفعال الذي تقوم به الصحافة، والأثر الكبير الذي تنتجه في التوعية ، وتبصير الناس في أمور دينهم ودنياهم ، لذا فقد سعى سماحته -رحمه الله- في إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بالدعوة إلى الله ، وتوجيه الناس إلى الخير [٣].

ففي خطاب وجهه إلى نائب جلالة الملك -رحمه الله- سنة ١٣٨٤هـ يطلب فيه إذن ولي الأمر بإنشاء هذه المؤسسة الصحفية جاء فيه: (عطفاً على حديثي مع مقام سموكم حول عزمنا على إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بالدعوة إلى الله ، وتوجيه الناس إلى الخير بأسلوب حكيم ، وطرق مناسبة ، ويصدر عنها صحيفة تحمل اسم الإسلام ، وإني إذ أرفع ذلك لمقام سموكم نرجو ما يأتي :

أولاً : التأييد كتابياً لموافقتكم على ذلك .

ثانياً : العطف الكامل على هذا المشروع الخيري ، ومساهمة سموكم فيه من مالكم ، وإصدار أوامركم الكريمة بمساهمة الحكومة فيه ، وأنتم مشاعل الدعوة وأنصارها ، ولا قوام لذلك إلا بالله ثم بكم وتأييدكم ثبتكم الله على الهدى) [٤].

وصدرت الموافقة بإنشائها ، فبذل سماحة الشيخ -رحمه الله- جهداً مشكوراً في النهوض بها ، وقيامها بنشر الدعوة إلى الله ، فصدر عنها جريدة باسم

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ص٤٨٦ .

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج١ ص٤٦٧-٤٦٨ .

(٣) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٦٨ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٣ .

(منار الإسلام) ، ثم تحولت إلى مجلة أسبوعية ولا زالت[١] وهي باسم مجلة الدعوة .

وقد بين الشيخ -رحمه الله- أهداف هذه المؤسسة في خطاب وجهه إلى أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي قال فيه :

(نظراً لحالة المسلمين الحاضرة ، وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة ، والأفكار الضالة المسمومة ، ولتبين للناس محاسن الإسلام ، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية ، ولما كانت الصحافة لها أثر كبير في عصرنا الحاضر فقد تقرر أن يصدر عن المؤسسة صحيفة يومية تصدر أسبوعياً مؤقتاً ، ومجلة شهرية ، علاوة على ما نؤمله في المستقبل القريب -إن شاء الله- من قيام هذه المؤسسة بالدعوة إلى الله في أنحاء العالم ، ولما كان وجود أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة وأهدافها ، راجياً منهم مساعدتها بإرسال المقالات النافعة ، والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة)[٢] .

وقد أسند مجلس إدارة هذه المؤسسة إلى مجموعة من أهل العلم والصلاح والوجاهة ، فصدر عن هذه المؤسسة مجلة باسم (الدعوة) ولا تزال هذه المؤسسة تزاول عملها بإصدار مجلة الدعوة كل أسبوع .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيخ -رحمه الله- كان يطمع من وراء إنشاء هذه المؤسسة أن تقوم بالدعوة إلى الله في جميع أنحاء العالم ، وتكون منبر خير ومتنفساً لأقلام الدعاة المخلصين ، لنشر عقيدة السلف الصالح ، والذب عن الإسلام وأهله ، وإيقاظ الأمة من الغفلة التي عمَّت كثيراً من بلاد المسلمين ، فقد كان يغتنم لقاءه بالعلماء ليدعوهم إلى الكتابة في هذه الصحيفة ، وكان يدعو المواطنين إلى المساهمة فيها ، ويشكر كل من ساهم فيها[٣] .

---

(١) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٦٩ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٣-١٦٤ .
(٣) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج١ ص٦٧٧ .

فالإعلام ووسائله عند الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- لايخرج عن أن يكون صوتاً بليغاً ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [١] ، أو هو بيان بديع للعقائد والأحكام ، والأحداث والقضايا والآراء ، والاتجاهات التي تدخل في دائرة اهتمام المسلمين ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٢] .

كما أن ما يميز الإعلام عند الشيخ -رحمه الله- عن غيره هو الصبغة الدينية في المصدر والمقصد والآداب في عزة لا تضاهى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣]، لذلك فهو تعبير صادق عن تطلعات المسلمين وآمالهم محكوم بضوابط الشرع الحنيف ، شعاره ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [٤] ومضمونه الحق ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [٥]، وغايته الصلاح ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [٦] ، وأسلوبه الحكمة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [٧] .

والآيات التي تؤكد وجوب العناية بالبلاغ كثيرة منها : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [٨] . ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٩] . والأحاديث كذلك كثيرة (بلغوا عني ولو آية) [١٠] ، (نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ، فأداها كما سمعها) [١١] .

المطلب الثالث: جهوده في متابعة وسائل الإعلام ونقدها وتوجيهها

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٣ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .
(٣) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .
(٤) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٥ .
(٦) سورة هود ، الآية ٨٨ .
(٧) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .
(٨) سورة الحجر ، الآية : ٩٤ .
(٩) سورة البقرة ، الآية : ٤٢ .
(١٠) سبق تخريج الحديث .
(١١) أخرجه الترمذي ، ج٥ ص٣٤ ، رقم الحديث ٢٦٥٨ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

أدرك سماحة الشيخ -رحمه الله- الأثر الخطير الذي يمكن أن تأديه وسائل الإعلام بكل أنواعها في حياتنا ، خاصة إذا أسيء استعمالها ، وتركت بلا رقيب عليها، ولا موجه لها ، فقام منذراً ، ومحذراً ، وناقداً ، ومتابعاً لما تبثه من أشياء تهدف من ورائها إلى النيل من ديننا الحنيف ، وبث السموم في جسد أمتنا الإسلامية .

من ذلك ما جاء في إحدى نصائح سماحته -رحمه الله- إلى المسلمين التي نبه فيها إلى الكثير مما ينبغي على المسلم عمله من مناصحته لإخوانه ، وصلة أرحامه ، وبر الوالدين ، وعدم التشبه بالكفار ، والحذر من المجلات والإذاعات الخليعة ، يقول -رحمه الله-:

(... ومن ذلك ما روجه دعاة الباطل من نشر هذه المجلات التي فيها التصاوير الخلاعية ، والمقالات الردية ، المخالفة لما عليه المسلمون ، وهذا يفتح باب الشر على من أولع به من الشباب وغيرهم ، فإذا انضم إلى ذلك انكبابهم على سماع الإذاعات الخليعة ، وآلات الملاهي ، فلا تسأل عن ما ينتجه من المفاسد التي من أهونها تضييع الأوقات ، وإنفاق الأموال بالباطل ، وغير ذلك)[1].

فكان -رحمه الله- حريصاً على متابعة الصحف وما يوجد فيها من مخالفات لأحكام الإسلام .

ومن أمثلة ذلك أنه نشر في مجلة رابطة العالم الإسلامي في العدد الأول الصادر في ربيع الأول عام ١٣٨٣هـ مقال عن المولد النبوي ، كما نشرت جريدة الندوة في عددها ذي الرقم ١١١١ الصادر في ربيع الثاني ١٣٨٣هـ مقالاً يستحسن الاحتفال بالمولد النبوي ، فقام بالتعليق على المقالين ، وأرسل التعاليق إلى المجلتين ، فنشرت كل مجلة ما يخصها ، فمن ذلك رسالته -رحمه الله- إلى معالي الأمين العام (لرابطة العالم الإسلامي في حكم نشر ذكرى مولد النبي ﷺ والتي جاء فيها: فوجدنا فيها في الصحيفة السادسة ، والسابعة كلمة بعنوان (مولد محمد ﷺ إعداد هيئة التحرير ، كما وجدنا في الصحيفة الثامنة عشرة قصيدة قيل أنها

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٩-١٧٠ .

للشاعر جورج نقولا عطيه في ذكرى مولد النبي ﷺ وأنت تعرف أن ذكرى المولد شيء محدث في الدين ، ولا أصل له في صدر هذه الأمة أبداً ، وأن تعظيم وقت من الأوقات على ما سواه ، وتمييزه على ما عداه كتخصيص مكان على خلافه من الأمكنة من غير تخصيص شرعي لذلك الزمان ، أو المكان باطل ، والتخصيص المذكور يدخل في التعبد ، والعبادات مبناها على الأمر ... هذا وإن الإقدام على إثبات ذلك ونشره في مجلة الرابطة من غير إذن من رئيس المجلس التأسيسي افتيات عليه)[١].

ومن صور متابعته -رحمه الله- لوسائل الإعلام تكذيبه للكثير من الأخبار التي تنشر في الصحف والمجلات ، فمن ذلك رسالته في تكذيب خبر نشر في جريدة البلاد في عددها رقم (٢٤٠) الصادر يوم الجمعة الموافق ١٢ من شهر جمادى الأولى لعام ١٣٧٥هـ مفاده أن المشايخ توافدوا إلى قصر الحكم في الرياض لتهنئة جلالة الملك -رحمه الله- بيوم ذكرى جلوسه . يقول سماحته -رحمه الله-: (ونقول إن هذا غلط، فإننا وإخواننا المشايخ لا نرى ذلك سائغاً فضلاً عن أن نهنئ الملك به)[٢].

وقد طالب الشيخ -رحمه الله- بمنع المجلات المفسدة للعقيدة والأخلاق ، ففي رسالة وجهها إلى رئيس مجلس الوزراء ذكر فيها : (وبعد : فنرفع لجلالتكم برفقة أسماء الصحف والمجلات الممنوعة من دخول المملكة لما تهدف إليه من فساد الدين والأخلاق ، والمجلات المذكورة أكثرها ممنوع منذ أربع سنوات من قِبل المراقبين بدار الإفتاء ، وأخيراً عندما منع المراقب الديني للمطبوعات بالمدينة مجلة (الموعد) ومجلة (الكواكب) كتب له مدير المطبوعات بالمدينة برقم ١٢٩ وتاريخ ١٥/ ٣/ ٨٠هـ بأن مدير عام المطبوعات كتب له برقم ٢٧٤ وتاريخ ١٤/ ٣/ ٨٠هـ بأن المادة (١٣) من نظام المطابع والمطبوعات تقضي بعدم جواز منع المجلات من دخول المملكة إلا بقرار من المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بعد أخذ موافقة مجلس الوزراء ٥٢٨٥ وتاريخ ١٩/ ٣/ ٧٩هـ، لذا نأمل من جلالتكم

---

(١) انظر كامل الرسالة في فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج٣ ص١٠٦ .

باستمرار منع هذه المجلات حفظاً لعقيدة الأمة وأخلاقها ودينها)[١].

كما أفتى -رحمه الله- بإتلاف المجلات التي فيها صور فقال : (المجلات التي فيها صور حكمها الإتلاف ، وإن حصل شيء دون هذا ، وطمس على الصور إذا لم يكن المقصود هي ، وتتبع ، واستقصى كفى ، وإلا أتلف عقوبة لأجل قاصد الصور والجالب لها)[٢].

ويأسف الشيخ -رحمه الله- من مطالعة الشباب لكتب ومجلات الكفار ، ويعتبرها بادرة شر وعنوان نحس ، فيقول: (ومن المؤسف حقاً ما نراه من بعض الشباب من إقبالهم على مطالعة كتبهم ومجلاتهم ، بل شوقهم إلى ذلك ، ولهفهم إليها بغاية التعطش ، ولا شك أن هذه بادرة شر وعنوان نحس مؤذن بعاقبة سيئة وخيمة جديرة بوجوب الاهتمام بها وحسمها قبل استفحالها)[٣].

وسُئِلَ سماحته -رحمه الله- حول ما إذا كان إدخال الصحف التي فيها صور النساء الكاشفات العاريات إلى البيوت جائز أم لا ، أجاب : (لا يجوز إدخال البيوت الصحف المذكورة في السؤال ، وفاعل ذلك مرتكب جريمة)[٤].

والشيخ -رحمه الله- لا يتهاون أبداً في مسألة نشر الصحف لصور النساء ، لما لذلك من تهاون ، وخدش للحياء ، وتشجيع على نشر الرذيلة ، فمن ذلك اعتراضه ، وأسفه لما نشرته جريدة الرياض لصورة المغنية أم كلثوم ، يقول -رحمه الله- في ذلك: (يؤسفنا ويؤسف كل غيور ما قامت جريدة الرياض تنشره من صور نساء سافرات ، عاريات ، وقد طلع العدد (١١٠٩) منها الصادر بتأريخ يوم الاثنين ١٠ شوال ١٣٨٨هـ ، وعلى صفحته الرابعة صورة كاملة للمغنية أم كلثوم ، أفهذا يخفى عليكم ؟ إننا نعتقد فيكم الغيرة لله ، والترفع بهذه الصحيفة عن هذه الرذائل بنشر هذه الصور المحرمة ، وننتظر ماذا تعملون تجاه هذه

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١١٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٣ ص١١٨ .
(٣) المرجع السابق ، ج١٣ ص١١٨ .
(٤) المرجع السابق ، ج١ ص١٩٤ .

الأمور)[١].

وكان سماحته -رحمه الله- شديد الحرص على ما يصدر من دور النشر من مطبوعات ، والتي قد يوجد فيها أخطاء مطبعية ، وخاصة طباعة القرآن الكريم ففي رسالة لسماحته -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء في منع تسرب المصاحف المغلوطة يقول فيها : (... ولا يخفى على جلالتكم أن وجود هذه المصاحف المغلوطة، والتساهل بشأنها ضرره عظيم ، وواجب على جلالتكم عمل الاحتياطات اللازمة لمنع تسرب هذه المصاحف ، وإنزال العقوبة بمن يدخلها هذه البلاد ، وتقوية جهاز المراقبين الدينيين على المطبوعات بزيادة الموظفين ... وإذا يرى جلالتكم بأن يعمم من مجلس الوزراء بأنه إذا وجد مصحف مغلوط في شيء من المكتبات في المملكة، فإن من يوجد عنده يكون معرضاً للجزاء الرادع ، فهو موافق إن شاء الله)[٢].

وكانت المجلات تكاتب سماحته -رحمه الله- وتستفتيه ، وتنشر فتاويه[٣]، فمن ذلك الاستفتاء الذي وجهته جريدة الندوة إلى دار الإفتاء بمناسبة تسليم دار الأرقم للرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف[٤]، ومن ذلك أيضاً الاستفتاء الذي وجهته إليه جريدة البلاد السعودية حول ما نشر في عددها (١٤١٩) حول اختلاف لعب الأطفال في أيامنا هذه في أشكالها ، وتنوعها عن اللعب التي كانت تلعب بها عائشة -رضي الله عنها-[٥].

وقد كان الشيخ -رحمه الله- يلقي بعض النصائح والتوجيهات ، والمواعظ، والفوائد بواسطة الإذاعة ، كما كانت خطبة الجمعة التي يلقيها -رحمه الله- في الجامع الكبير بالرياض تنقل حية على الهواء بواسطة الإذاعة السعودية[٦] .

ومن صور متابعته ونقده -رحمه الله- للإذاعة السعودية وما يبث فيها ،

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ج١٣ ص٩٠ .

(٣) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج١ ص٦٧٦ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٥١ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٨٠ .

(٦) انظر : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد الشثري ، ج١ ص٦٧٨ .

رسالته إلى الإذاعة التي جاء فيها : (كتب لنا بعض المشايخ وطلبة العلم حيال ما سمعوه في الإذاعة السعودية في برنامج (طـريـق النـور) من تحريف في كسر اللام من قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [٢]، من سورة الشورى وإعادة ذلك البرنامج عدة مرات في الإذاعة على خطئه ، وهذا الخطأ لا يحسن السكوت عليه ، سيما وأنه يذاع من مهبط الوحي ، ومنبع القرآن ، علاوة إلى من يفد إلى هذه البلاد المقدسة من القراء، والفقهاء من شتى بقاع الأرض ، ولا يمكن أن يُقرَ مثل هذا الخطأ كلياً . فنأمل الأمر بإعادة تسجيل هذا المقطع على الصواب ، أو إلغاء إذاعته ، لئلا يتكرر هذا الخطأ على آذان المستمعين ، مع التنبيه على المختصين بملاحظة تصحيح قراءة الآيات القرآنية في الإذاعة ، وجميع وسائل الإعلام كما أنزلت ، والعناية في هذا الأمر ، صيانة لكتاب الله العزيز عن التحريف والخطأ ، وفق الله الجميع لما فيه الخير) [٣].

ويحدد الشيخ -رحمه الله- ما ينبغي أن يستمع إليه من الراديو من برامج، وغيرها ، ففي إجابته عن سؤال حول ما إذا كان الراديو آلة لهو أم لا ، وما حكم من يستمع القرآن والحديث منه ، أجاب سماحته -رحمه الله-: (إن كان يسمع القرآن في المساجد ، ويسمعه في الراديو ، فالذي يستمع في المساجد أخير ، هذا الذي يقرأ فيه إما انجليزي لأجل مشاهرته ، أو أحد ممن يدعي الإسلام ولا ندري حقيقته .

الأخبار : مباح سماع الأخبار ، بشرط أنه ما يصده عن خير ..... والراديو مقصود لمن يسمعه ، فهو بنفسه ليس من آلة الملاهي ....) [٤].

وقد حذر -رحمه الله- من التلفزيون ، وما يأتي به من شرور ، ونبه إلى حماية المسلمين منه أيضاً ، يقول سماحته -رحمه الله- في رسالة وجهها إلى بعض المشايخ بالمدرسة السلفية الذين حذروا من التلفزيون: (هذا وقد أحطنا علماً بما نبهتم عليه بصدد التلفزيون ، والحقيقة أن موضوعه هو كما ذكرتم ، ونسأل الله أن

---

(١) سور الشورى ، الآية : ٤١ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٤٣ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٥ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٢٢٥ .

يصرف عن المسلمين طرق الشرور ومسبباتها ، إنه على كل شيء قدير . والسلام عليكم ورحمة الله .

(**ملحوظة**) : أما ما ذكرتم أنه بلغكم أننا سنفتتحه ، فمن أين بلغكم ذلك ، وأنا دافعت دفاعاً شديداً في حماية المسلمين منه وكفه ، وهذا من فضل الله علي ، ولا أزال عند موقفي في ذلك ...) [١] .

ويعترض سماحته -رحمه الله- على وجود السينما ونحوها لما فيها من الأمور التي توجب غضب الله ﷻ ، ومن الصدّ عن ذكر الله ، فيقول: (ومن أعظم المعاصي استعمال الملاهي : من الفتح على السينما ، وغيرها ، ولا سيما ما يشتمل على المناظر ، والمسامع المحرمة ، فإنها تشتمل من الصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، والإغراء بالفواحش ، وغير ذلك مما يعرفه أرباب البصائر) [٢] .

وقد شدد -رحمه الله- كثيراً على ضرورة منع السينما ، وأغلظ القول لكل من حاول العمل بها . وقد صدر الأمر السامي سنة ١٣٨٥هـ بمنع عرض السينما في المملكة العربية السعودية لما لها من المخاطر الجسيمة على كل من يشاهدها ، يقول -رحمه الله-:

(إشارة إلى صورة من الخطاب السامي الموجه إلى وزارة الإعلام ، والمعمم على الجهات الحكومية برقم ٢٦٠١١ في ٢٨/١٢/ ٨٥هـ حول منع السفور ، والتبرج ، مع أخذ التعهد على كل شخص يتم التعاقد معه باحترام أنظمة البلاد وتقاليدها السامية ، وتدعيم الرقابة على الكتب بمفتشين من كبار طلبة العلم الموثوقين ممن اتسعت آفاقهم ومداركهم ، وأن لا يذاع أو ينشر في الصحف إلا ما يتفق وعقيدتنا وعاداتنا ، وتقاليدنا، وعدم السماح بعرض السينما في الأماكن العامة مطلقاً ، ومن يحاول العمل بمثل ذلك يجازى بمصادرة الأفلام ، والآلات الخاصة بذلك ، مع السجن والجلد أمام الناس ، لإشعاركم والعمل بمقتضاه) [٣] .

---

(١) المرجع السابق ، ج١٠ ص٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج١٠ ص٢٥٣ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٢٥٩ .

المبحث الثامن

جهود الشيخ في النصيحة لولاة الأمر

المطلب الأول : التعريف بالنصيحة وأهميتها

النصيحة في اللغة: النُصح نقيض الغش مشتق منه نَصَحهُ ، والنصيح الناصح، وقوم نصحاء، ويقال : انتصحت فلاناً وهو ضد اغتششته ، وتغتشه : تعتده غاشاً لك، وتنتصحه تعتده ناصحاً لك . ومنه قولهم : لا أريد منك نصحاً بضم النون ولا انتصاحاً ، أي لا أريد منك أن تنصحني ، ولا أن تتخذني نصيحاً ، فهذا هو الفرق بين النصح والانتصاح[١] . قال تعالى: ﴿ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لكم ﴾[٢]، وقوله ﷻ :﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[٣] .

وقال بعض أهل العلم : جماع تفسير النصيحة هي : عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان وهي على وجهين ، أحدهما فرض ، وثانيهما نافلة ، فالنصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض ، ومجانبة ما حرم[٤]

النصيحة اصطلاحاً :

النصيحة : هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح ، والنهي عما فيه الفساد[٥].

والنصح : هو إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ط٣ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩هـ) ج١٤ ص١٥٨ -١٥٩ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٣٤ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٧٩ .

(٤) الدين النصيحة ، الحافظ زين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي ، تحقيق أشرف عبد الرحيم ، ط١ (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١١هـ) ص٣٨ .

(٥) التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ) ص٢٩٦ .

الغـش[١].

ورجـل ناصـح الجيـب : نقـي الصـدر ناصح القلب ، لا غش فيه كقولهم طاهر الثوب[٢].

وقـيل : النصيحة : مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب[٣].

وتنـبع أهمـية النصـيحة مـن أنها عماد الدين وقوامه ، قال رسول الله ﷺ (**الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[٤].

ولمـا كانـت النصـيحة مـن بـاب المضاف استفصلت ، فقيل : لمن يا رسول الله؟ قـال: (لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، فجعلها شائعة في كل سهم من سهام الدين ، وفي كل قسم من أقسامه ، وفي كل طبقة من طبقات أهله[٥].

(فالنصـح لله وصـفه بما هو له أهل ، والخضوع له ظاهراً وباطناً ، والرغبة في محابه بفعل طاعته ، والرهبة من مساخطه بترك معصيته ، والجهاد في رد العاصي إليه .

وأمـا النصـيحة لكتاب الله ﷻ : تعلمه وتعليمه ، وإقامة حروفه في التلاوة وتحريـرها في الكـتابة ، وتفهـم معانـيه ، وحفـظ حدوده ، والعمل بما فيه ، وذب تحريف المبطلين عنه.

والنصيحة لرسول الله ﷺ معناها : تعظيمه في القلوب وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها ، والاقتداء به في أقواله وأفعاله ، ومحبته ، ومحبة أتباعه .

---

(١) الجـامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، ط١ (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٨٦هـ) ج٧ ص٢٣٤ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ج١٤، ص١٥٩ .

(٣) نصـوص الدعـوة في القرآن الكريم ، د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ، ط١ (الرياض : دار اشبيليا ، ١٤١٨هـ) ص٢٥ .

(٤) أخـرجه مسـلم في صـحيحه ، كـتاب الإيمـان ، باب : بيان أن الدين النصيحة ، ج١ ص٧٤ ، رقم الحديث ٥٥ .

(٥) الدين النصيحة ، الحافظ زين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي ، ص٣٥ .

والنصيحة لأئمة المسلمين : إعانتهم على ما حملوا القيام به ، وتنبيههم عند الغفلة ، وسد خلتهم عند الهفوة ، وجمع الكلمة عليهم ، ورد القلوب النافرة إليهم ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن .

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي تعني : الشفقة عليهم ، والسعي فيما يعود نفعه عليهم ، وتعليمهم ما ينفعهم ، وكف الأذى عنهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه)[١] .

ولقد جاء ذكر النصيحة في عدد من آيات القرآن الكريم لما لها من أهمية كبيرة في حياة الناس ، وما تعبر عنه من تعاضد المسلمين وتآزرهم ، ومحبتهم لبعضهم خاصة إذا كانت النصيحة خالصة لوجه الله تعالى ، وهذه الآيات جاءت على لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، يقول تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢] ، وقال تعالى أيضاً على لسان نوح عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴿٩١﴾ ﴾[٤] .

وقد حض الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة على النصيحة وأهميتها في حياة المسلمين، وأهمية تناصحهم فيما بينهم ، قال رسول الله ﷺ : (**حق المؤمن على المؤمن ست** فذكر منها (**وإذا استنصحك فانصح له**)[٥] .

وعن جرير بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال : (**بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم**)[٦] .

ولقد بين الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- أهمية النصيحة والحرص عليها في كثير من النصائح المهمة والقيمة ، منها نصيحته إلى عامة المسلمين ، التي

---

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ج١ ص١٣٨ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٦٨ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٦٢ .
(٤) سورة التوبة ، الآية : ٩١ .
(٥) أخرجه مسلم ، ج٤ ، ص١٧٠٥ ، رقم الحديث٢١٦٢ .
(٦) أخرجه البخاري ، ج٢ ، ص٥٠٧ ، رقم الحديث ١٣٣٦ .

يقول فيها -رحمه الله-:

(فالموجب لهذا هو تذكيركم والنصيحة لكم ، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [١] وقوله ﷺ: (الدين النصيحة ثلاثاً) قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال: (لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم) فأذكركم بما منَّ الله عليكم من التوحيد ومعرفة دين الإسلام ، والاهتداء بهديه ، والاستضاءة بنوره ، مع ما انضم إلى ذلك مما أنعم الله به من هذه الولاية الدينية العامة التي ساد الأمن فيها وانتشر ، وجرت ونفذت فيها أحكام الشريعة الإسلامية على الكبير والصغير ، والحر والعبد، فلله ربنا مزيد الحمد والثناء ، فاشكروا عباد الله هذه النعمة ، واغتبطوا بها ، وارعوها حق رعايتها ، واقدروها حق قدرها ، وتحدثوا بها كثيراً ، وتواصوا فيما بينكم بالتمسك بما يحفظها ، والتحذير من ارتكاب أسباب زوالها وقرارها ، فإن النعم إذا شكرت درَّت وتزايدت وقرَّت ، وإذا كُفِرتْ تناقصت وانمحقت وفرَّت) [٢] .

المطلب الثاني: مضامين نصيحة الشيخ لولاة الأمر

النصيحة في كتابات الشيخ -رحمه الله- لها مكانة مرموقة سواء في فتاواه ، أو رسائله ، أو خطبه ، فقد كان يحرص سماحته على إبداء النصيحة والإرشاد لكل من يلقاه ، وكان يجود بها في كل محفل ، وفي كل مناسبة ، وهذا ليس بالمستغرب على عالم فقيه كالشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- الذي عَرف الله حق المعرفة ، وأراد هذه المعرفة لجميع الناس ، فإبداء النصيحة سمة العلماء وديدنهم على مرِّ العصور ، فلم يتهاونوا أو يظنوا بها ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم .

وقد انطلق الشيخ -رحمه الله- في نصيحته لولاة الأمر من إخلاصه لله تعالى في ذلك ، فكان يبدي النصيحة موجهاً ومذكراً ، ومعيناً لولاة الأمر عملاً بقول النبي ﷺ : (**إن الله يرضى لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به**

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٥ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧٧ .

شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، وأن تناصحو من ولاه الله أمركم)[١].

وقوله -عليه الصلاة والسلام : (**ثلاث لايغل عليهن قلب مؤمن : إخلاص العمل لله، والطاعة لذوي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**)[٢].

ولقد سار -رحمه الله- على نهج علماء السلف في النصيحة لولاة الأمر وتذكيرهم، وإعانتهم على حكم الرعية بالعدل والإنصاف ، فقد كان علماء السلف يطرقون أبواب الحكام ويحضرون -عند الحاجة- مجالسهم لا من أجل الدنيا وحظوظ النفس المتنوعة ، ولكن من أجل كلمة حق يلقونها على أسماعهم ، وفكرة صائبة يقذفونها في قلوبهم وعقولهم ، لعل الله أن يشرح صدورهم فتصلح بها أحوالهم وأحوال رعيتهم ، قياماً بواجب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ، وإعانة على الخير والبر والتقوى ، فإن هداية الحاكم من أعظم الخير وأجل ثمرات الجهاد ، إذ بصلاحه صلاح البلاد وأحوال العباد[٣].

وتنوعت المضامين التي اشتملت عليها نصائح الشيخ -رحمه الله- لولاة الأمر، وتعددت جوانبها بتعدد ما كان يراه يستوجب النصيحة ومن هذه الجوانب مايلي :

الفرع الأول : الجانب العقدي: أيقن الشيخ -رحمه الله- بأهمية العقيدة في حياة المسلم ، وما ينتج عن هذه العقيدة الصحيحة من التوجه الصادق مع الله ﷻ وعبادته عبادة خالصة لوجهه ، ولما كان للعقيدة هذه المكانة الرفيعة فقد أولاها -رحمه الله- مزيد اهتمام وعناية ، فحرص على ترسيخها في نفوس المسلمين ، وجاهد في سبيل تنقيتها وتوضيحها والحث عليها .

وقد أدرك سماحته -رحمه الله- أهمية الجانب العقدي عند ولي أمر

---

(١) أخرجه مسلم في ، ج٣ ص١٣٤٠ ، رقم الحديث ١٧١٥ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب العلم ، باب : العلم ، ج١ ص١٦٢ ، رقم الحديث ٢٩٤ حديث صحيح ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد الألباني ، م١ ، ج٥ ص١٤٥ .

(٣) تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الشيخ عبد الله بن صالح القصير ، ط ١ (الرياض : دار العاصمة ١٤١١هـ) ص٦٧ .

المسلمين والأثر الكبير الذي يمكن أن يتركه في حياة الناس ، باعتباره القدوة وصاحب السلطة صاحبة الهيبة والكلمة المسموعة .

جاء في رسالة لسماحته موجهة إلى جلالة الملك سعود -رحمهما الله- يستحثه لنصرة الدين ، وإبطال مزاعم الملحدين الضالين ، قال فيها :

(إن جلالة الملك -حفظه الله- وهو ولي أمر المسلمين اليوم وهو أولى الناس بنصر دين الإسلام وما جاء به الرسول -عليه الصلاة السلام-، وإزالة ما يخالف ذلك ، وهو خير من تعلق عليه الآمال بعد الله في رفع راية السنة المطهرة ، والجهاد في سبيل إعلاء شأن هذا الدين حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله ، لا تلين قناته في ذلك ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد قام جلالته وفقه الله بالحظ الوافر في هذا السبيل ، ولا يزال قائماً إن شاء الله بنصرة هذا الدين ينفي عنه تحريف المبطلين وانتحال الزائغين والملحدين)[١].

وفي رسالة أخرى موجهة إلى الملك سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- بخصوص منع خرافي من القصص في المساجد قال فيها -رحمه الله-:

(قدم إلى الرياض شخص يدعى ..... وجعل يقص في المساجد وفي بعض المجتمعات ، والرجل المذكور خرافي ، وله كلام حول المعتقد فاسد ، فيجب حفظكم الله منعه من القصص هنا وفي سائر أنحاء المملكة)[٢] .

وفي نصيحة وجهها -رحمه الله- إلى المسلمين خص فيها الأمراء بقوله : (فيا أمراء المسلمين ، ويا حماة الدين ، ويا علماء شرع رب العالمين ، ويا كافة إخواننا المسلمين : الله الله أن تستلب نعمتكم عياناً وأنتم تقدرون على ثبوتها فيكم، ألا وهي نعمة التوحيد وتحكيم الشريعة المحمدية ، وحفظ المحارم والأولاد والعز والشرف، واعتصموا بالله جميعاً في إقامة الحق ، والقضاء على جميع المنكرات والأخذ على أيدي السفهاء والعصاة ... وعلى ولاة المسلمين تجريد صوارم العزمات ، ومتابعة صواعق التغليظ ، والتهديدات ، والضرب على

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٤١ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٢ .

أيدي العصاة بيد من حديد ليرجعوا إلى نجاتهم وحياتهم ، وأن يؤكدوا على العلماء فرداً فرداً غاية التأكيد أن يقوموا بواجبهم ، ويساعدوهم ، ويشدوا أعضادهم بالتنفيذ)[١].

وقد كان -رحمه الله- من أشد الغيورين على العقيدة الصحيحة ، فكان يعترض على كل ما من شأنه أن يمسَّ هذه العقيدة أو ينال منها ، من ذلك ما جاء في إحدى نصائحه -رحمه الله- التي وجهها إلى الملك سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- بخصوص طلب بعض الأشخاص من المملكة التبرع بأرض لإنشاء كنيسة عليها ، يقول سماحته :

(نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢] ، وتعلمون حفظك الله ما يجب عليكم تجاه هذا الأمر الخطير من الإنكار غيرة لدين الإسلام الذي رضيه الله ديناً لعباده المؤمنين ومن عليكم به ، وجعلكم أنصاراً وحماة له، إننا نهيب بشهامتكم وبغيرتكم أن تبادروا بالإنكار على هذا الرجل ، وأرجو الله أن يحفظكم ويحفظ بكم الإسلام والمسلمين)[٣].

ومن فضل الله ﷻ أن وفقه -رحمه الله- لولاة حريصين على تطبيق الشرع، قابلين للنصيحة ، فكثيراً ما نجد في فتاوى الشيخ -رحمه الله- كثرة الاستفتاءات الموجهة لسماحته من ملوك ، وأمراء ، وهذا يدل على حرص هؤلاء الولاة على تبين الحق من الضلال ، وتمييز الغث من السمين ، واهتمامهم بدينهم وعقيدتهم في المقام الأول ، ونحن إذا كنا نورد هنا بعض الأسئلة والاستفتاءات الموجهة لسماحته -رحمه الله- من ملوك وأمراء هذا البلد فهي على سبيل المثال لا الحصر،

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٧٦ .

(٢) سورة محمد ، الآيات : ٢٥-٢٨ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٨٥ .

ولا يتسع المقام هنا لذكرها جميعاً ، فلقد استفتاه الملك سعود -رحمه الله- عن حكم الشرع في وضع الستائر على الشبابيك الحديدية المحيطة بالحجرة النبوية الشريفة [١] ، كما استفتاه في حكم بيع كسوة الكعبة للتبرك بها [٢]، وكذلك عن حكم الشرع في نقل مقام إبراهيم عليه السلام وتنحيته عن موضعه الحالي إلى مكان آخر من المسجد حتى يتسع المطاف للطائفين[٣].

الفرع الثاني : العبادات

العبادات ليست محصورة -كما يراها البعض- في تأدية الشعائر الدينية من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وإنما تشمل العبادات : حياة الإنسان بكل دقائقها وتفاصيلها ، وبكل جوانبها العملية ، والعلمية ، والاجتماعية ... الخ ، فتنفيذ كل أمر جاء في الكتاب والسنة إنما هو عبادة ، وكل أمر نهى عنه الله ﷻ في كتابه وسنة رسوله ﷺ فهو عبادة ، ولأجل ذلك قال – تعالى- : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٤].

ولقد بين الشيخ – محمد بن إبراهيم -رحمه الله- هذا المعنى ووضحه بقوله: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[٥].

من هنا كانت نصائح الشيخ -رحمه الله- وتوجيهاته تطبيقاً لهذا المفهوم الذي يشمل عامة حياة الإنسان ، ففي نصيحة قيمة أرسلها -رحمه الله- إلى عدد من الأمراء يبين لهم فيها أهمية اجتماع الكلمة ، والتحذير من الاختلاف والتفرق، قال فيها:

(فاعلموا -وفقكم الله- أن عقيدتي التي أنا عليها أني أدين لله بالنصح

---

(١) وللاستزادة انظر : المرجع السابق ، ج١ ص١٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، ج٥ ص٩ .
(٣) وللاستزادة انظر : المرجع السابق ، ج٥ ص١٥ .
(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .
(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٨٠ .

والمحبة لكم ولجميع إخواننا المسلمين إلى أن ألقى الله ﷻ ، وأهم شيء أناصحكم فيه وأعظمه إجابة داعي الشرع ، وأن لا تلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة ، ومن ذلك إجابة داعي إمام المسلمين ما لم يدع إلى الاجتماع على معصية ، وإنما دعا إلى الاجتماع على طاعة الله وعدم التفرق والاختلاف ، وجميع المشايخ يرون ذلك ويفتون به)[١] .

وجاء في إحدى رسائله التي وجهها -رحمه الله- إلى عامة المسلمين وخص فيها ولاة الأمر بضرورة حث الرعية على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان، وحج البيت ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال :

(وذلك واجب على ولاة المسلمين أن يقوموا بعزم صارم ، ويبذلوا المجهود حقيقة فإن الله جعل الأمور في أيديهم ، وهم الذين بين الله وبين خلقه)[٢].

كما جاء في رسالة أخرى في وجوب إخراج الزكاة قوله -رحمه الله-:

(كما يتعين على ولاة الأمور أن يوصوا من يبعثون في قبض الزكاة بتقوى الله واستيعاب جميع القيمة عندما تؤخذ القيمة ، والاستقصاء في ذلك ، كما يجب عليهم أن يقوموا حول هذه العبادة العظيمة وسائر فرائض الدين بما يخرجون به من عهدة ما ولاهم الله عليه ، وهو سائلهم عنه يوم القيامة ، فإن أهم مقاصد الولاية إقامة دين الله، وإلزام الخاصة والعامة من المسلمين بإلتزام فرائضه ولاسيما التوحيد والصلاة والزكاة ، وأن يعاقبوا المتهاونين بأمر الله ورسوله ، والمتساهلين بفرائض الدين بالعقوبة التي تردع العصاة والغواة عن عصيانهم وغيهم)[٣].

الفرع الثالث : تحقيق مصالح المسلمين الدينية والدنيوية

لقد دأب الشيخ -رحمه الله- طيلة حياته العامرة على خدمة هذا الدين ، ونصح من اتبعه ، وانطلاقاً من أهمية النصيحة التي حض عليها ، رأى -رحمه الله- أن الاهتمام بتحقيق مصالح المسلمين الدينية والدنيوية هي من صلب

---

(١) المرجع السابق ، ج١٢ ص١٧٠ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ج٤ ص١١٣-١١٤ .

النصيحة لهم، لذلك كان يوجه ، ويتابع ، وينتقد كل ما من شأنه أن يقف حائلاً في طريق مصالح المسلمين ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة منها رسالته -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء بخصوص الحاجة إلى هيئة للنظر في أمور تهم المسلمين فيما يتعلق بأشياء عديدة كالسيول والطرق وغيرها ، جاء فيها :

(ولما كانت هذه ضرورة ملاحظتها ، وجزء من تيسير أمور الناس وتسهيل مشاكلهم ، ودرء ما يتوقع من إشغال ولاة الأمور والمحاكم بالمرافعات والمنازعات ، إلى جانب أن ذلك يعتبر من صميم القضاء ولا مندوحة عنه ، لذلك فإنا نضع بين يدي سموكم هذه المسألة لتقرروا ما يضمن المصلحة)[١].

ومن ذلك أيضاً رسالته -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء والتي يظهر فيها قوته في الدفاع عن حقوق المسلمين ومصالحهم ، وهذه الرسالة تتعلق بقطعة أرض متنازع عليها بين شخصين ، فلم يجزها لهذا ولا لذاك ، وإنما هي مرفقٌ عام يعود بالنفع على المسلمين ، يقول فيها: (وبتتبع كامل ملف المعاملة ، وتأمل ما أجاب به كل من الطرفين ظهر أن مثل هذه الأرض من مرافق الشوارع التي يحتاج إليها المسلمون إما لمصلحة البلد عموماً ، أو لمصلحة البيوت القريبة منها فلا تحلُّ لهذا ولا لهذا ، ولا يسوغ لولي الأمر ولا لأحد من نوابه إعطاؤها أحداً مجاناً ولا بقيمة ، لتعلق حقوق المسلمين بها)[٢].

ويتبين لنا من خلال الرسالة التالية التي بعث بها -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء كيف كان سماحته مهتماً بأمور الناس الدينية والدنيوية ، مشفقاً عليهم فقد اعترض-رحمه الله- على قيام بعض الشركات بجمع لحوم الهدايا والضحايا وبيعها لما لذلك من إضرار بالفقراء والمساكين ، وإخلال بالحكمة التي لأجلها شرع هذا النسك، يقول -رحمه الله-:

(والأصل في الهدايا والضحايا أن يأكل منها المهدي ، ويتصدق ببعضها ويهدي البعض الآخر . ولو جُعِلَ على شكل شركة لأضرت بالمساكين الفقراء

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج٨ ص٢٢٣ .

الذين هم من أهم المقاصد التي لأجلها شرع الهدي ، فالشركة تريد أن تجمع لنفسها وتربح وتبذل ما في وسعها لتجمع أكبر عدد ممكن من الهدايا والأضاحي لتكسب منه الربح الكثير ، وهذا ينافي الحكمة التي لأجلها شرع هذا النسك ، وقد ينجم عن شركة كهذه أضرار عظيمة : من منع الفقراء ما يستحقون ، وتهاون الناس بهذه الشعيرة العظيمة ، وضعفها في نفوسهم ... وفق الله جلالتكم وأرشدكم إلى ما يحقق المصلحة الدينية والدنيوية . والله يحفظكم) [١].

ومن ذلك أيضاً رسالته -رحمه الله- إلى رئيس مجلس الوزراء بشأن منع دلال يغرر بأموال الناس ، جاء فيها :

(فقد جرى النظر في المعاملة الواردة إلينا رفق خطاب سموكم برقم ... وتاريخ ... المختصة بقضية السجين ... دلال عقار ، والمتهم بأخذ أموال الناس بطريق الاحتيال ، كما جرى الاطلاع على ما قرره رئيس المحكمة الكبرى بجدة برقم ... وتاريخ ... المتضمن امتناع المذكور من تسليم ما عليه ، وعجزه عن إحضار ضمين مالي ، والحكم عليه ببيع داره وتسديد أهل الحقوق ، مع منعه من تعاطي الدلالة في العقارات لئلا يُغرِر بالناس)[٢] .

وقد بلغ بالشيخ -رحمه الله- من الحرص على مصالح المسلمين أن أرسل رسالة إلى الملك فيصل -رحمه الله- يطلب منه عزل قاض يشرب الدخان ، ويؤخر معاملات الناس ، قال فيها :

لقد تحقق لدينا أن قاضي ... يشرب الدخان علنا في المحكمة ، كما أن معاملات الرعية وقضاياهم تتأخر لديه ولا يبت فيها ، وحيث إن ذلك أمر يؤسف له خاصة إذا صدر من القضاة ، ولذا فإن المصلحة تدعو إلى إحالته إلى التقاعد فنرجو من جلالتكم الموافقة على ذلك وإبلاغنا إياه) [٣].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص٥٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج٨ ص١١٢ .
(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٣٢٤ .

الفرع الرابع : ضرورة الردع بالوازع السلطاني

يرى الشيخ -رحمه الله- أن الردع بالوازع السلطاني له أهمية كبيرة في امتناع كثير من الناس عن المنكرات والمخالفات الشرعية ، لأن تطبيق الشريعة وأحكامها يحتاج إلى قوة تساند رجال الدين والدعاة في مهامهم .

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (والدعوة إلى الله -تعالى- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم ذلك كله إلا بتطبيق وتنفيذ العقوبات الشرعية ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وذلك واجب على ولاة الأمور ، وذلك يحصل بالعقوبات على ترك الواجبات وفعل المحرمات، ولا يجوز لهم التهاون في تنفيذها، لأنها من شرع الله ، وتعطيلها يؤدي إلى سخط الله كما يؤدي إلى فساد المجتمع، فإذا أُقيمت الحدود ظهرت طاعة الله ، ونقصت معصيته ، وحصل الخير والنصر ، والتمكين) [١] .

لذلك لم يألُ جهداً -رحمه الله- في مناصحة ولاة الأمور في هذا الشأن . جاء في إحدى رسائله التي وجهها إلى رئيس مجلس الوزراء ينكر فيها على من يؤخرون ختان أولادهم ، وعلى مغالاة بعضهم في المهور ، يقول :

(وحيث إن هذه الأمور مخالفة للمقتضيات الشرعية ، وإن التوجيه والوعظ والإرشاد في تلك الجهات لا يؤتي ثماره ما لم يسند بوازع سلطاني ، فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . لذلك نأمل من جلالتكم تعميد إمارات تلك الجهات والتأكيد عليهم بإنكار هذه المنكرات ، ومعاقبة أهلها بما يردعهم ، ويزجر أمثالهم)[٢].

وفي رسالة وجهها -رحمه الله- إلى وزير الداخلية عن الحالات التي لا يكون فيها دفع الديات والتعزير رادعاً لأصحاب الجرائم والجناة ، قال فيها :

(أما حكم مثل هذه المسائل فينبغي أن ينظر إليها من ناحيتين : ناحية فيما

---

(١) الحسبة في الإسلام ، ابن تيمية ، تحقيق : سيد أبي سعدة ، ط١(الكويت : مكتبة دار الأرقم ، ١٤٠٣هـ)

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٤١-٤٢ .

يختص بالقاضي ، وناحية فيما يختص بولي الأمر . فأما القاضي فإنه يتمشى على كلام العلماء المأخوذ من نصوص الشرع الشريف نصاً ، واستنباطاً ، أو قياساً ، ولا يسوغ له تعديه لقول غيره كائناً من كان . وأما ولي الأمر فيسوغ له النظر المصلحي فيما يقطع دابر الفساد حسب السياسة الشرعية ، والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها)[١] .

كما وجه -رحمه الله- خطاباً إلى أمير منطقة الرياض بخصوص ردع من يمتنع عن تزويج ابنته للرجل الكفء الذي ارتضته زوجاً لها ، ومن ضرورة استعمال الوازع السلطاني في هذه الحالة من خلال سجن الأب إذا أصرَّ على الرفض ، قال فيه : (وفي الحقيقة -حفظك الله- الرعية في ضرورة إلى الوازع السلطاني ، وهذا الرجل يلزم شرعاً من قبل سموكم أن يعقد لها الكفء الثابتة كفاءته عند الشيخ الشعبي قاضي السيح في الخرج ، وإن أحوج إلى السجن فيسجن حتى يزوج)[٢] .

وجاء في رسالة أخرى لسماحته -رحمه الله- موجهة إلى الأمير فيصل نائب جلالة الملك بشأن منع آلات اللهو ، وبيعها وشرائها، واستعمالها: (فينبغي -حفظك الله - إصدار الأوامر بمنع توريدها ، ومنع بيعها ، وشرائها ، لأنها لا تشترى ولا تستعمل إلا للغناء . كما ينبغي التصريحات لرجال الهيئة والمرشدين بمنعها ، ومصادرة من يوجد عنده شيء منها ، وهذا واجب شرعاً لما فيه من إنكار المنكرات والقضاء عليها ، وقمع أهل الفساد ، وغير ذلك من المصالح التي أنتم تحرصون عليها. فالأمل في سموكم إجراء اللازم ، وإشعارنا بصورة مما تصدرونه حول هذا للمعلومية)[٣] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١١٧-١١٨ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٠ ص٩٩ .
(٣) المرجع السابق ، ج١٠ ص٢٥١ .

المبحث التاسع

جهود الشيخ في الدعوة خارج المملكة

المطلب الأول : أهمية الدعوة خارج المملكة

الدعوة إلى الله تعالى هي أصل وموضوع الرسالة الإلهية إلى العباد ، وهي مهمة الرسل جميعاً -صلوات الله وسلامه عليهم- لهداية البشر ، وهي ميراث النبوة بعد انقطاع الوحي ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[١]، والدعوة إلى الله تعالى واجب منوط بأعناق الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات وأمة ، وهي مناط شرفها في هذه الحياة ، يقول تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[٢]، والبشرية في حاجة قائمة وملحة إليها في كل وقت وبيئة[٣] .

وقد حبا الله هذه الأرض الطيبة بأعظم ميزة على وجه الأرض بأن جعلها مهداً لأعظم ديانة ، ألا وهي الدين الإسلامي ، هذا الدين الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليرسم للبشرية طريقاً مستقيماً بعد أن طال ليل الجهل، وعم ظلام الكفر ، وبعث لهذا الدين أعظم مخلوق وأشرفهم محمد ﷺ ، وأنزل عليه أعظم كتاب بين الكتب السماوية وهو القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين على مر الزمان ، يرجعون إليه في كل صغيرة وكبيرة .

ومن هذا المنطلق كان لزاماً على المملكة العربية السعودية أن تقوم بمسؤولية تجديد هذا الدين الحنيف في كل بقاع الأرض وخاصة البلدان التي شوهت فيها صورة الإسلام ، بفعل الأفكار الملحدة التي جردتها أقلام الكفر

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

(٣) فصول في الدعوة الإسلامية ، د. حسن عيسى عبد الظاهر ، ط١ (قطر : دار الثقافة ، ١٤٠٦هـ) ص٣-٤ .

والإلحاد والفسوق والتي شحذت لهذا الدين أقوى الأسلحة محاولة منها للقضاء عليه والنيل منه ، فهناك كثير من البلدان في العالم بحاجة ماسة لأن يصلها الدين الإسلامي الصحيح على أيدي الدعاة المخلصين لله ﷻ تلك البلدان التي لم يصلها من الإسلام سوى القليل ، ومازالت بحاجة إلى من يفقهها أمور دينها ، ويقوي عقيدتها ، خصوصاً بعدما طغت الأفكار المادية والإلحادية على عقول الكثيرين منهم .

وتنبع أهمية الدعوة إلى الله تعالى اليوم إذا علمنا أن هناك قوى ومخططات ومؤامرات تحاك ضد الإسلام للنيل منه ، وهي لا تهدأ لحظة عن إشعال نار الفتنة أينما حلت فقد كرست عقولها وقواها لتدمير الإسلام ، خاصة بعد انتشار مدارس التنصير، واستغلال النفوس الضعيفة ، ودعم الطوائف المنحرفة التي تعمل باسم الإسلام لجذب شباب الإسلام إلى الهاوية والانحراف .

ولا يخفى على أحد حال المسلمين اليوم من فرقة وضياع واستهداف ، فلا نجد بقعة على وجه الأرض تحمل على ظهرها من يدينون بالإسلام إلا ونراهم شيعاً متفرقة، مشتتين ومقهورين ، بل كثيراً ما نجدهم بعضهم أعداء بعض ، وما ذلك إلا لأنهم نبذوا الإسلام والقرآن وراء ظهورهم ، وساروا في دياجير الظلمة يبحثون عن الدواء فلا يجدونه .

ويعبر عن هذا المعنى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - من خلال الكلمة التي ألقاها في اجتماع رابطة العالم الإسلامي في مكة في ٢٨/ ١٢/ ١٣٨٢هـ والتي جاء فيها: (والناس في هذه الأزمنة بحاجة إلى الدعوة أكثر من حاجتهم لها في أي وقت مضى ، حيث قد كثرت دواعي الشر ، وتفشت الإباحة والانحلال الخلقي ، وجاءت بأثواب مختلفة ، وتحت شعارات براقة خداعة ، وغزت قلوب الشباب أيما غزو ، كما كثرت البدع والخرافات ، وظهرت المبادئ الهدامة المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ ، وأخذ دعاتها أزمة التوجيه فأفسدوا ما بقي مع المسلمين من دينهم أو كادوا ، والتقى أعداء الإسلام من أصحاب الديانات المختلفة وحملة المبادئ الملحدة على صعيد واحد ، وهو محاربة الإسلام

والصدِّ عنه بشتى الوسائل ، وتآلبوا عليه ، وجاءوا من كل حدب وصوب)[١] .

ولا يخفى على أحد أن أعداء الإسلام قد تآمروا عليه كي يضعفوه في نفوس المسلمين ، لذلك انطلقوا يرسمون الخطط لتنفيذ ما اتفقوا عليه ، فراحوا يفتحون المدارس الأجنبية في ديار المسلمين ويكثروها وينوعوها ويرسلون القساوسة والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم ، كما قاموا بإرسال البعوث وتكثير الإرساليات التبشيرية لنشر مكامن التبشير في كل مكان ، كما شجعوا شباب المسلمين على الدراسة في بلدانهم لينهلوا من ثقافتهم المسمومة ، ويعود هؤلاء الشباب أنفسهم يحملون العداء للإسلام ، كما قاموا بنشر الكتب والمجلات المضللة ، وشجعوا شرب الخمرة ، ومجدوا تاريخ أممهم وحضاراتها ، وقاموا بتشويه حقائق الإسلام ، ووضعوه في قفص الاتهام ، وركزوا هجومهم على القرآن الكريم فترجموه لغرض محاربته[٢] .

من هنا فقد نهضت المملكة يداً واحدة وبعزيمة صادقة ، بملوكها ، وأمرائها وعلمائها بالدعوة إلى هذا الدين بكل ما أوتيت من قوة وصلابة في العقيدة ، لا يُنَكّسُ لها علم ولا تلين لها قناة ، فكانت أن قامت بهذه المسؤولية على أكمل وجه، داعية إلى الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة كما يقول دستورها العظيم القرآن الكريم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٣] .

ولقد كانت الدعوة إلى الله خارج المملكة تهدف إلى اجتماع البشر جميعاً على دين واحد وهو الدين الإسلامي ، وأن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ، ونبذ أسباب الخلاف والفرقة بينهم امتثالاً لقول الله عز وجل : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٤] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩١ .

(٢) منهج الدعوة الإسلامية ، عبد الحميد كشك ، (القاهرة : دار الجيل للطباعة) ص١٦٢-١٦٤

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

المطلب الثاني: إنشاء رابطة العالم الإسلامي

حينما رأى علماء الأمة والمخلصون لدين الله حال المسلمين وما هم عليه من الضياع والهوان فكروا في إنشاء رابطة للعالم الإسلامي تبحث فيها قضايا الإسلام والمسلمين ، وتحاول وضع الحلول السليمة لها ، وتقديم ما تستطيع أن تقدمه من مساعدات مالية أو معنوية للمسلمين أينما وجدوا .

ولقد انطلقت فكرة إنشاء رابطة العالم الإسلامي من المملكة العربية السعودية، وهذا أمر طبيعي ، فالمملكة هي مهد الدين الإسلامي الحنيف ، ومنها سطع هذا النور على العالم كله ، وهي مهبط الوحي ، ومبعث الهداية ، ففي عام ١٣٨١هـ عُقِدَ مؤتمر في مكة المكرمة في موسم الحج دُعِي له العلماء من كافة أقطار الأرض ، وعرضت الفكرة فانبثق من هذا المؤتمر إنشاء الرابطة ، وأتم الله لهم ما أرادوا فصدر الأمر بإنشاء الرابطة، وعُيِّن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم-رحمه الله- رئيساً لمجلسها التأسيسي فاجتهد -رحمه الله- في إنشائها وترسية أهدافها وخططها فيما يراد لها [١].

يقول الشيخ عبد الله بن بسام -حفظه الله -: (بعد سبات عميق في العالم الإسلامي، وبعد انحراف في الشباب الذي كان سببه تضليل الإعلام المسموم ووسائله المأجورة ، بعد هذا صار هناك شيء من الوعي من الغيورين على الإسلام ، فصار هناك جمعيات في بعض البلاد الإسلامية ، وصار عليهم قمع واضطهاد من أعداء الإسلام من حكومات وأحزاب ، فاقترح قادة العالم الإسلامي وعلى رأسهم الملك فيصل آل سعود -رحمه الله- إنشاء رابطة العالم الإسلامي ، وأن يكون مقرها مكة المكرمة ، ولها مكاتب في بلدان العالم الإسلامي، فأنشئت رابطة العالم الإسلامي وتولى أمانتها الشيخ محمد سرور الصبان [٢]، وصار لها مجلس تأسيسي يرأسه الشيخ محمد بن إبراهيم) [١].

---

(١) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١٥٧ .

(٢) محمد سرور الصبان : ولد بالقنفذة عام ١٣٢٠هـ ، أسس الشركة العربية للطبع والنشر وتولى رئاستها ، عين وزيراً للمالية في عهد الملك سعود ، ثم أسندت إليه الأمانة العامة لرابطة العالم

وقد ألقى سماحته كلمة في الاجتماع الأول لهذه الرابطة الكريمة في شهر ذي الحجة في ١٥/ ١٢/ ١٣٨٢هـ ، حدد فيها الهدف المراد من إنشاء رابطة العالم الإسلامي ، جاء فيه :

(الحمد لله ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه . أيها العلماء الكرام ، والفضلاء الفخام ، تعلمون أن هدف هذه الندوة الوحيد هو التعارف، وإيجاد رابطة تتسم بروح دينية حقة ، وبحث مشاكل المسلمين الدينية والدنيوية ، وإيجاد الحلول العملية لها ، ولا سيما مشكلة واقع المسلمين ، وما أصيبوا به في دينهم من التغيير والتبديل ، وتسليط العدو بسبب ما اقترفته أيديهم من تفريط وإهمال وإعراض وغير ذلك ، وما دسه أعداء الدين على الإسلام من دسائس لقصد القضاء على الإسلام ، لهذا يجب علينا أن نتكاتف ، ونصير طائفة واحدة في نصرة الحق ، وإقامة العدل ، وتفنيد الباطل مستمدين من القرآن الكريم الذي : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[٢]... إلى أن يقول : وأن نتآمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر ، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخشى في الله لومة لائم ، وأن يكون هدى من ضل واستقامة من زل من المسلمين وحصوله على العلم الشرعي بعد جهله به أحب إلينا مما يفرح به ، وأن نجاهد الدولة الكافرة الجائرة الظالمة المغتصبة لحقوق المسلمين ومواضع عديدة من بلادهم ، وضرورة ذلك فوق كل ضرورة ، وأن نعدَّ لهم من القوى المعنوية والحسية غاية ما نستطيعه ، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴿٦٠﴾ ﴾[٣]، وأن نقوم حول أي طائفة حادت وامتنعت عن التزام شيء من الشرائع المجمع عليها من تحريم دماء المسلمين وأموالهم ونحو ذلك بما يجب من إقامة الحجة الشرعية ، وكشف الشبهة حتى تقوم عليها الحجة ، وتتضح لها المحجة ، لترتدع عن

الإسلامي بعد أن أقيل من منصبه في وزارة المالية . توفي عام ١٣٩١هـ ، انظر : معجم المطبوعات العربية ، علي جواد الطاهر ، ج٣ ص١١٣٤-١١٣٥

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام ، ج١ص٢٥١.

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .

ما اقترفت، وتتلافى عثراتها التي اشتهرت، والحق مؤيد ومنصور ، والباطل مردود ومدحور)[١] .

وفي كلمة لسماحته -رحمه الله- ألقاها في حفل التعارف الذي أقيم بمكة المكرمة في شهر صفر من عام ١٣٨٣هـ بين فيها أن المسلمين بحاجة إلى رابطة أقوى وأوسع من هذه الرابطة من خلال اتحاد حكام المسلمين فيما بينهم في رابطة واحدة تكون قادرة بإذن الله على الوقوف في وجه أعداء الإسلام والمسلمين ، وإعادة الحق إلى نصابه ، يقول فيها :

(... بل يجب لكي يشتد جانب المسلمين وتلتئم جراحهم الدامية ، فيعز جانبهم وتحقق آمالهم وتذهب آلامهم وتزول مآسيهم ، أن تقوم رابطة على نطاق أوسع وأقوى يكون حزامها من حكام العالم الإسلامي أنفسهم ، فيجتمع هؤلاء في إطار العقيدة الإسلامية لبحث مشاكل المسلمين بلغة الحكم والسلطان الذي فرض الله قيامه في كل أمة ، وهذا وحده كفيل بأن يعيد الحق إلى نصابه ، ويضع حداً لما يتعرض له المسلمون من إبادة وتشريد وتجويع وإهانة ، لأن لغة السلطان والحكم عندما يخاطب بها الخصم المعتدي والمتجني المفتري يكون لها أثر فوق كل أثر (فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

ونحن لهذا -وبالإضافة إلى دعوتنا إلى تدعيم رابطة علماء العالم الإسلامي- نهيب بحكام العالم الإسلامي بل ونستحثهم على أن يقيموا فيما بينهم رابطة يقومون بتنظيمها ، على أن يكون هدفهم التباحث في مصالح المسلمين -على اختلاف أجناسهم وألوانهم- والنظر في أحوالهم وأوضاعهم الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية ، ووضع الحلول العملية لمشاكلهم ، ومدّ يد العون الأدبي والمادي والسياسي -والعسكري إن أمكن- لمن يحتاج إليه من هؤلاء المسلمين ، وخاصة الذين يقعون تحت نير حكم حكام غير مسلمين .....

أيها الاخوة في الله ، بما أن هذا الاجتماع هو اجتماع تعارف وتبادل إظهار شعور المحبة والإخاء والمودة التي هي من أهم ما دعا الإسلام إلى إشاعته والعمل

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٩ ١٩٠ .

على توطيده بين جميع المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، وبما أن هذا الاجتماع سيكون مقصوراً على هذا فقط ، فإنا لن نطيل عليكم الحديث ، فإن المؤتمر الإسلامي القادم الذي ستصلكم الدعوة إليه في حينها -إن شاء الله - سيكون حافلاً بما يجب أن يقوم به المؤتمرون نحو الإسلام والمسلمين في شتى أقطار الدنيا ، وإنا لنرجوا أن لا يأتي العام القادم إلا وقد وفق الله حكام العالم الإسلامي لإنشاء رابطة قوية صادقة متينة ، نسأل الله أن يجمع شمل المسلمين ويوحد كلمتهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)[1] .

ورابطة العالم الإسلامي عند الشيخ -رحمه الله- أقوى من أي رابطة ، وأقوى من أي نسب ، لأنها الرابطة التي تجمع المسلمين على قلب واحد ، وكلمة واحدة ، وهي التي تقربهم من بعضهم في وحدة صادقة هدفها الوقوف في مواجهة التيارات المعادية للدين الإسلامي والأمة الإسلامية ، فقد عبَّر الشيخ -رحمه الله- عن هذا المعنى في الكلمة التي ألقاها في حفل افتتاح المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة في عام ١٣٨٤هـ ، والتي جاء فيها :

(أيها الإخوة : إننا في زمن نحن فيه أحوج ما نكون إلى هذا الاجتماع لندرس ونتناقش في مشاكلنا وفيما يكيده لنا أعداء الإسلام من مكائد ، وما يدسونه بين صفوفنا من مؤامرات ، وما ينفثونه في مجتمعنا الإسلامي من سموم ، وما يروجونه في أمتنا من أضاليل ، يستهدفون من وراء ذلك زعزعة العقيدة الإسلامية ، والتشكيك في مبادئها الحكيمة ، ونظامها السماوي الكامل ، ودستورها المقدس . وقد سلك أعداء الإسلام هذه السبل لعلمهم بأن انتصار المسلمين وانتشار العقيدة الإسلامية يقض مضاجعهم ، ويقضي على مبادئهم الخبيثة ونفوذهم الاستعماري المقيت ...

أيها الإخوان إن رابطة الإسلام هي أقوى من كل رابطة ، أقوى من رابطة النسب، وأقوى من رابطة الوطن ، وأقوى من رابطة اللون ، فالمسلم أخو المسلم يتألم بآلامه، ويحزن لحزنه ، ويفرح لفرحه ، قال رسول الله ﷺ : (مثل المؤمنين في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩٤-١٩٦ .

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[١] .

المطلب الثالث : بعث الدعاة خارج المملكة

لما رأى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- ما آلت إليه حال المسلمين في هذا الزمان من الفرقة والاختلاف، والوقوع في المعاصي التي حذر منها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للدين الإسلامي، وما ينبثق عن تطبيق هذه القوانين من الكفر والإلحاد ، لذلك بذل الشيخ -رحمه الله- كل ما في وسعه لإعادة المسلمين خاصة المسلمين في الخارج إلى حظيرة الإسلام من خلال بعثه للدعاة إليهم أينما وجدوا .

يقول الشيخ عبد الله البسام -حفظه الله -: (صدر أمر ملكي بافتتاح مكتب للدعوة مهمته بعث الدعاة إلى الله تعالى في العالم الخارجي ، فصار تحت إشراف سماحة المفتي -محمد بن إبراهيم رحمه الله- وتوجيهه ، ومهمته الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر دينه على موجب توحيد الله تعالى والعقيدة السلفية السليمة من الخرافة والبدع والتصوف ، فكان لهذه الدعوة فروع في كل بلد إسلامي ، وصار لها تنسيق مع فروع رابطة العالم الإسلامي ، وصار لهذه المكاتب أمرها الكبير في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة)[٢].

ولقد أوكل إلى سماحته الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، ورئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا[٣] .

ومن الجدير ذكره هنا أن الهدف من إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة -والتي سبق الحديث عنها من خلال جهود الشيخ -رحمه الله- في إقامة المؤسسات التعليمية -كان هدفها تخريج الدعاة إلى الله تعالى ، وكان النظام المتبع

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩٨-١٩٩ . والحديث أخرجه مسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ج٤ ص١٩٩٩ ، رقم الحديث ٢٥٨٦ .

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ج١ ص٢٥٣ .

(٣) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج٢ ص٦٨١ .

فيها أن تكون نسبة خمسة وسبعون في المائة من طلابها من البلاد الإسلامية من غير السعوديين ، وكل ذلك طبعاً كان من خلال اهتمام سماحة الشيخ -رحمه الله- بالدعوة خاصة خارج المملكة .

ومن مظاهر اهتمامه -رحمه الله- بالدعوة خارج المملكة خطابه إلى الملك فيصل -رحمه الله- والذي يبين فيه أهمية الدعوة في القارة الإفريقية ، وما يجب عمله تجاه ذلك ، والذي جاء فيه :

(ولا يخفاكم -سلمك الله- أن قارة إفريقيا تضم عدداً كبيراً من المنتسبين للإسلام الذين يحتاجون إلى تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم ، وفيها عدد أكثر من غير المسلمين من الوثنيين وغيرهم ممن يؤمل دخولهم في الإسلام ، وقد بذلت الدولة الكافرة جهوداً كبيرة لإدخال عموم الإفريقيين في دياناتها المختلفة ولم تنجح هذه الدول ولله الحمد ، ويجب على المسلمين وخاصة هذه المملكة التي هي مهبط الوحي ومنها شع نور الرسالة المحمدية أن تقوم بهذا الواجب وتبذل فيه ما يستحقه من مجهودات صادقة، ولا سيما والإفريقيون عندهم استعداد للدخول في الإسلام متى وجدوا من يدعوهم ويرشدهم إليه بإخلاص وصدق وعزيمة ، وفق الله جلالتكم لما فيه رفع راية الدين ، وجعلكم من الدعاة إليه إنه على كل شيء قدير) [1].

ومن فضل الله ﷻ أن جعل ولاة أمور هذا البلد على جانب كبير من الوعي، والحرص على إيصال الدعوة لجميع المسلمين ، لذلك -وإدراكاً منهم لأهمية الدعوة سواء في الداخل أو في الخارج -استجابوا لسماحته فيما كان يطلبه.

ولقد تجلى ذلك من خلال بعثه -رحمه الله- للعديد من الدعاة إلى الله ولا سيما إلى القارة الإفريقية لحاجتها الملحة للدعوة ، فكان من الدعاة الذين أرسلهم

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥١-١٥٢ .

إلى هذه القارة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق [١] ، وكان أول داعية أرسله الشيخ -رحمه الله- عام ١٣٨٧هـ ، وقد تجول بعدد من الدول الإفريقية داعياً إلى الله وموجهاً، وقد تأثر بدعوته وبجهود إخوانه الدعاة من بعده خلق عظيم [٢].

وقد وجد هؤلاء الدعاة الناس في حاجة إلى تعريفهم بدينهم الصحيح ، ولاسيما بعد أن نشطت الفرق الضالة في الترويج لمذاهبها ، وبعد أن عمل دعاة النصرانية والإلحاد في نشر مبادئهم ، فاجتهد هؤلاء ليعرفوا الناس بالمنهج السلفي، فنادوا إلى التمسك بالدين الصحيح وترك البدع والخرافات ، معتمدين في دعوتهم على الحديث الصحيح : (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) [٣] . ولاشك في أن دعوة الناس إلى خلاف ما ألفوه من الخرافات أمر صعب ، لكنه سهل على المسلم المخلص الداعية الواعي الذي يتحلى بالصبر والحكمة[٤] .

وكان من نتائج هذه الجهود أن ثمار الدعوة إلى الله قد أينعت في كثير من بلدان العالم ، مما يشير إلى أن هذا المجتمع الإسلامي ككل سوف يلتقي مع هذه الدعوة المباركة إن عاجلاً أو آجلاً فالمؤمنون وإن تباعدت أوطانهم واختلفت لغاتهم تربط بينهم رابطة فوق روابط الوطن والنسب والدم ، وهي رابطة العقيدة[٥].

المطلب الرابع : بعث الرسائل والنصائح

كانت الرسائل وسيلة قديمة أصيلة معروفة منذ ظهر الإسلام ، فقد أرسل

---

(١) اسماعيل بن سعد بن عتيق : ولد في وادي الدواسر عام ١٣٥٧هـ ، تخرج في كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٨٤هـ ، وحصل على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة البنجاب بباكستان ، عمل مساعداً لمدير عام الدعوة في الخارج ، ومديراً عاماً للتفتيش =
= بالرئاسة العامة للبحوث العلمية ، رشح للقضاء مراراً فاعتذر ، من مؤلفاته : تاريخ من لا ينساه التاريخ ، الموارد الشرعية للمكاسب النقدية ، انظر : موسوعة أسبار للعاماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية ، ج١ ص١٩٨ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. العمار ، و د. الأطرم ، ص٢٠٢ .

(٣) أخرجه مسلم ، ج٢ ص٥٩٢ ، رقم الحديث ٨٦٧ .

(٤) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشتري ، ج١ ص٤٢٥-٤٢٦ .

(٥) المرجع السابق ، ج١ ص٤٣٤ .

الرسول ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء ، وكان يكتب لكل منهم حسب حالته العقدية أو السياسية داعياً إياه ومن معه إلى الدخول في الإسلام ، وقد روى أنس ابن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[١] . كما استخدم الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- هذه الوسيلة الدعوية المهمة (الرسائل) ومنهم الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وجّه عدداً من الرسائل إلى رؤساء القبائل ، وإلى بعض المرتدين يدعوهم إلى الإسلام والثبات ، كما كان العلماء والدعاة على امتداد التاريخ الإسلامي يرسلون الرسائل إلى حكام المسلمين يدعونهم فيها إلى الالتزام بما أمرهم الله به ويذكرونهم ويعظونهم . وهذا النموذج من الرسائل هو الذي يعنينا في هذا المطلب[٢] .

فإيماناً من الشيخ -رحمه الله- بأهمية ومكانة العلماء في نفوس الأمة ، وأهمية المؤسسات الدينية في نشر العقيدة الإسلامية وتمكينها من النفوس ، قام -رحمه الله- بإرسال الرسائل والنصائح إلى العلماء والقائمين على أمور الدين في الخارج بهدف نصحهم وإرشادهم وتوجيههم للعمل بمقتضى كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ .

ومن ذلك رسالته -رحمه الله- إلى المسلمين في السنغال والتي يدعوهم فيها إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وموالاة أوليائه ومقاطعة أعدائه ، ومما جاء في الرسالة: (أما بعد: فإني أبعث بهذه الرسالة إلى كافة إخواننا في (السنغال) حفظنا الله وإياهم بالإسلام ، ومنّ علينا وعليهم بالتمسك بسنة سيد الأنام. والباعث لهذه الرسالة هو التذكير بنعم الله ، وأجلها نعمة الإسلام التي ربطت بين قلوبنا فأصبحنا إخوة متحابين في الله كما قال الله تعالى :﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : كتب النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل ، ج٣ ص١٣٩٧ ، رقم الحديث ١٧٧٤ .

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد الشثري ، ج١ ، ص٤٠٦ .

حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [١]، وهذه الرابطة الدينية أقوى الروابط وأعمقها، وكل رابطة بالنسبة لها كلا شيء ... إلى أن يقول (فيجب على شعوب المسلمين وحكامهم التكاتف والتعاون لنصرة الإسلام والسعي لما فيه توحيد كلمة المسلمين تحت راية الكتاب والسنة ، وأن ينتبهوا لكيد أعداء الإسلام من الكفرة ، ولا سيما تلك العصابات اليهودية والصهيونية المعادية للدين الإسلامي ، فإنهم على الدوام يسعون جاهدين لمحاربة الإسلام والمسلمين ، ويحاولون تحريف القرآن ويفترون الافتراءات الكثيرة ...

فالله الله إخواننا في السنغال قاطعوا هذه العصابات الظالمة مقاطعة تامة ، نصرة لدين الله الذي يريدون أن يطفئوه) [٢].

ومن رسائله -رحمه الله- أيضاً رسالته إلى جمعية العلماء المركزية في الهند والتي جاءت رداً على رسالة من المجلس التنفيذي للجمعية المركزية المذكورة إلى الهيئات الإسلامية في المملكة وإلى علمائها ليستنيروا بآرائهم فيما وضعوه من قوانين في سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي الذي يتلاءم مع التعاليم والأخلاق الإسلامية وقد جاء في رسالة سماحته -رحمه الله-: (إنه مما يسرنا ويسر كل مسلم غيور على دينه أن يتكون من الجمعيات العامة التي تهدف إلى إصلاح الأوضاع والتمسك بأصل الدين وتعاليمه الشريفة ، ومحاربة كل ما خالف الشريعة الإسلامية من البدع والخرافات والدجل ، وكذلك ما هو أهم من ذلك : ما يدخله الملحدون والزنادقة والمستشرقون وغيرهم في أفكار بعض المسلمين في تشكيكهم في أصل دينهم وتضليلهم عن سنة نبيهم ﷺ وشريعته ، وتحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية ، وأهم ذلك معرفة أصل التوحيد الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ وتحقيقه علماً وعملاً ، ومحاربة ما يخالفه من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة ، أو من أنواع الشرك الأصغر ، وهذا هو تحقيق معنى لا إله إلا الله ، وكذلك تحقيق معنى محمد رسول الله : من تحكيم شريعته ، والتقيد بها ، ونبذ ما يخالفها من القوانين والأوضاع وسائر الأشياء التي ما أنزل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ، ص٢٧٥-٢٧٩ .

الله بها من سلطان والتي من حكم بها أو حاكم إليها معتقداً صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة ، وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملي الذي لا ينقل عن الملة)[١] .

ومن ذلك أيضاً رسالته -رحمه الله- إلى جمعية مسلمي بريستول في انجلترا يتضمن فتوى سماحته بأن يتولى رئيس الجمعية ولاية عقد النكاح للمسلمات وتزويد الجمعية ببعض الكتب الإسلامية ، ومما جاء في الرسالة :

(أما بعد : اتصل بي الحاج السيد جواد مقدس رئيس جمعية مسلمي بريستول بإنجلترا ومعه كتاب من سكرتير الجمعية يعرف فيه بالسيد جواد المذكور، وقد شرح لي نشاط الجمعية المذكورة في الدعوة الإسلامية ، وطلب مني إعطاءه بعض الكتب ، وقد أعطيناه بعض الكتب الإسلامية السلفية . وقد ذكر لي بأن بعض النساء المسيحيات اللاتي اعتنقن الإسلام يطلبن إليه أن يعقد لهن النكاح ، وحيث إن أولياءهن من النصارى ، فقد طلب فتوانا في أن يقوم مقام أولياء هؤلاء النساء المسلمات في إيجاب العقد على أزواجهن الذين يرغبون التزويج بهم ، وقد أفتيته بذلك وأنبته في تولي ذلك . كما طلب أيضاً الإذن له في تعليم القرآن ونشر العلم في تلك الربوع وأذنا له في ذلك أيضاً ، سائلاً الله لي وله التوفيق والسداد)[٢].

كما أرسل -رحمه الله- برسالة -إلى رئيس المدارس الدينية وسكرتير عام جمعية النهضة الإسلامية في يوغندة حول استفتائه عن ما يفعل في بعض البلدان من تسوية المرأة بالرجل ، وحضورها مجالسهم ، وتعممها بعمة الرجل ، وتسميتها شيخة ...الخ يقول فيها :

(والجواب : لا يخفى أن الله فضل الرجال على النساء ، فلا يحل أن تساوى المرأة بالرجل فيما من شأنه الاختصاص بالرجال كالولايات ونحوها ، وفي الحديث : (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)[٣].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ، ص٧٨-٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ج١٠ ، ص٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري ، ج٦ ص٢٦٠٠ ، رقم الحديث ٦٦٨٦ .

وأما حضور المرأة مجالس الرجال فإذا كان في حضورها مصلحة وكانت متحجبة مستترة فلا بأس بذلك ، كما أن نساء الصحابة يحضرن الصلاة مع النبي ﷺ.

وأما تعميمها بعمة الرجل فلا يجوز ، إنما العمة للرجال ، والنساء لهن الخمار ، وتشبه النساء بالرجال منهي عنه شرعاً ، وملعون فاعله ، كما قال ﷺ - (لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء)[١].

وأما تسميتها (شيخة) فإذا كان عندها علم شرعي يؤهلها لهذا فلا بأس أن تسمى شيخة ، فقد ورد في بعض إجازات المشائخ قولهم : حدثتنا الشيخة فلانة، ونحو ذلك)[٢] .

---

(١) أخرجه الترمذي ، ج٥ ص١٠٥ ، رقم الحديث ٢٧٨٤ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ، ص١٧٨.

الفصل الثاني

جهود الشيخ – رحمه الله – في الاحتساب

المبحث الأول: جهوده في الاحتساب على الوجهاء والأعيان.

المبحث الثاني: جهوده في الاحتساب على العامة.

المبحث الثالث: جهوده في الاحتساب على أهل الأهواء والشبه.

المبحث الرابع: جهوده في تنظيم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الخامس: جهوده في تشجيع المحتسبين وإعانتهم والدفاع عنهم.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول

جهوده في الاحتساب على الوجهاء والأعيان

المطلب الأول: تعريف الحسبة وعلاقتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحِسبة لغة : الحسبة بكسر الحاء اسم من الاحتساب [١].

وكلمة الاحتساب لها عدة معان منها :

١- طلب الأجر [٢]: كقول النبي ﷺ: (**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**) [٣].

٢- الإنكار : يقال : احتسب فلان على فلان ، أي أنكر عليه قبيح عمله [٤].

٣- الظن : وقد ورد هذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ ﴾ [٥].

٤- الاعتداد : يقال فلان لا يُحتَسب به ، أي لا يعتد به [٦].

الحسبة اصطلاحاً : عرفها الإمام الماوردي -رحمه الله- بقوله: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) [٧].

كما عرفها ابن الأخوة -رحمه الله- بقوله : (هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس) [٨].

---

(١) القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، ج١ ، ص٥٥ .

(٢) فتح الباري ، الحافظ ابن حجر ، ط٢ (الرياض : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) ج١١ ، ص٢٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري ، ج١ ، ص٩٢ ، رقم الحديث ٣٧ .

(٤) لسان العرب المحيط ، ابن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، ط (بيروت) ج١ ، ص٦٣٢ .

(٥) سورة الحشر ، الآية : ٢ . وللاستزادة انظر : الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، ط (دار احياء التراث العربي) ج١٨ ، ص٣ .

(٦) أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق أ. عبد الرحيم محمود ، ط (بيروت : دار المعرفة) ص٨٣ .

(٧) الأحكام السلطانية ، الإمام الماوردي ، (مصر : شركة ومطبعة البابي ، ١٣٩٣هـ) ص٢٤٠ .

(٨) معالم القربة في أحكام الحسبة ، محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ، بتحقيق د. محمد محمود شعبان ، و أ. صديق أحمد المطيقي (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م)

والحسبة ولاية إسلامية شرعها الله في الإسلام كما شرعها في الشرائع السابقة، فقد مارسها الرسول ﷺ بنفسه ، وعين من يقوم بشؤونها في مكة المكرمة عقب الفتح ، والمدينة المنورة وذلك قبل انطلاق الإسلام من شبه الجزيرة العربية ، واطلاع العرب على ما تحتويه الحضارات المعاصرة لهم في ذلك الوقت .

وولاية الحسبة في مجملها تدخل في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مبدأ تضمنته الشرائع السماوية للأمر بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه، والشرائع وضحت كل ما هو مأمور به ، وما هو منهي عنه ، وما هو حلال أو محظور، وقد عهد الله ﷻ إلى أرباب الشرائع تنفيذ ذلك ، والالتزام به ، فقد كان من وصايا لقمان لابنه ، فيما جاء به القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [١] . وقال سبحانه في شأن بني إسرائيل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢] .

وقد استدل المفسرون من هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة [٣] .

والحسبة ضرورة من ضرورات المجتمع المسلم ، فلو ترك المسلمون الحسبة اندثرت دعوتهم ، وامتلأ طريقهم إلى قلوب الناس بالعقبات التي تعوقهم عن الاستمرار في المسير ، وتزاحمت عليهم المنكرات . فالحسبة تمهد الطريق للدعوة والوصول إلى قلوب الناس وذلك لانعدام المنكرات التي تجذب قلوب البعض إليهم .

يقول الدكتور سعد بن عبد الله العريفي في كتابه (الحسبة والنيابة العامة)

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة آل عمرن ، الآية : ٢١ .

(٣) التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية من عام ١٣٥١ إلى ١٤٠٨هـ ، طامي بن هديف بن معيض البقمي (الرياض : الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤١٩هـ) ص٣٣-٣٤ .

موضحا الفرق بين الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(وحيث إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام في جميع الناس . كما أن الحسبة واجبة على كل مسلم سواء كان وجوباً عينياً أو كفائياً ، فقد يتساءل البعض: ما الفرق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومبدأ الحسبة ؟ كما قد يظن البعض أنهما يطلقان على مبدأ واحد . ونحن نقول : إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعم وأشمل من مبدأ الحسبة ، وما الحسبة إلا تطبيق من تطبيقاته كما عرفنا من تعريفها السابق بأنها (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) فهي لا تختص إلا بالمنكرات الظاهرة .

وتختلف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث :

أولاً : إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل إلهي عام واجب التطبيق سواء وجدت الحسبة كنظام واحد أو لم توجد .

ثانياً : إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عام تعدُّ الحسبة إحدى تطبيقاته العملية مثلها في ذلك مثل الولايات الإسلامية الأخرى ، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: (جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى مثل نيابة السلطة ، والصغرى مثل ولاية الشرطة ، أو ولاية الحكم ، أو ولاية الدواوين المالية وولاية الحسبة)[١].

فالحسبة إذاً إحدى تطبيقات مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثلها مثل التطبيقات الأخرى كولاية الشرطة ، وولاية القضاء ، وولاية المظالم ، وغيرها من الولايات الإسلامية ، إذاً فهي لا ترادف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

ولما كان الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وأهل الحسبة يقومون بهذا الواجب على علم وهدي كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ فهم ورثة النبي ﷺ في دعوته وهدايته للناس ولهم حظ كبير ، ونصيب وافر من قول النبي ﷺ : (العلماء

---

(١) الحسبة في الإسلام ، ابن تيمية ، تحقيق : سيد بن محمد أبي سعدة ، ط١ (الكويت : مكتبة دار الأرقم ، ١٤٠٣هـ ، ص١٣ .

(٢) الحسبة والنيابة العامة ، سعد بن عبد الله العريفي ، ط١ (الرياض : دار الرشد للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ) ص١٨-١٩ .

ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[١] .

المطلب الثاني: نماذج من احتساب الشيخ -رحمه الله - على الوجهاء والأعيان

لم يكن الشيخ -رحمه الله- يدخر جُهداً في لفت أنظار من بيدهم زمام الأمور من الوجهاء والأعيان إلى الاهتمام بجميع مرافق حياة المسلمين ، وما يقود في نهاية الأمر إلى ما فيه الخير والصلاح للجميع ، كما لم يكن يتغاضى -رحمه الله- أو يتجاهل عن أدق الأمور التي تنحرف عن الطريق المستقيم ، فكان ينبه ، ويحذر ، ويوجه ، وكل ذلك حفاظاً على الأخلاق الفاضلة ، وسداً لذرائع الفساد والتحلل .

وفتاوى الشيخ -رحمه الله- تزخر بكثير من التوجيهات والإرشادات من خلال الرسائل والنصائح التي كان يبعث بها إلى الوجهاء والأعيان ، بشأن ما يحدث من منكرات توجب التنبيه والنهي عن حدوثها أو ارتكابها ، وسأبين فيما يلي بعض تلك الجوانب التي تبين احتساب الشيخ -رحمه الله- في مجالات عديدة منها:

الفرع الأول: مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية

قد كان لسماحته -رحمه الله- اليد الطولى في ضرورة مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية ، والتقيد بها ، والالتزام بها ، فكان يحتسب على هذا الجانب عند من يهمه الأمر ، من ذلك خطابه الموجه إلى رئيس مجلس الوزراء بشأن مغالاة بعض القبائل بالمهور ، جاء في الخطاب :

(وبعد فبالإشارة إلى المعاملة المرفوعة إلينا ... بشأن ما لوحظ في بادية

---

(١) مقاصد أهل الحسبة ، خالد بن عبد الرحمن الشايع ، تقديم إبراهيم بن سليمان التركي ، ط١ (الرياض: دار بلنسية للنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ) ص٢٥ . والحديث أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : العلم عن رسول الله ، باب : ما جاء فضل الفقه على العبادة ، ج٥ ص٤٨ ، رقم الحديث ٢٦٨٢ . قال الترمذي : لا نعرف هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل .

تهامة شهران وقحطان من وجود عوائد سيئة مخالفة للسنة ، قد جاء في خطاب الواعظ المرشد بمنطقة شهران أنه بتجوله في تلك الجهات وقيامه بواجبه الإرشادي لاحظ أن لديهم عوائد سيئة لا يردعهم عنها إلا الوازع السلطاني ، منها : ... مغالاتهم في المهور بالرغم من فقرهم وقلة ما في أيديهم ، إذ إن مهر البنت فيهم : ثلاثمائة رأس من الغنم مما كان له أثره السيئ في انتشار الفساد فيهم وكثرة العوانس في نسائهم . ومنها أن أولياء نسائهم يستحوذون صدقاتهن ظلماً وعدواناً ولا يعطونهم إلا النزر القليل جداً مما يأخذونه مهوراً لهن .

... لذلك نأمل من جلالتكم تعميد إمارات تلك الجهات والتأكيد عليهم بإنكار هذه المنكرات ومعاقبة أهلها بما يردعهم ويزجر أمثالهم)[1] .

وفي رد سماحته -رحمه الله- على سؤال أحد الأشخاص فيما إذا كان هناك مانع شرعي من فتح حمام عام خاص بالرجال ، أجاب: (الحمد لله . لا نرى أن يفتح مثل هذا الحمام في هذا البلد لأن الضرر سيكون أكبر من النفع ، ومثل هذه الأشياء تكون عادة وسيلة لفساد لم يخطر في بال الذي أسسها مهما حرصت الآن على مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية فإنك لن تستطيع ضمان ذلك في المستقبل بعد فتح هذا الباب)[2] .

ومن ذلك أيضاً رسالته -رحمه الله- إلى نائب رئيس مجلس الوزراء يعترض فيها على إنشاء صندوق تعاون للسائقين في مكة المكرمة لاشتماله على أشياء لا تتلائم مع الشرع ، وخوفاً من الفوضى والتلاعب بأموال الصندوق ، يقول في الرسالة :

(...وأشرنا إلى إعادة المعاملة لمجلس الشورى ليتولى المعارضون منهم تصفح نظام السائقين واستبعاد ما يتنافى مع الشرع وإعادة الأوراق إلينا لمعرفة ما يتم في ذلك ... وبإمعان النظر وتأمل ما ذكر ظهر ما يلي :

أولاً- أن المعاملة ما أحيلت لمجلس الشورى إلا لتعديل النظام واستبعاد ما

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ، ص٤١-٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ج٢ ، ص٨٢-٨٣ .

يتنافى مع الشرع ولم نجدهم صنعوا شيئاً من هذا القبيل .

ثانـــياً - إن اقتراح الذين اقترحوا جعل الصندوق مشروعاً خيرياً يحتاج إلى تقييد لأنه وإن كانت طرق الخير مفتوحة أمام الراغبين إلا أنه ينبغي معرفة ما وراء ذلك ، لئلا يكون وسيلة إلى استباحة أشياء لا تجوز تحت اسم الشيء المسموح .

ثالـــثاً- قول الذين عارضوا بأن هذا المشروع الخيري لا يحتاج إلى قرار ولا فتوى قول فيه نظر ، لأن هذا المشروع لا بد له من ضبط وحفظ لتلك الأموال عن الفوضى والتلاعب ، ولا بد من وضع نظام يسير عليه العمل ، ومراقبة النظام من المسئولين في المشروع خشية التساهل فيه والإهمال فينعكس المقصود .

رابعاً - بالنسبة للأموال الموجودة في الصندوق فينبغي أخذ رأي المشتركين بعد إبلاغهم بأن الصندوق قد ألغي بالنسبة إلى حالته الأولى ، فمن أراد أن يأخذ اشتراكه فله ذلك ، ومن أراد إبقاءها وجعلها في المشروع الخيري فلا بأس)[١].

ومن الآداب الشرعية والأخلاقية التي حثّ -رحمه الله- على مراعاتها ما جاء في الرسالة التي بعث بها إلى وزير المعارف بردع بعض الأشخاص المتعاقدين الذين يشربون الدخان في إحدى المدارس أمام الطلاب ، قال فيها :

(فنبعث لكم بالأوراق الخاصة بخصوص ...و ... و... حيث كانوا يشربون الدخان في نهار رمضان عام ٨٧هـ أمام طلاب مدرسة العقيق في منطقة الباحة ، حيث أحلناها إلى فضيلة رئيس محكمة الباحة للقيام نحوهم بما يلزم شرعاً، إلا أن فضيلته أعاد الأوراق إلينا منتهية بخطابه المتضمن أن مدير تعليم الباحة ذكر أن الثلاثة لم يعودوا هذا العام إلى الباحة ... وعليه فيتعين عليكم بارك الله فيكم الغيرة لدين الله ، وإلغاء عقود هؤلاء ، فليس في وجودهم مصلحة بجانب ما انطوت عليه نفوسهم من الخبث والفسق وزرع بذور الشر في نفوس الشباب)[٢].

ومن ذلك أيضاً الخطاب الذي وجهه -رحمه الله- إلى وزير التجارة يناشده بمنع دخول الهدايا الخاصة بأعياد النصارى ، جاء فيه: (ذكر لنا أن بعض التجار

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١١ ، ص٣٦٣-٣٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ج٤ ، ص١٨٩ .

... استوردوا هدايا خاصة لمناسبة العيد المسيحي لرأس السنة الميلادية . من ضمن هذه الهدايا (شجرة الميلاد المسيحي) وأن بعض المواطنين كانوا يشترونها ويقدمونها للأجانب المسيحيين في بلادنا مشاركة منهم في هذا العيد . وهذا أمر منكر ما كان ينبغي لهم فعله ، ولا نشك في أنكم تعرفون عدم جواز ذلك ، وما ذكره أهل العلم من الاتفاق على حظر مشاركة الكفار من مشركين وأهل كتاب في أعيادهم .

فنأمل منكم ملاحظة منع ما يرد للبلاد من هذه الهدايا وما في حكمها مما هو من خصائص عيدهم)[١] .

كما وجه خطاباً آخر إلى أمير منطقة الرياض بخصوص بعض النساء الهنديات اللائي يبعن صوراً مزعومة لجبريل عليه السلام ، وغيرها من الصور الشركية التي تعتبر فتنة كبرى ، وبلية عظمى تستعبد النفوس لغير خالقها ، جاء في هذا الخطاب :

(أنه يوجد في السوق نساء هنديات وأرمينيات يبعن صوراً في قزاز ، ومن بين تلك الصور صور مزعومة لجبريل عليه السلام وللبراق الذي أسرى برسول الله ﷺ فوقه ، وأفظع من ذلك صور لمعابد وثنية فيها دعوة صريحة إلى الشرك كصورة لضريح عبد القادر الجيلاني ومكتوب فيها كلمة طلب الغوث منه . فنأمل أن تأمروا بمصادرة جميع هذه الصور التي تباع في الأسواق علناً ويؤخذ التعهد اللازم عليهن)[٢] .

فالفتنة بعشق الصور تنافي أن يكون العبد كله لله ، بل ينقص من كون دينه لله بحسب ما حصل له من فتنة العشق ، وربما أخرجت صاحبها من أن يبقى معه شيء من الدين لله ، فما حصلت به فتنة القلوب فهو إما شرك ، وإما من أسباب الشرك[٣]

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ، ص١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج١ ، ص١٣٦ .

(٣) انظر : اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، ط١ (الرياض : دار المنار ، ١٤١٧هـ) ج٢ ص١٤٠ .

الفرع الثاني: منع ما يثير البلبلة والشقاق

لقد كان الشيخ -رحمه الله- مهتماً بما يجمع المسلمين على كلمة واحدة ، وقلب واحد ، وكان يحذر مما يثير البلبلة والشقاق بين الناس ، ويحذر من الاختلاف والفرقة ، لأن في الفرقة والاختلاف فتنة تضر بالمسلمين ، تشتت الشمل وتوجب غضب الله ﷻ ويتضح ذلك من الرسالة التي وجهها -رحمه الله- إلى بعض الأمراء يناصحهم فيها بالقدوم على الإمام لاجتماع الكلمة ، ويحذرهم فيها من الاختلاف والفرقة ، يقول -رحمه الله-:

(... ومن ذلك إجابة داعي إمام المسلمين ما لم يدع إلى الاجتماع على معصية، وإنما دعا إلى الاجتماع على طاعة الله وعدم التفرق والاختلاف ، وجميع المشائخ يرون ذلك ويفتون به ، وعدم قدومكم على إمامكم وعلمائكم من الأمور التي لا يرضى بها لكم من في قلبه أدنى محبة لكم أعني المحبة الدينية ، وهو من أعظم الأمور التي يفرح بها عليكم وعلى جميع المسلمين أعداء الدين من الكفار والمنافقين ، ومن أعظم أسباب شق العصا)[1].

كما أرسل سماحته -رحمه الله- برسالة إلى مدير عام الإذاعة والصحافة والنشر بخصوص تحديد طبعات القرآن الكريم ، وتصحيح الأخطاء المطبعية التي ترد في بعض نسخ المصاحف والتي من شأنها أن تثير الخلاف والبلبلة بين الناس ، وكذلك عدم السماح بدخول المصاحف التي ترد إلى المملكة إلا بعد فحصها من قبل اللجنة المختصة ، جاء في الرسالة :

(وصلتني مذكرتكم رقم ... وتاريخ ١٠/ ١٠/ ١٣٨٠هـ المرفق بها قصاصات مما نشر في جريدة البلاد العدد ٦٤٣ في ٢٥/ ٩/ ١٣٨٠هـ حول المصاحف المحرفة . ويظهر لنا أن ما نشر عن وجود مصاحف محرفة في المملكة فيه شيء من المبالغة مما بلبل الأفكار ، والذي نشروا شيئا من ذلك نشروه عن حسن قصد ، وغاية ما في الأمر وجود أخطاء مطبعية في بعض نسخ المصاحف الموجودة بالمملكة يمكن تصحيحها ، أو اختلاف في الترتيب أو الترقيم في بعض النسخ

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ، ص١٧٠ .

نتيجة لعدم العناية من أرباب المطابع عند صفها ... والذي ينبغي هو التأكيد على مكاتب المطبوعات بالمملكة بالتعاون مع المراقبين الدينيين بفحص المصاحف التي ترد إلى المملكة قبل الفسح لها بالدخول ...) [١].

ومن صور إنكاره -رحمه الله- لما يثير البلبلة والشقاق بين الناس رسالته إلى رئيس القضاة بالمنطقة الغربية ، الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- بخصوص بعض الوعاظ الهنود الذين يتهجمون على أئمة المذاهب الأربعة والتي جاء فيها: (فقد وردنا من عمر فتحي كتاب يذكر فيه بعض ما يقوم به الوعاظ الهنود وغيرهم من التهجم على أئمة المذاهب الأربعة والحط من قيمتهم ومن أقوالهم واتباعهم . وحيث إن هذا مما يتنافى مع ما يجب من احترام الأئمة وعلماء الملة ومما يثير الفتنة والشقاق بين الناس ، أحببنا إلفات نظركم إلى ما ذكره ، وبعثنا لكم نفس كتابه لتطلعوا عليه ، ولا ريب أنكم بالإطلاع على ذلك وتحقق ما ذكره صاحب الكتاب ستقومون بالواجب إن شاء الله) [٢].

ومن ذلك رسالته -رحمه الله- إلى الأمير فيصل نائب جلالة الملك - رحمهما الله - يشدد فيها على ضرورة إنفاذ حكم القصاص بمؤلف كتاب يدعو فيه للتجرؤ على معتقدات وأحكام الإسلام والمسلمين ، قال في الرسالة: (والذي أراه أنه يسوغ قتل هذا الخبيث تعزيراً ، لأن ما أبداه رأس فتنة ، إن قُطع خمدت ، وإن تسوهل في شأنه عادت بأفظع من هذا الكتاب من بدعة هذه الطائفة من صاحب هذا الكتاب أو من غيره . وقتل مثل هذا تعزيراً إذا رآه الإمام ردع للمفسدين وحسم لمادة البدعة وسد لهذا الباب . فإن قضية هذا الرجل هي أول واحدة من نوعها ، وهذه النابغة تمس مآخذ المسلمين وحججهم ، والقدح فيها تسبب في إسقاط حجيتها وساطع برهانها ، فإن الذي لدى المسلمين في معتقداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم وفروجهم وأحكام دمائهم ومستند ما يحكمون به في محاكمهم أصلان عظيمان وكل أصل سواهما راجع إليهما ومستمد منهما ، ألا وهما الكتاب والسنة لا طريق لهما إلينا إلا من طريق أصحاب رسول الله ﷺ ، فمتى فشا

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ، ص٩٠-٩١ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٣، ص١٦١-١٦٢ .

الطعن في جنسهم زالت الثقة، ووجد أخصام الإسلام ثغرة منها يتخذون سلطة على أهل الإسلام)[١].

الفرع الثالث: تطهير البلاد من أسباب الفساد والرذيلة

قد أفنى الشيخ -رحمه الله- حياته في سبيل تطهير البلاد والمجتمع من أسباب الرذيلة والفساد والمعاصي ، فقد كان -رحمه الله- مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، وكان يرى أن صلاح البلاد والعباد لا يتم إلا بالقيام بما فرض الله على العباد من فعل الطاعات وترك المعاصي والفساد .

من ذلك ما جاء في ردِّ سماحته -رحمه الله- على رسالة من الشيخ عبد الله بن عقيل الذي يستفسر فيها عن صحة ما أشيع من دخول طائفة القاديانية[٢] إلى المملكة ، فأكد سماحته -رحمه الله- على نفي هذه الشائعة لعلمه بخطر هذه الطائفة الخبيثة على معتقدات المسلمين ، جاء في الرد : (ونفيدكم أن دخول القاديانيين إلى المملكة العربية السعودية محظور حظراً باتاً ومشدد فيه تشديداً بليغاً، ولم يحصل في ذلك تساهل أو تراخي . ولقد عثر على شخص من تلك الطائفة الخبيثة منذ سنتين دخل خلسة فأمرت الحكومة بطرده فوراً وأكدت وما تزال توالي التأكيدات على سلطات الأمن بمراقبة هذا الأمر بكل دقة وعناية)[٣] .

وقد وافق سماحته-رحمه الله- على دخول الكتابي إلى المدينة المنورة عند الضرورة أو عند الحاجة إليه بشرط أن يغادر المملكة فور الانتهاء من عمله ،

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٢٥٠-٢٥١ .

(٢) ظهرت القاديانية في آخر القرن التاسع عشر الميلادي بالهند في (قاديان) في وقت كان فيه الاستعمار الانجليزي محتلاً المدن الهندية وقراها . وتنتسب حركة القاديانية إلى مؤسسها الأول (غلام أحمد القادياني) الذي ادعى أنه المسيح المنتظر ، ولقد بلغت به الوقاحة وقلة الحياء من الله أن صرح بأنه هو الله أو هو المعبود عن الله . والذي ساعده على نشر عقيدته هو المحيط المناسب لفكرته وطموحه ، فقد وجد في بيئته التي نشأ فيها والأوضاع التي عاصرته كل المساعدة والتشجيع ، كما أنه وجد من الاستعمار الانجليزي كل الدعم والعون ، لأنها كانت في أشد الحاجة إلى زعيم روحي يؤيد سياستها ويتشيع لها ، انظر : القاديانية : عبد الله صالح الحموي ، ط١ (الرياض : مكتبة السروات ١٤٠٣هـ) ص١٥-١٨ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١، ص٢٦٥ .

وذلك غيرةً منه -رحمه الله- أن يكون في المدينة المنورة أناس يدينون بغير الدين الإسلامي، جاء ذلك في الرسالة التي وجهها -رحمه الله- إلى وزير الداخلية :

(وعليه فمتى تحقق الاضطرار لاستخدام الكتابيين في الإشراف على المشاريع المشار إليها في خطابكم ، مراقبتها وإعداد الدراسات اللازمة لها ، بحيث لا تجدون من الخبراء المسلمين من يقوم بهذه الأعمال ، فلا مانع من دخولهم المدينة لذلك الغرض ثم مغادرتهم إياها حال انتهاء مهمتهم ، وذلك أن حرم المدينة ليس كحرم مكة الذي أنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١]. وعليه فما دامت الضرورة لدخولهم المدينة لاستخدامهم بصفات مؤقتة فلا بأس بذلك . إلا أننا نحيط سموكم أن مدلول الضرورة قد تساهل به كثير من الناس وأصبحت دعواها ديدنهم ، فيتعين عليكم -وفقكم الله- العناية والرعاية بشرط الدخول، وهو الاضطرار إليه ، والشعور بمسئوليتكم أمام الله -تبارك وتعالى- تجاه ذلك) [٢].

وفي رسالة من سماحته -رحمه الله- إلى مدير الجوازات في منطقة الرياض طلب فيها معاقبة دجال مشعوذ ضُبط وفي حوزته ورقة مطولة تفيد على حدٍّ زعمه بأنها تدفع عنه لدغ العقارب والدواب ، كما طلب -رحمه الله- نفيه خارج البلاد كإجراء لتطهير البلاد من أسباب الفساد والرذيلة ، جاء في الرسالة: (وبتأملنا الورقة ومعتقده فيها نفيدكم أن من صالح البلاد نفيه منها ، لأنه لا يخلو إما أن يكون مشعوذاً دجالاً ، أو تلميذ شعوذة ودجل ، وقد سحبنا منه الورقة المذكورة وظرفها لإعلامكم) [٣].

كما أفتى سماحته -رحمه الله- بمنع إحداث مقهى أمام البيوت لما في ذلك من أضرار ومفاسد ستترتب على ذلك ، يقول سماحته في رسالة موجهة إلى رئيس مجلس الوزراء :

(فقد اطلعنا على أوراق المكاتبة المبعوثة إلينا بخطاب وزير الدولة لشئون رئاسة مجلس الوزراء رقم ... وتاريخ ... بشأن الدعوى المقامة من ... بالأصالة

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٨ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ، ص٢٥٩-٢٦١ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٩٩ .

عن نفسه وبالوكالة عن أصحاب الدور المجاورة لبيته ، ضد ... بصدد ما أسموه من قيام المدعي عليه بإحداث مقهى أمام بيوتهم ، ومطالبتهم بإزالة المقهى المذكور، لأن فيه ضرراً كبيراً عليهم ، لما في وجوده من الأخطار المتوقعة على محارمهم وأولادهم . كما اطلعنا على صك الحكم الصادر من القاضي بمحكمة الطائف ... المتضمن : أنه بناءً على شهادة البينة المعدلة ، وبناء على مشاهدته لموضع النزاع في هذه القضية ، فقد ثبت لدي أن وجود المقهى العائد للمدعى عليه الكائنة في محلة ابن بكر فيه ضرر لبيت المدعي والمجاورين له لمقابلته للمقهى المذكور ، لأن النساء لا يتمكن من الخروج والدخول إلى البيوت المذكورة طالما أن الرجال الذين يجلسون بالمقهى ويرتادونه يتابعون النظر إليهن ، كما أن السكان لا يتمكنون من فتح الأبواب ، لذا فقد حكمت على المدعى عليه ... إغلاق المقهى المواجهة لبيت ... وعدم فتحه منعاً للضرر الذي لحق به وبالمجاورين له)[١] .

ومن ذلك رسالته -رحمه الله- إلى أمير منطقة الرياض بخصوص المفاسد التي تقع في مشتل الخرج يوم الخميس وليلة الجمعة ، يقول : (فقد اتصل بعلمنا بأنه يحصل في مشتل الخرج (السيح) في بعض الأيام وخاصة يوم الخميس وليلة الجمعة ويومها مفاسد كبيرة وكثيرة مع ترك صلاة الجمعة من أكثر من يقصده . لذا نرجو الأمر بما ترونه حائلاً دون ذلك ، لأن هذا من الأشياء الظاهرة التي لا ينبغي التساهل بها بحال من الأحوال)[٢] .

ولقد وقف سماحته -رحمه الله- بشدة ضد قرار إرسال البعثات من الطلاب للدراسة في الخارج وذلك خوفاً من تأثرهم بمعتقدات تلك الدول ، خاصة بعد رجوعهم للمملكة ، وذلك للمحافظة على قيم الدين الإسلامي الحنيف ، عدم التأثر بمدارس الكفر والتبشير ، فأرسل -رحمه الله- برسالة إلى رئيس الهيئة الملكية المنتدبة عن البعثات للخارج بهذا الخصوص جاء فيها : (أما الذي أراه يتعين ولا يسوغ العدل عنه هو منع البعثات إلى الخارج بتاتاً سداً لباب الردة والنشء الكفري ، وقطعاً لمادة الفتنة ، وتمييزاً وتفريقاً بين الحق والباطل

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٧ ص٢٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ج٣ ص٦ .

باتخاذ تعليم ما يلزم تعليمه في نفس المملكة . وجلالة الملك أيده الله جازم في ذلك ، ولدى جلالته غاية المعرفة بغوائل البعثات ، ووجود النشء في البلاد الأخرى بمجرده غاية في الشر ، فكيف وجودهم هناك مرتضعين لدى مدارس التبشير والكفر، أو مدارس الإلحاد البدعية وإن ادعوا الإسلام)[١].

وسعياً منه -رحمه الله- في تطهير البلاد من أسباب الفساد والرذيلة ، وجه رسالته إلى رئيس مجلس الوزراء في ضرورة تعزير جماعة قاموا بقتل أحد الأشخاص بعدما تعاطوا الخمر ، يقول في الرسالة : (... نلفت النظر إلى أن هذا الصنيع الفظيع قد تكرر وقوعه من مثل هؤلاء الفساق ، وإن لم يؤخذ على أيديهم وينكل بهم ، ويعمل معهم ما تقتضيه السياسة الشرعية مما تنحسم به مواد الفساد فيخشى من انتشاره أكثر ، لأن الخمر أم الخبائث ، فإذا سكروا واستولت عليهم الشياطين انتهكوا المحرمات من زنا ولواط أو قتل أو حرق بالنار . ومثل هؤلاء يسوغ لولي الأمر أن يعزرهم التعزير البليغ حسبما تقتضيه المصلحة العامة ، وإن رأى هذا الشر لا ينكف إلا بقتلهم فله ذلك لئلا يتفاقم الأمر)[٢] .

الفرع الرابع: أحكام وإرشادات عامة

كان للشيخ -رحمه الله- كثيراً من الفتاوى والرسائل المتفرقة التي تصبُّ في معين الاحتساب ، والذود عن حياض الدين الإسلامي ، وجميعها تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإن الناظر المتمعن في هذه الرسائل والفتاوى يُلاحظ ما لدى الشيخ -رحمه الله- من معرفة ببواطن الأمور والأهداف البعيدة التي يرمي إليها بعض الأشخاص ، لذلك لم تكن تنطلي عليه الحيل ، فقد كان يرى -رحمه الله- بنور الله سبحانه وتعالى وتلك هِبة عظيمة لا توهب إلا للأصفياء الأتقياء من العباد، والشواهد والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما جاء في رسالته -رحمه الله- إلى رئيس الشعبة السياسية بخصوص طلب جماعة من الإيرانيين فَرْش المسجد النبوي بالسجاد الإيراني ، قال فيها : (ونفيدكم أنه لا يسوغ شرعاً

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٢١٧ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٢ ص٦٣-٦٤ .

السّماح لمثل هؤلاء بالقيام بمثل هذا العمل النبيل، لأنهم أناس بدعيون ، قد اشتهروا ببدعة الرفض الشنيعة المخالفة للدين.

فحينئذ يجابون بأن جلالة الملك المعظم -حفظه الله- قد تبرع بعمارة المسجد وفرشه على حسابه الخاص . وأما طلبهم تنجيز المظلة عند باب البقيع ، فلا يخفى أنهم أهل أغراض سيئة ، وباب البقيع يقع حوله قبور من أهل البيت الشريف ، فإذا كان طلبهم خالياً من التشبث بتلك القبور فبناء المظلة لا بأس به بشرط أن يكون على حساب حكومتنا السنية)[١].

ومنها ما جاء في رسالته -رحمه الله- إلى أمين مدينة الرياض بخصوص نقل بعض المساجد والانتفاع بأماكنها في بناء مساكن أو دكاكين ، يقول في الرسالة : (أما بعد : فإن سموكم قد كُلِفتم حملاً ثقيلاً وأمانة هامة ، وكنتم محل ثقة الملك -حفظه الله- في جلب ما ينفع البلاد ودفع الأضرار عنها ، وأهم من ذلك عند الله تعالى وعند ولي أمر المسلمين وعامتهم هو الأمور الدينية . وغير خافيكم أن من أعظم ما يجب احترامه واعطاؤه حقه من العناية مساجد الله التي هي محل طاعته وإقامة الوجه له ، وهي بيوت الله في الأرض . وتدري -سلمك الله- أنه لا يجوز نقلها عن أماكنها أبداً إلا عند المصلحة التي تعود على المسجد وعلى جماعته . أما نقلها للانتفاع بأمكنتها مساكن أو دكاكين أو غير ذلك من المصالح الدنيوية فهذا من أعظم المحرمات، ويدخل في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[٢] ، أعاذنا الله وإياك من ذلك . ولا شك في أن نقلها من غير مسوغ شرعي هو من منعها أن يذكر فيها اسم الله ، والملك -حفظه الله- لا يريد أبداً إلا ما يقوي الدين ويعود بالخير على الاسلام والمسلمين ...)[٣].

وجاء في رسالة أخرى لسماحته -رحمه الله- حول تدخل الحكومة في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٩ ص٢٠٣-٢٠٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٤ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٩ ص١٦٨ .

تحديد أجور العقارات ، واعتراضه على هذا التدخل لأن فيه منع الناس من حرية التصرف بأموالهم ، يقول فيها : (ونشعر سموكم أن تدخل الحكومة وفقها الله في تحديد الأجور لا يسوغ شرعاً ، بل قواعد الشريعة المطهرة والنصوص الشرعية تدل على تحريمه ، لأن معنى ذلك منع الناس من حرية التصرف في أموالهم ، وإلزامهم بأن يؤجروا عقاراتهم بأجرة لا يرضونها . والنبي ﷺ يقول : (**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**)[١] ... وحينئذ فإلزام الناس بتحديد أجور عقاراتهم بأجرة العام الماضي، ظلم وإكراه بغير حق ، لأن الأجرة تزيد لقلة المساكن ، أو لتزايد السكان ، أو لغير ذلك من الأسباب ، والحكومة ليس لها -إن شاء الله - هدف إلا العدل وتحكيم الشرع ، لأن دستورها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ولا يخفى أن لأموال المؤجرين من الحرمة ما لأموال المستأجرين . والذي يتعين على الحكومة - وفقها الله - أن تعامل رعيتها غنيهم وفقيرهم بالعدل ، ولا عدل أعدل من الشرع ، والله تعالى يقول : ﴿ ۞ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴿١٣٥﴾ ﴾[٢]، والمقصود من الولايات هو تنفيذ أوامر الله ، والحكم بين الناس بما أنزل الله وشرعه على لسان رسوله ﷺ لا بمجرد الأنظمة والآراء)[٣].

ومما يبين احتسابه -رحمه الله- على الوجهاء والأعيان أيضا ، رسالته التي وجهها إلى رئيس مجلس الوزراء في التحذير من حرمان النساء من المواريث عند بعض القبائل في منطقة الباحة ، في هذه الرسالة تتجلى عدالة الدين الإسلامي الحنيف وأحكامه السامية في إعطاء المرأة حقها من الميراث الذي شرعه الله لها ، وهي رد على الشبهات التي تثار حول الدين الإسلامي من هضمه لحق المرأة ، وظلمها، جاء في الرسالة :

(ونفيد سموكم بأنه يلزم قضاة تلك الجهات التنبيه على وجوب مراعاة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ج٦ ، ص٦٩ ، رقم الحديث ٢٠١٧٢ . حديث صحيح ، انظر : صحيح الجامع الصغير ، محمد الألباني ، ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ) ج٦ ص٢٢٥ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٨ ص ٩٣-٩٤ .

حقوق النساء في الجوامع والمحاضر ، ويذكرونهم بقوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾[١] ، وبقوله ﷺ : (**النساء شقائق الرجال**)[٢]، وبما جاء في خطبته عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع حيث يقول : (فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)[٣]، وتؤكدون عليهم وجوب احترام حق المسلم ذكراً كان أو أنثى ، وأنه لا يحل شيء من ماله إلا بطيب نفس منه)[٤].

وانطلاقاً من احساسه العميق -رحمه الله- بأهمية أداء الصلاة في وقتها وخاصة صلاة الجمعة فقد كان يحث عليها كثيراً ، وبالأخص صلاة الجماعة لأن فيها من الفضل ما يفوق صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديثه الشريف حيث قال : (**صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**)[٥]، فقد أرسل سماحته - رحمه الله - برسالة إلى أمير المنطقة الشرقية تتضمن الإشارة إلى أن بعض عمال الشركات يعملون أثناء وقت صلاة الجمعة ، وأحياناً يصلونها منفردين قال في الرسالة : (فقد بلغني أنه يوجد في مقر أعمال الشركة في المقاطعة ورأس تنورة مسلمون يعملون عند الشركة وقت أداء صلاة الجمعة ولا يشهدونها في المساجد .

كما قد بلغني أن الشركة وضعت مدارس تدرس فيها وتتخلل دراستهم أوقات الصلاة ولا يقومون -أي المسلمون- بتأديتها جماعة ، بل من أراد أن يصلي صلاها منفرداً. فأحببنا إخبار سموكم بذلك لشهامتكم وغيرتكم الدينية ...)[٦].

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في مسنده ، كتاب : الطهارة ، باب : في الرجل يجد البلة في منامه ، ج١ ، ص٦١ ، رقم الحديث ٢٣٦ . قال الترمذي : حديث ضعيف .

(٣) أخرجه مسلم ، ج٢ ، ص٨٨٦ ، رقم الحديث ١٢١٨ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٩ ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٥) أخرجه البخاري ، ج١ ص٢٣١ ، رقم الحديث ٦١٩ .

(٦) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٥ .

المبحث الثاني

جهود الشيخ في الاحتساب على العامة

توطئة

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**)[١] .

قال النووي -رحمه الله-: (وأما النصيحة لعامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر بإرشادهم إلى مصالحهم في آخرتهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم ، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتخولهم بالموعظة الحسنة ، وترك غشهم وحسدهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه ، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل ، وحثهم على التخلق بجميع أنواع النصيحة ، وتنشيط هممهم إلى الطاعات)[٢] .

والشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- كان مباركاً على نفسه وعلى غيره ، باذلاً مستطاعه في الدعوة إلى الخير والترغيب فيه بالقول والفعل ، والتحذير من الشر بكل طريق ، عاملاً بقول رسول الله ﷺ : (**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري، ج٥ ص٢٢٣٨ ، رقم الحديث ٥٦٦٥ .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، المجلد الأول ، ج٢ ص٣٩ .

(٣) أخرجه البخاري ، ج١ ص١٤ ، رقم الحديث ١٣ .

المطلب الأول: خطورة عدم تغيير المنكرات والسكوت عنها

بذل الشيخ -رحمه الله- جهده في حث الناس على الأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر فيما بينهم ، لعلمه -رحمه الله- بخطورة تكاسل الناس عن هذه الشعيرة وتركها ، والتغاضي عنها وعدم تغييرها ، والذي هو من أسباب استحقاق لعنة الله على بني اسرائيل حينما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديثه الشريف ، حيث قال : (إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1] ثم قال : **كلا والله ، لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً**) [2].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مختصاً بفرد دون آخر ، أو مختصاً بالعلماء وحدهم دون غيرهم بل هو ثابت على عموم المسلمين ، يقول ابن القيم -رحمه الله-: (وهو واجب على كل مسلم قادر ، وهو فرض كفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره من ذوي الكفايات والسلطان فعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ، فإن مناط الوجوب هو القدرة ، فيجب على القادر ما لا يجب على العاجز) [3] .

ويقول القرطبي- رحمه الله- : (أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٨ .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ، كتاب : آداب القاضي ، باب : ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولاة مما يكون أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر من فروض الكفايات ، ج١٥ ، ص٤٥ ، رقم الحديث٢٠٧٧٦ . حديث ضعيف انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ، محمد الألباني ، ج٢ ص١٤٥.

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق د. محمد جميل ، (جدة : دار المدني للطباعة والنشر) غازي ، ص٢٤٦ .

المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه ، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى ، فإن ذلك لايجب أن يمنعه من تغييره ، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه ، ليس عليه أكثر من ذلك . وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه ، إذا لم يستطع سوى ذلك)[١] .

وقد شدد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- على خطورة عدم تغيير المنكر ، وعده من أعظم المنكرات ، وبين ما في تركه من العذاب والهلاك ، جاء في نصيحته لعامة المسلمين : (وهاهنا منكر فوق ما يخطر بالبال ويدور في الخيال ، وأعظم مما قدمناه من جميع المنكرات ، وهو منكر عدم تغيير المنكرات ، وعدم الغيرة لمحارم فاطر الأرض والسموات ، والتماوت في ذلك ، والتسويف فيه، والاغترار بهذه الزهرة الذاوية عن قرب ، مع القدرة على التغيير ... وروى الترمذي عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : (**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم**)[٢] .

والمعروف إذا تُرِكَ فلم يؤمر به ساعة تركه اعتاد الناس تركه حتى يصبح فعل المعروف منكراً ، وكذلك المنكر إذا ترك فلم ينه عنه ساعة ارتكابه اعتاد الناس فعله حتى يصبح المنكر عندهم معروفاً ، فإنهم قد رأوا المنكر بأعينهم وسمعوه بآذانهم فزالت وحشة المنكر وقبحه من نفوسهم لكثرة ملازمتهم له وملازمته لهم ويحدث العكس إذا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فإن الناس سيألفون الخير ويستهجنون الشر ويستقبحونه في قلوبهم فيمنع ذلك من استقرار المفاهيم والقيم الخاطئة في قلوبهم وعقولهم . أما ترك الاحتساب فيؤدي إلى قلب الحقائق والموازين فيصير المنكر معروفاً، والمعروف منكرا ً[٣] .

وفي هذا المعنى يتحدث الشيخ -رحمه الله- عن غربة الدين في هذه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، المجلد الثالث ، ج٤ ص٤٨ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧١-١٧٥ . والحديث أخرجه الترمذي ، ج٤ ، ص٤٦٨ ، رقم الحديث٢١٦٩ . قال الترمذي : حديث حسن .

(٣) أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أ. محمود محمد عبد المطلب ، ص١٤٦ .

الأزمان وعن طغيان المادة التي استولت على القلوب والعقول وأخرجت حب الله منها وحب اتباع ما جاء به دينه الحنيف ، مما أدى إلى فشو الجهل ومرض الشهوة والشبهة فيقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه إلى عامة المسلمين :

(ومع ذلك فالأمر على ما وصفته من تأثير مساعي إبليس وجنوده على الأكثر حتى اشتدت الكربة ، وصار الدين في غاية الغربة ، ولا سيما في أزماننا هذه التي صار فيها -عند الأكثر- المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة، والبدعة سنة ، ربي على ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطغى طوفان المادة ، وأخفى غبار الشبهات والشهوات وضوح الجادة ، وفشا الجهل ، وتكلم في الأمور الدينية من ليس لها بأهل ، حتى صرَّح من صرَّح من جهلتهم فيما يكتبونه وينشرونه بمزيد من التحريض على ما هو أعظم ما يهدم الإسلام ، وينسى أصوله العظام وأصبحت القلوب إن لم تمت في غاية من أنواع الأمراض مرض الجهل ومرض الشهوة ، ومرض الشُّبهة ، حتى استولت عليها القسوة والظلمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1].

ويعزو الشيخ -رحمه الله- فساد العقائد والأخلاق وحبس الأمطار ونقص الحروث والثمرات إلى ارتكاب المعاصي ، وفعل المنكرات والسكوت عليها ، وإيثار الشهوات والأهواء ، ولقد أصاب الشيخ -رحمه الله- في هذا عين الحقيقة ، فإن عدم المبالاة في فعل المنكرات وترك الأمر بالمعروف ينتج عنها غضب الله عز وجل وسخطه ، وهذا ما نراه في أيامنا هذه من ذل المسلمين واستضعافهم بعدما كانوا خير أمة أخرجت للناس ، يقول الشيخ -رحمه الله-:

(فتقوى الله تعالى بفعل المأمورات وترك المنهيات هي مجلبة كل خير ، والنجاة والسلامة من كل شر في الدنيا والآخرة ، فكل صلاح وبركة وخير في الدنيا والآخرة واستقامة في العقائد ونزاهة في الأخلاق والحصول على كل خير والسلامة من كل شر وضير والخروج من كل ضيق وحصول الفرقان بين الحق والباطل وغير ذلك مما لا يحصى كل ذلك سببه تقوى الله تعالى . وكل فساد

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٥-١٨٦

ونقص في الاعتقاد والأخلاق والأعمال والعلوم والفهوم والقوى والإرادات والتصورات ، وغور المياه وحبس القطر من السماء ، ونقص الحروث والثمرات وغير ذلك فسببه الإخلال بتقوى الله ، وعدم المبالاة بأوامره ونواهيه ، وقلة الإكتراث بوعيد الله الذي يعيده في كتابه ويبديه)[١].

والقاعدون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشخاص : إما أن يكونوا ممن آثروا المعصية على الطاعة فركنوا إلى العصاة ، وتركوا الأمر والنهي ، وهؤلاء مصدر من مصادر غضب الله على الأمة كلها إذا لم يتصد لهم أولو العلم والسلطان بالنهي والأمر ، ومن رهب من المخلوق فترك الأمر والنهي إيثاراً للدنيا يجامل أهل المنكر لما له معهم من مصالح الدنيا ، أو خوفاً من ضرر يصيبه ، أو خير دنيوي يزول عنه .

ومنهم من يجامل المحسنين فيقعد عن الأمر والنهي لما لهم عليه من الأيادي أو القرابات[٢].

وقد لا يقف الأمر عند حد عدم إنكار المنكر وترك النهي عنه ، بل قد يتعداه إلى الاستهزاء بالدين وبسنة الرسول محمد ﷺ والذي اعتبره الشيخ -رحمه الله- كفراً ، ففي رسالة من سماحته -رحمه الله- إلى احد المشايخ حول استفتاءه عن من يستهزئ بسنة رسول الله ﷺ قال فيها : (نفيدكم أن الاستهزاء بسنة رسول الله ﷺ الصريحة الصحيحة كفر بلا ريب ، لقول الله ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴿٦٦﴾ ﴾[٣].

المطلب الثاني: الترغيب في الفضائل والتحذير من الرذائل

الفضيلة هي أي تصرف يستحسنه الناس ويعد جزءاً من المنظومة

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٤٣-١٤٤ .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط١ (الرياض : دار الاعتصام ، ١٣٩٥هـ) ص٦٣ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١٧٤ . والآيتان من سورة التوبة ، الآيات : ٦٥-٦٦ .

الأخلاقية ، فالصدق تصرف إيجابي في سلم القيم ، بينما الكذب تصرف سلبي في المفهوم ذاته ، ولكن استحباب التصرف يضفي عليه صفة الفضيلة ، وهي التصرف المحمود الذي يشكل مع فضائل متجانسة من حيث المضمون والهدف مجمل السلوك الأخلاقي العام السليم ، وإطلاق مصطلح فاضل على إنسان ما ، يعني أنه يتصرف تصرفاً يتفق مع معايير المنظومة الأخلاقية وأهدافها [١] .

وينبغي لمن قصده الخير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله التأكد من كل أمر والتثبت بشأنه ، وعدم التسرع والعجلة ، والحرص على الرفق بالناس وملاطفتهم حال أمرهم أو نهيهم ، فإن في ذلك من الخير ما لا يحصى ، وهذه مما لا بد منه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٢] .

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: (وكذلك إذا أمر غيره بحسن أو أحب موافقته على ذلك أو نهى غيره عن شيء فيحتاج إلى أن يحسن إلى ذلك الغير إليه إحساناً يحصل به مقصوده من حصول المحبوب واندفاع المكروه ، فإن النفوس لا تصبر على المر إلا بنوع من الحلو لا يمكن غير ذلك) [٣] .

وقد وقف الشيخ -رحمه الله- حياته العامرة كلها بالترغيب بالفضائل والتحذير من الرذائل ، وحث الناس ما استطاع إلى امتثال أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه ، فكان مترفقاً بالناس في دعوته إلى الله مرغباً تارة ، ومرهباً تارة ، شديداً في مواضع ، ولياً في أخرى ، وتلك هي صفات الداعية الصابر المحتسب عمله لوجه الله تعالى .

والدين لا يتم عند الشيخ -رحمه الله- إلا بالحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، جاء هذا في الرسالة التي بعثها إلى مسلمي السنغال دعاهم فيها إلى التمسك بالشريعة المحمدية وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال فيها : (فهل يتم الدين أو يقام علم

---

(١) انظر : موسوعة الفضائل والرذائل ، فضيلة الحياء ، د. عبد القادر الشيخلي ، ط١ (عمان : دار البشير ١٤١٤ هـ) ص٣٨ .

(٢) تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبد الله بن صالح القصير، ص٤٩ .

(٣) الحسبة في الإسلام ، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، ص٨٨ .

الجهاد وعَلَمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقان بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)[١] .

ومن صور ترغيبه -رحمه الله- بالفضائل وتحذيره من الرذائل اهتمامه بتربية النشء من خلال غرس الدين والأخلاق الفاضلة في نفوسهم ، لأن النشء قابلين أكثر من غيرهم للتطبع بالأخلاق الفاضلة التي تنسجم مع الدين الإسلامي وهم أطوع لتشرب الفضائل السامية ، كما قال رسول الله ﷺ : (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**)[٢] .

وهذه التربية مسؤولية ملقاة على عاتق الأهل أو من يقومون بتربية النشء ، يقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه :

(ومن ذلك ملاحظة الشباب وحفظهم وتربيتهم التربية الشرعية الدينية ، وتهذيب أخلاقهم عن رديء الكلام ومخالطة الأشرار ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴿٦﴾ ﴾ ، وقال ﷺ : (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**)[٣] ، فأولياء الشباب مسئولون عنهم ، ولا يحل لهم إهمالهم ، بل يجب عليهم صيانتهم والاعتناء بهم ، وتعليمهم العلوم الشرعية ، وتجنيبهم جميع الأمور المضرة لأديانهم وعقولهم وأخلاقهم ومعارفهم)[٤] .

ومما كان -رحمه الله- يرغب فيه من الفضائل ، شكر النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده .

فالله ﷻ يبتلي الناس بالنعم وسعة الرزق كما هو واقعنا اليوم ليختبر إيمانهم وشكرهم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ، ص٢٧٨ .

(٢) صحيح البخاري ، ج١ ، ص٤٦٥ ، رقم الحديث ١٣١٩

(٣) صحيح البخاري ، ج١ ، ص٣٠٤ ، رقم الحديث ٨٥٣ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧٠ ، والآية من سورة التحريم ، الآية ٦ .

عَظِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [١] والعاقبة الحميدة في كل ذلك للمتقين الذين تكون أعمالهم وفق ما شرع الله كالصبر والاحتساب في حال الفقر، وشكر الله على النعم وصرف المال مصارفه في حال الغنى، من غير تقتير على النفس والأهل ، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة[٢].

وكان يرغب سماحته -رحمه الله- بالزواج المبكر ، لأنه أحصن للفرج ، وخوفاً من الإنغماس في الرذيلة والتأثر بعوامل الإغراء والإثارة ، التي تؤدي في نهاية الأمر إلى الإنحراف والوقوع في المعصية ، فقد أرسل -رحمه الله- رسالة إلى مدير عام الإذاعة جواباً على استفتاء أحد الأشخاص الذي لا يستطيع التوفيق بين رغبة والده في تزويجه الآن ، ورغبته هو في تأجيل هذا الزواج إلى ما بعد إنهاء دراسته ، يقول -رحمه الله-:

(ونفيدكم أنما قصده والده من إلزامه بالزواج هو ما دعى إليه الرسول ﷺ فيما رواه ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعاً : (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**)[٣] ، وهذا من الوالد نتيجة حتمية لمشاعره الودية تجاه ابنه ، ومدى اهتمامه باستقامته ، وتخوفه من أن يلحق بركب الشباب الطائش ، لا سيما وقد أصبحت عوامل الإغراء والإثارة تتنازع الشبيبة من كل جانب ، مما كان له أسوأ الأثر في انحراف كثير منهم .

ولا شك في أنه يتعين على المسلم البر بوالديه ، وإطاعة أوامرهما فيما لا معصية فيه أو فيه مصلحة ، إذ إنهما في الغالب لا يأمران أبناءهما إلا بما يريان فيه المصلحة لهم في حياتهم الدنيا وفي الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

---

(١) سورة التغابن ، الآية : ١٥ .

(٢) انظر : مواضيع تهم الشباب ، عبد الله بن جار الله الجار الله ، ط٢ (الرياض : المديرية العامة للمطبوعات ، ١٤٠٨هـ) ص٢٠ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : النكاح ، باب : استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد ... ج٢ ص١٠١٨ ، رقم الحديث ١٤٠٠ .

ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[١]. ولا ريب أن الزواج كما قال ﷺ فيه تحصين للفروج، وغض للأبصار ، وهو عامل فعال من أقوى عوامل الاستقامة والاهتداء)[٢].

وقد ذكر -رحمه الله- الناس بالخير العميم الذي مَنَّ الله ﷻ به عليهم ، وحثهم على شكر هذه النعم وحذرهم من جحودها والذي من شأنه أن يؤدي إلى تناقصها وانمحاقها ، قال -رحمه الله- في إحدى نصائحه إلى عامة المسلمين :

(فأذكركم بما مَنَّ الله به عليكم من التوحيد ومعرفة دين الإسلام والاهتداء بهديه والاستضاءة بنوره . مع ما انضم إلى ذلك مما أنعم الله به من هذه الولاية الدينية العامة التي ساد الأمن فيها وانتشر ، وجرت ونفذت فيها أحكام الشريعة الإسلامية على الكبير والصغير ، والحر والعبد ، فلله ربنا مزيد الحمد والثناء ، فاشكروا عباد الله هذه النعمة ، واغتبطوا بها ، وارعوها حق رعايتها ، واقدروها حق قدرها ، وتحدثوا بها كثيراً ، وتواصوا فيما بينكم بالتمسك بما يحفظها ، والتحذير من ارتكاب أسباب زوالها وقرارها ، فإن النعم إذا شكرت درت وتزايدت وقرت ، وإذا كفرت تناقصت وانمحقت وفرت)[٣].

وحذر -رحمه الله- من منع الناس للزكاة لما في منعها من أسباب انحباس الأمطار ، كما حذر من أكل المال الحرام ، ورغب في ملاحظة الفقير والإحسان إليه واللجوء إلى الله عز وجل والاستغفار من الذنوب ، يقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه :

(وكل من منع الزكاة ، وأكل الحرام ، وترك الأمر بالمعروف : سبب خاص في منع القطر ، وعدم استجابة الدعاء ..... ومما ينبغي أن يقدم بين يدي الاستسقاء الصدقة ، وملاحظة الفقير ، والنظر إليه نظرة رحمه ، عسى أن يرحمنا ربنا ، وفي الحديث عن عبد الله بن عمر: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ، وينبغي اللجوء إلى الله عن صدق ، ودعاؤه عن

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان : ٢٣-٢٤ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٥-٦ . والحديث أخرجه البخاري ، ج٥ ، ص١٩٥ ، رقم الحديث ٤٧٧٨ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧٧ .

تضرع وخشية وصدق ، رغبة إليه في إجابة المطلوب ، والإكثار من الاستغفار)[١].

وهكذا رأينا من خلال فتاوى الشيخ ورسائله - رحمه الله - شدة ما نحن بحاجة إليه من فضائل ، وكم من السيئات والذنوب يمكن أن تترتب على الرذائل، فالمجتمع الإسلامي خاصة ، والمجتمع الإنساني عامة لا يستطيع أن يحيا معافىً وسليماً من الأمراض إلا إذا بني على أساس قوي ومتين من الأخلاق والقيم والفضائل .

المطلب الثالث: التحذير من التشبه بالكفار

نهى الله ﷻ في كتابه العزيز عن مشابهة الكفار ، حيث قال : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٢].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبر بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال : فمن**)[٣].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : (**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع . فقيل يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك**)[٤].

وكثير من المسلمين لم ينتفع بتحذير رسول الله ﷺ ، كما لم يمتثلوا أمر الكتاب والسنة بمخالفة الكفار ، وعدم مشابهتهم ، لذلك كان طبيعياً أن تقع هذه الأمة فيما أخبر عنه ﷺ أنهم يقعون فيه حذو النعل بالنعل ، وهو تقليد المسلمين لكثير من عادات وتقاليد الغرب ، التي لا تناسبنا ولا تناسب ديننا ومجتمعنا .

وقد أنكر الشيخ -رحمه الله- على من يتشبه بالكفار ، وشدد على ذلك

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ص١٤٦-١٤٧ . والحديث أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : البر والصلة ، باب: ما جاء في رحمة المسلمين ، ج٤ ص٣٢٣ ، رقم الحديث ١٩٢٤ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، ج٣ ، ص١٢٧٤ ، رقم الحديث ٣٢٦٩ .

(٤) أخرجه البخاري ، ج٤ ، ص١٤٤ ، رقم الحديث ٦٨٨٨ .

أعظم التشديد لما فيه من التحلل من قيم الإسلام وأحكامه ، ولقد تكررت المواضع التي يحذر فيها الشيخ -رحمه الله- من التشبه بالكفار ، من ذلك ما جاء في رده على من استفتاه في حكم لبس الكبوس ، قال : (لا ريب في تحريم لبس الكبوس لكونه يختص به النصارى من الإنكليز والأمريكان ونحوهما . ومشابهة الكفار معلومة التحريم في الجملة : بالكتاب ، والسنة ، والإجماع . ولا يختص ذلك بالأمور الدينية ، بل يشمل الأمور العادية لشمول العلة التي من أجلها حُرِمَ التشبه بهم للنوعين جميعاً . ولا ريب أن ضابط التشبه بهم هو فعل ما هو من خصائصهم .

أما تحريم مشابهة الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والأعاجم وسائر أنواع المشركين الكفار الأصليين والكفار المرتدين فهو معلوم بالأدلة : من الكتاب، والسنة ، والإجماع .

فمن أدلة الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [١]، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [٢] .

ومن أدلة السنة النبوية على تحريم مشابهة الكفار والمشركين من اليهود والنصارى وغيرهم ، قوله ﷺ : (**لتأخذن كما أخذت الأمم قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر وباعاً بباع ، حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه**) [٣] .

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) : (واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة ، وقصصهم التي فيها عبرة لنا بترك ما فعلوه كثير) [٤] .

وفي رد سماحته -رحمه الله- على مجموعة أسئلة وجهت إليه حول حكم الشرع في لبس النظارة ، والساعة ، والسوار ... الخ ، ذكر بعض الأمور والتي هي

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٩ .

(٣) سبق تخريج الحديث .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ، ص٢٣١-٢٤٠ .

في الأصل من زي الكفار وعاداتهم قال فيها : (واعلم أن التشبه بالكفار يكون بمجرد عمل ما يعملون ، قصد المشابهة أولاً قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله-: وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها معللاً ذلك النهي (بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار)[١]، ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله ، وأكثر الناس لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ، ثم إن النبي ﷺ نهى عن الصلاة في ذلك حسماً لمادة المشابهة من كل طريق)[٢] .

وبعد إجابة سماحته-رحمه الله- عن جميع الأسئلة الموجهة إليه والتي منها : حلق اللحى وإعفاء الشارب ، وحلق بعض الرأس وترك بعضه ، واستعمال الآلات والملابس التي تحمل رمز الصليب ، قال : (ولا شك أن من أقبل على تلك الترهات في صغره ومبدأ عمره ، وصارت هي ديدنه وهجيره وسميره ، وألفتها نفسه ، وشغف بها قلبه أنه يصعب إزاحته عنها وإخراجها من قلبه)[٣].

وجاء في إحدى فتاواه -رحمه الله- رداً على من استفتاه عن (دبلة الخطوبة) التي يقدمها الرجل إذا أراد الزواج إلى مخطوبته قال فيها: (لا يخفى أن هذا الشيء لم يكن معهوداً لدى الناس في هذه البلدان ، وإنما تسربت هذه العوائد من بعض البلدان المجاورة ، ولا ينبغي الانصياع معهم وتقليدهم التقليد الأعمى بكل ما يأتون به سواء كان غثاً أو سميناً ، مع أن هذا من قسم الغث الذي لا خير فيه، ولا نفع يعود على الزوج ولا على الزوجة منه)[٤].

ورسالة الشيخ -رحمه الله- الموجهة إلى من استفتاه في حكم حلق اللحية ، نهى فيها عن مشابهة الكفار في الجملة ، لأن الاقتناع في الظاهر يقود شيئاً فشيئاً للاقتناع بالباطن، وهو من باب سد الذريعة، قال في الرسالة : (وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة ، لأن

---

(١) أخرجه مسلم ، ج١ ، ص٤٣٤ ، رقم الحديث ٦٢٢ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٤ ص٧١-٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ج٤ ص٧١-٨٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج٤ ص٨٩-٩٠ .

مشابهتهم في الظاهر سبب لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة ، بل وفي الاعتقادات ، فهي تورث المشابهة في الظاهر)[١] .

وفي رسالة قيمة لسماحته -رحمه الله- بخصوص التشبه بالكفار وخاصة المرأة فيما يتعلق بلباسها وسفورها وتبرجها ، نلمس عظيم الخطر الذي يغزو المسلمين في عقر دارهم ، ونستشف منها عظم هذا البلاء الخطير ، وانغماس كثير من المسلمين رجالاً ونساءً في هذه المنكرات ، والتي تؤدي إلى فتح أبواب الشرور والفساد ، والمداهنة في حدود الله لمن سكت عنها يقول فيها :

(أما بعد : فقد تغيرات الأحوال في هذه الأزمان ، وابتلى الكثير من النساء بخلع جلباب الحياء والتهتك وعدم المبالاة ، وتتابعت في ذلك وانهمكت فيه إلى حد يخشى منه الانحدار في هوة سحيقة من السفور والانحلال ، وحلول المثلات والعقوبات من ذوي العزة والجلال ، ذلك مثل لبسهن ما يبدي تقاطيع أبدانهن من عضدين وثديين وخصر وعجيزة ونحو ذلك ، ومثل لبس الثياب الرقيقة التي تصف البشرة ، وكذلك الثياب القصيرة التي لا تستر العضدين ولا الساقين ونحو ذلك ، ولا شك أن هذه الأشياء تسربت عليهن من بلدان الإفرنج ومن يتشبه بهم، لأنها لم تكن معروفة فيما سبق ، ولا مستعملة ، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات ، وفيه من المفاسد المغلظة ، والمداهنة في حدود الله لمن سكت عنها ، وطاعة للسفهاء في معاصي الله .

... إنها من التشبه بالإفرنج والأعاجم ونحوهم وقد ثبت في الآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة النبوية النهي عن التشبه بهم في عدة مواضع معروفة ، وبهذا يعرف أن النهي عن التشبه بهم أمر مقصود للشارع في الجملة ، وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) مضار التشبه بهم ، وأن الشرع ورد بالنهي عن التشبه بالكفار والتشبه بالأعاجم والتشبه بالأعراب)[٢] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٥٠-٥١ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص١٥٩-١٦٠ .

ولقد نهى -رحمه الله- عن خروج النساء السافرات الأجنبيات إلى الشوارع لما في ذلك من خطر على النساء والرجال ، ومخافة منه -رحمه الله- من تشبه النساء بهن ، فقال في رسالة وجهها إلى رئيس مجلس الوزراء :

(نرفع لسموكم برفقة المكاتبة الواردة إلينا من فضيلة رئيس محكمة الظهران في ٢/ ١/ ١٣٨٠هـ المعطوفة على ما رفعه له رئيس محكمة الخبر برقم ..... وتاريخ ..... حول ما لاحظه في مدينة الخبر من خروج النساء الأجنبيات في شوارعها سافرات متبرجات كاشفات الوجوه والرؤوس ، باديات السيقان والأذرع ولا يخفى سموكم ما في ذلك من الفساد والفتنة للرجال ، مع أن ذلك وسيلة كبرى لاقتداء المسلمين بهن ، والتزيي بزيهن كما هو الواقع ، وكما أشار إلى ذلك قاضي الظهران بحيث تعذر التمييز بينهن ، والذي يتعين في مثل هذا غيرة لله ولدينه وقياماً لواجب الرعية التي ولاكم الله عليها ، هو العمل على حسم أسباب الفساد وتدهور الأخلاق بمنع أولئك النساء من الخروج سافرات متبرجات)[1].

لقد أرشدنا الشيخ -رحمه الله- إلى عدم التشبه بالكفار لما فيه من ضياع للأخلاق ، وامتهان وتهاون في أمور الدين الواجب اتباعها ، فالمسلم الحق هو المسلم المستمسك بالعروة الوثقى ، عروة الدين الحنيف لا يتزحزح عنها ، ولا يلتفت إلى غيرها ، لأن فيها النجاة وفي غيرها الزيغ والضلال .

---

(١) المرجع السابق ، ج١٠ ص٤٤-٤٥ .

المبحث الثالث

جهود الشيخ في الاحتساب على أهل الأهواء

توطئـــة

مما لا شك فيه أن الدين الإسلامي قد دخلت عليه كثير من البدع والشبه التي أضرت كثيراً بعقيدته الصحيحة من جراء اتباع كثير من الناس لهذه البدع على غير علم، وهي من باب البدع السيئة والمغالاة في أمور نهى عنها الله - سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز ، كما نهى عنها الرسول ﷺ في سنته المطهرة ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[1]. وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[2].

وقد حذر رسول الله ﷺ من البدع فيما يروى عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : (**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلاله**)[3].

وعن جرير -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ : (**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئ ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئ**)[4].

يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (سمي أهل البدع أهل الأهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها ، حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم ، واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣ .
(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .
(٣) أخرجه مسلم ، ج٢ ، ص٥٩٢ ، رقم الحديث ٨٦٧ .
(٤) أخرجه مسلم ، ج٤، ص٢٠٥٩، رقم الحديث ١٠١٧.

الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك) [١].

وتعريف البدعة في اللغة : هي الحدث في الدين بعد الإكمال [٢].

وجاء في لسان العرب : البدعة : التعب والكلال ، يقال أبدعت الإبل إذا بركت في الطريق من هزال ، أو داء ، أو كلال [٣].

وأصل مادة (بدع) الاختراع على غير مثال سابق [٤]، ومنه قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٥] أي مخترعها من غير مثال سابق .

تعريف البدعة شرعاً: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية ، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد ، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة ، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة والله أعلم) [٦].

إن البدعة الحقيقية هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة، ولا إجماع ، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم ، لا في الجملة ، ولا في التفصيل، ولذلك سميت بدعة ، لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق ، وإن كان المبتدع يأبى أن ينسب إليه الخروج عن الشرع ، إذ هو مدعٍ أنه داخل بما استنبط تحت مقتضى الأدلة [٧].

---

(١) الاعتصام ، الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن محمد اللخمي الشاطبي ، ط (القاهرة : دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع) ج٢ ، ص١٧٦ .

(٢) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، ط٤ (بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٤١٨هـ) ص٣٠ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، ج٨ ، ص٧ .

(٤) الاعتصام ، الشاطبي ، ج١ ، ص٣٦

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٢(الرباط : مكتبة المعارف، ١٤٠١هـ) ج١٨ ، ص٣٤٦ .

(٧) الاعتصام أبي اسحاق ابراهيم بن محمد اللخمي الشاطبي ، ج١ ، ص٢٨٦ .

والبدع تقسم قسمين :

الأول : بدع مستحسنة ، والثاني بدع مستقبحة . والبدع المستقبحة تنقسم إلى قسمين:

أحدهما : في العقائد المؤدية إلى الضلال والخسران ، مثلها الاعتراض على ما أحدثه أهل الضلال والظلمة .

ثانيهما : في الأفعال من البدع المحدثة المستقبحة . والبدعة المستقبحة هي ما كان مخالفاً للشريعة الإسلامية أو ملتزماً لمخالفتها [١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كما قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٢] . وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [٣] إلى أن قال : ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ ﴾ [٤] . ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء) [٥] .

المطلب الأول : رده على من نادى برفع القبور وبناء المساجد عليها

بناء المساجد على القبور بدعة مخالفة لكتاب الله ﷻ ولما جاء به النبي ﷺ وهي مضاهاة للنصارى ومن سار في دربهم بقصد تعظيم الميت ، والاستغاثة به ، وطلب قضاء الحاجة منه ، ناسين أن المقبور نفسه مفتقر إلى الله وإلى رحمته ومغفرته

---

(١) الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع ، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق مصطفى عاشور ، ط (القاهرة : مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع) ص٣٧ ٣٩ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة الروم ، الآية ٢٨ .

(٤) سورة الروم ، الآية ٢٩ .

(٥) الحسبة في الإسلام ، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، ٦٨-٦٩ .

وقد رد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- على من نادى برفع القبور وبناء المساجد عليها ناهياً، ومحذراً ، لأنها من المنكرات، ومن وسائل الشرك بالله، وهي أيضاً من الغلو المنهي عنه في الدين ، ومن البدع والأهواء التي قال فيها الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [١].

يقول الشيخ -رحمه الله- في رسالته القيمة التي يرد فيها على مجموعة استفتاءات وجهت إلى سماحته ، أولها ما يتعلق بحكم رفع القبور وبناء المساجد عليها:

(فالجواب على السؤال الأول وهو حكم رفع القبور وتشييدها والبناء عليها. فالحكم في هذه الأمور أنها لا تجوز ، فقد صرحت الأحاديث بالنهي عن ذلك والتحذير منه وتحريمه ، فإن هذا من الغُلُو [٢] الذي تكاثرت الأحاديث بالنهي عنه ، فإنه من أعظم وسائل الشرك وأسبابه ، وبسببه وقع الشرك كما في الصحيح من حديث ابن عباس في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٣]. قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبِدتْ.

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) [٤].

من خلال هذه الرسالة التي أجاب فيها الشيخ -رحمه الله- على مجموعة من الاستفتاءات نعلم أن بناء المساجد على القبور بدأ أول ما بدأ في قوم نوح كما جاء في تفسير الآية السابقة ، فبعد أن أرسل الله ﷻ نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى

---

(١) سورة ص ، الآية ٢٦ .

(٢) غَـلا في الدِّينِ والأَمْرِ يَغْلُو غُلُوّاً : جاوَزَ حَدَّهُ ، قال تعالى : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق" سورة النساء ، الآية : ١٧١ . انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، ج١٥ ص ١٣٢ .

(٣) سورة نوح ، الآية ٢٢ .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ، ص١١٨-١٢٧ .

عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام عاندوه ورفضوا ما جاء به ، وقابلوه بالكفر والتكذيب ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (واتخاذ المكان مسجداً هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها كما تبنى المساجد لذلك ، والمكان المتخذ مسجداً إنما يُقصد فيه عبادة الله لا دعاء المخلوقين ، فحرم ﷺ أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها كما تقصد المساجد ، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده ، فنهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله ..... ويقول : وقد استفاض عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره في صحيح البخاري وفي كتب التفسير وقصص الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ ، أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ثم صارت هذه الأوثان في قبائل العرب)[1].

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-: (اعلم -رحمك الله - أن (التوحيد) هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام ، وأرسله إلى قومه لما غلوا في الصالحين : وداً ، وسواعاً ، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً)[2].

ويقول الشيخ علي محفوظ في تعليقه على من يعتقد برفع القبور وتعظيمها : (ولا ريب في أن السبب الأعظم الذي نشأ عنه هذا الاعتقاد وهذه الغفلة هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور ، وبناء القباب ، وصنع المقاصير ، وعمل التوابيت ووضع الستور عليها ، وتزيينها بأبلغ زينة ، وتحسينها على أكمل وجه ،

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية ، ط٢ (١٣٩٦هـ) ، ص٢٢-٢٤ .

(٢) كشف الشبهات ، محمد بن عبد الوهاب ، ط٢ (القصيم : دار البخاري للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧ هـ) ص٨ .

فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر إلى القبور والستور الرائعة ، والسرج المتلألئة وقد صدعت حولها مجامير الطيب فلا ريب أنه قد يمتلئ قلب بعض من يرى ذلك تعظيماً لصاحب هذا القبر ، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الولي من منزلة ويدخله من الروع والمهابة ما يغرس في قلبه من العقائد الوهمية التي هي من أعظم مكايد الشيطان للمسلمين ، وأشد وسائله إلى إضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً ، حتى يطلب من صاحب هذا القبر ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، وهذا عين الضلال)[١].

ويورد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - كثيراً من الأدلة على تحريم رفع القبور والبناء عليها والصلاة عندها ، فيقول: (والأحاديث المصرحة بالنهي عن البناء على القبور وتشييدها وتحريم الصلاة عندها وإليها كثيرة : منها عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي : (**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**)[٢]. **وعن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه**[٣].

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله-: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث الصحيحة ، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه. قال : ولا ريب في القطع بتحريمه. ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلى أن قال : وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين أو الملوك تتعين إزالتها بهدم أو غيره ، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين .

وقال ابن القيم -رحمه الله- : يجب هدم القباب التي بنيت على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ ..... إلى أن يقول : وبالجملة فجميع ما تضمنه هذا السؤال هو من المنكرات في الدين ، ومما يغضب رب العالمين وأولياءه

---

(١) انظر : الابداع في مضار الابتداع ، علي محفوظ ، ط٥ (القاهرة : دار الاعتصام ، ١٣٧٥هـ) ص ٢١٨ .

(٢) أخرجه مسلم ، ج٢ ، ص٦٦٧ ، رقم الحديث ٩٦٩ .

(٣) أخرجه مسلم، ج٢ ، ص٦٦٧ ، رقم الحديث ٩٧٠ .

الصالحين ، ولا يرضى بذلك من في قلبه أدنى غيرة لله سبحانه)[١].

يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: (ومن أعظم مكايده -أي الشيطان- التي كاد بها أكثر الناس ، وما نجا منه إلا من لم يرد الله تعالى فتنته : ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور ، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً ، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها ، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل ، ثم جعلت أصناماً ، وعبدت مع الله تعالى)[٢].

المطلب الثاني: رده على من أباح الرقى والتمائم

الرقى والتمائم من الأمور العظام التي نهى عنها رسول الله ﷺ واعتبرها من الشرك لأنها تشرك مع الله ما لا يضر ولا ينفع ، اعتقاداً من الناس أنها تدفع عنهم شراً ، وتقرب منهم خيراً .

فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الرقى [٣] والتمائم [٤] والتولة [٥] شرك**) [٦].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١١٨-١٢٧ .

(٢) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٢٨٦-٢٨٧ .

(٣) الرقى : وهي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين (وهي إصابة العائن غيره بعينه) ومن الحمة (وهي سم العقرب وشبهها) قال ﷺ : (لا رقية إلا من عين أو حمة) . وللاستزادة انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن الوهاب ط (الرياض : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)، ص٨١ . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف المسلمين الجنة، ج١ ص١٩٩ ، رقم الحديث ٣٢٠ .

(٤) التمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم ، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام . وللاستزادة ، انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن الوهاب ، مرجع سابق، ص١٣٠ .

(٥) التولة : شيء يصنعونه ، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته . للاستزادة ، انظر: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، محمد بن عبد الوهاب ، ط١٣ (الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٤٢١هـ) ص٢٣ .

(٦) أخرجه ابن ماجه ، ج٢ ص١١٦٦ ، رقم الحديث ٣٥٣٠ . وصححه الألباني في الصحيحة، م١ ، ج٤ ص٤٠ .

وذلك يشير الى أن الرقى الموصوفة بكونها شركا هي الرقي التي فيها شِرك، من دعاء غير الله ، والاستغاثة والاستعاذة به كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك ، أما الرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستعاذة به وحده لا شريك له، فليست شركا ، بل ولا ممنوعة ، بل مستحبة أو جائزة[١] .

والرقى والتمائم من الأمور التي أنكرها سماحته -رحمه الله- لأنها من خرافات أهل الجاهلية ومعتقداتهم ، فقد نهى عنها وأنكر على من أباحها أو أجازها لأنها من البدع المستقبحة المنهي عنها شرعاً لما فيها من بعد وانحراف عن أحكام الإسلام ولأن أغلب من يبيحونها ويستخدمونها يطلبون من خلالها العون من غير الله في دفع المكروه عنهم ، وهذا من الشرك الذي قال فيه تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[٣] .

والمتمعن في هذه الآية الكريمة والمتدبر لما جاء فيها يعلم أن كل من تعلق قلبه بمخلوق ، أو موجود غير الله ﷻ فهو من الشرك الذي هو من أعظم الكبائر عند الله تبارك وتعالى ، والذي يخلد صاحبه في النار ، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعها حتى لو بلغت عنان السماء ، ولا يغفر أن يشرك به ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٤] وروي في الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ قال الله تعالى : (**يابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها**

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن الوهاب ، ١٣٤-١٣٥

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

مغفرة)[١].

والأحاديث الدالة على تحريم الرقى والتمائم كثيرة ومتنوعة منها ما جاء في الحديث عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة -أراه قال من صِفر- فقال : (**ويحك ما هذه ؟ قال من الواهنة**[٢]، **قال : أما إنها لا تزيدك إلا وهناً**)[٣].

وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط ، فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة ، وتركت هذا؟ قال : (**إن عليه تميمة**) ! فأدخل يده فقطعها ، فبايعه ، وقال : (**من علق تميمة فقد أشرك**)[٤].

وفي رسالة من سماحته -رحمه الله- إلى من استفتاه في بعض القطع المعدنية التي وجدتها الهيئة في الأسواق على شكل أهلة ونحوها ومكتوباً عليها آيات قرآنية تباع لتعلق على الأطفال كتمائم ، فأجاب سماحته بعد أن ذكر بعض أدلة علماء السلف على تحريمها وتحريم تعليقها بقوله :

الأول : عموم قوله ﷺ (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**)[٥]...

الثاني : أن تعليقها ذريعة لتعليق غيرها وسد الذرائع من مقاصد الشرع الحنيف.

الثالث : أن معلقها يدخل بها في الغالب مواضع قضاء الحاجة ، وهذا غير جائز شرعاً لما فيها من كتاب الله وأسمائه وصفاته .

---

(١) أخرجه الترمذي ، ج٥ ، ص٥٤٨ ، رقم الحديث ٣٥٤٠ . قال الترمذي : حديث غريب .

(٢) قيل أن الواهنة مرض يأخذ في العضد ، وربما علق عليها جنس من الخرز يقال لها : خرز الواهنة ، وهي تأخذ الرجال دون النساء ، وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أن تعصمه من الألم فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها . وللاستزادة انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالوهاب مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ، ج٥ ، ص٦١٦ ، رقم الحديث ١٩٤٩٨ . حديث حسن . انظر : مصباح الزجاجة ، أحمد بن اسماعيل الكناني ، تحقيق محمد الكشناوي ، ج٤ ص٧٧

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ، ج٥ ، ص١٥٦ ، رقم الحديث ، ١٦٩٦٩ . وصححه الألباني في الصحيحة، م١ ، ج٥ ص٢٦٥

(٥) سبق تخريج الحديث .

الرابع : أن التميمة اسم لما يدركه البصر على معلقها من جلود ورقاع ونحوهما لا ما كتب فيها .... فعليه يلزم منع بيعها ، واستعمال الناس لها ، ومصادرة ما يعرض منها في الأسواق)[١].

والأدلة التي ساقها الشيخ -رحمه الله- في وجوب تحريم الرقى والتمائم هي من الأدلة المرجحة على غيرها عند كثير من علماء السلف ، وإن كانت هناك بعض الآراء التي لا تشدد كثيراً في إنكار التمائم إذا كانت من القرآن ، أو فيها ذكر الله ، إذ إنه لا إنكار في المسائل الاجتهادية الخلافية ، مع أن الترجيح بتحريمها أقوى من غيرها وذلك لعدة أمور تؤيد أدلة الشيخ -رحمه الله- منها:

أولاً : عموم النهي عن التمائم ، حيث لم تفرق النصوص بينها ، ولم يوجد مخصص لبعضها دون غيره .

الثاني : سد الذريعة ، حتى لا يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك .

الثالث : أنه إذا علق ذلك ، فإنه لا بد أن يمتهنه ، بحمله في حال قضاء الحاجة والجنابة وغيرها .

الرابع : أن القرآن إنما أنزل ليكون هداية ومنهاجاً للحياة ، لا ليتخذ تمائم وحجباً وما إلى ذلك[٢].

ولقد رد -رحمه الله- على من يجيزون الرقى والتمائم من أهل الشبه لمصالحهم الشخصية بهدف المتاجرة بهذه التمائم للحصول على المال ، واستغلال سذاجة الناس وجهلهم ، واستدرار عطفهم. ففي تقرير للشيخ -رحمه الله- ذكر فيه أن القول الصحيح المنع من تعليق التمائم مطلقاً ، يقول فيه :

(هذه الحروز التي تلبس أكثرها ليس فيه إلا طلاسم ، وبعضها ليس فيه إلا أنياب السباع ، وحبوب بعض النباتات.... ولا عبرة بالذين يجيزون ذلك ويتشبثون بقول بعض أهل العلم ، ولا داعي إلى ذلك إلا الدراهم . ما ضر الدين إلا الدراهم في قديم الزمان وحديثه ، فهذا يمجد صاحب القبر ويقول فعل كذا

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٩٥-٩٨ .

(٢) موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى ، د. يوسف القرضاوي ، ص١٤٧ .

وكذا لأجل أن يأخذ الدراهم ، وهذا يصور ويأخذ دراهم . ثم هاهنا شؤم يقعون فيه وهو أنهم بعض الأحيان يتخذون مصحفاً صغيراً تميمة فيدخلون به المحال القذرة ، فيجعلون المصحف كالأمتعة، وكفى بهذا القول ضعفاً أن يكون من فروعه اتخاذ مصحف يعلق في الرقبة، وتعلقه الجنب والحائض ، والمصاحف إنما هي للتلاوة والتدبر واستشفاء أمراض القلوب والأبدان ونحو ذلك)[١].

كل هذه الأمور نهى عنها الشيخ -رحمه الله- أعظم النهي واعتبرها من الشرك الأكبر ، لأن العامل بها يسأل المنفعة والشفاء من الأمراض إلى ما هنالك من أمور ، يسألها من غير الله تعالى . وقد ورد في الصحيحين ، أن رسول الله ﷺ سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[٢].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-: (فكل من دعا غير الله ، أو عبد غير الله ، أو استغاث به ، أو نذر له ، أو ذبح أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه نداً لله سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً ، أو جنياً، أو صنماً أو غير ذلك، لأن العبادة لله وحده لا يستحقها سواه ... وقال: ومن الضلال المبين، والجهل العظيم تصديق الكهان والعرافين والرمالين والمنجمين ، والمشعوذين، والدجالين بالإخبار عن المغيبات فإن هذا منكر وشعبة من شعب الكفر، لقول النبي ﷺ : (**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**)[٣].

ولم تقتصر جهود الشيخ -رحمه الله- على إنكاره على الناس في اعتقاد الرقى والتمائم ، بل تعداها إلى إنكاره على من يعلق هذه الأوداع وغيرها في أعناق الدواب ، فقد سئل -رحمه الله- عن حكم الأوداع التي تعلق على الدواب للزينة فأجاب :

(هذه صورة شركية ممنوعة ، ونية صاحبها ليس لها حكم ، ربما يعلقها جاهل ولا يدري أنه يعتقد فيها ، وربما يعلقها معتقد ويقول زينة . فهذه الصورة

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٩٨-٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، ج٤ ، ص١٦٢٦ ، رقم الحديث ٤٢٠٧ .

(٣) أخرجه مسلم ، ج٤ ، ص١٧٥١ ، رقم الحديث ٢٢٣٠ .

ممنوعة)[١].

لقد جاء تحريم الشيخ -رحمه الله- لهذه الأوداع وما يعلق على الحيوانات منبثقاً من حديث رسول الله ﷺ الذي ثبت في الصحيحين عن أبي بشير الأنصاري -رضي الله عنه- أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً : (**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة - إلا قطعت**)[٢].

غير أن هنا مسألة خلافية بين العلماء أيضاً تتعلق بالمراد بالنهي الذي جاء به الحديث الشريف ، فكان هناك ثلاثة أقوال :

الأول : يقول أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسى ، لئلا تصيبها العين بزعمهم فأُمروا بقطعها ، إعلاماً بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً .

الثاني : النهي عن ذلك لئلا تختنق الدابة عند شدة الركض .

الثالث : أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس[٣].

يستنتج من خلال ما قدمناه أن الرقى والتمائم محرمة ولا تجوز شرعاً ، وقد وقف الشيخ -رحمه الله- بشدة ضد من يعتقد بها ، وذكر الأدلة على تحريمها من الكتاب والسنة ، وأن من يعمل ويعتقد بها عن علم فهو مشرك بالله ، وكافر بما أنزل على النبي محمد ﷺ وأن تصديق كثير من الناس لها هو خروج عن أحكام الإسلام ، إذ لا مانع إلا الله ، ولا دافع للآفات والعاهات غيره تعالى .

المطلب الثالث: رده على من أباح السفور والاختلاط

سفور المرأة واختلاطها بالرجال من المفاسد التي حاربها الشيخ -رحمه الله- بكل ما أوتي من قوة وصلابة في الدين ، مدركاً فحواها ومغزاها ، وما يحاك من خلالها من دسائس ومؤامرات ، والثمار المرجوة من وراء هذه الدسائس .

فالمتمعن اليوم لما يجري في المجتمع الإسلامي ، يدرك أن هناك مؤامرة تحاك ضد المرأة المسلمة في كل أصقاع العالم ، هذه المؤامرة التي تستهدف جرها إلى مستنقع الرذيلة والتحلل الخلقي تحت شعارات براقة مثل (حق المرأة في المساواة) و (حرية المرأة) .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ، ص١٠٠ .

(٢) أخرجه البخاري ، ج٣ ، ص١٠٩٤ ، رقم الحديث٢٨٤٣ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٦ ، ص١٤١ .

ولا يخفى على أحد أن هناك أصابع قذرة ومدربة تحيك خيوط تلك المؤامرة ، وهي أصابع تعمل في الخفاء ، وتعمل بجد وقوة مستلهمة دروسها المريضة من مذاهب واتجاهات كانت وما تزال تكيد المكائد للدين الإسلامي ، ويدمي قلبها أن يكون هذا الدين هو دين النقاء والعفة والطهارة .

ولو ذهبنا نعرف كلمة السفور في معاجم اللغة لوجدناها على النحو التالي: (سفرت) المرأة كشفت عن وجهها ، فهي (سافر)[١].

وقال ابن منظور : ومنه قولهم : (إذا ألقت المرأة نقابها قيل : سَفَرت ، فهي سافر)[٢].

من هنا كانت دعوة المرأة إلى السفور هي نبذ الحجاب ، والتخلي عنه ، هذا الحجاب الذي يعبر عن هوية المرأة المسلمة ، والذي يصون لها كرامتها ويحفظ لها عفتها وحشمتها . وهذه الدعوة هي البذرة الأولى في سبيل جر المرأة المسلمة إلى طريق الفاحشة والرذيلة .

والدرس العظيم الذي جاء به الدين الإسلامي هو مبدأ سد الذرائع ، هذا الدرس الذي استلهمه الشيخ -رحمه الله- ونادى به بقوة وعزيمة ، سداً للأبواب المفضية إلى الشر .

فالدين الإسلامي هو دين وقاية وعلاج في آن واحد ، وحينما نقول إنه دين وقاية نقصد به أن يتلافى المرض قبل وقوعه ، وخير مثال لنا القرآن الكريم ، فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٣]، إذاً هناك مقربات للزنا يمكن للإنسان إذا ما تقرب منها أن توقعه في هذه الفاحشة التي هي من أعظم الفواحش، وأقبحها ، وأشدها خطراً وضرراً وعاقبة على ضروريات الدين، ومن هذه المقربات سفور المرأة، وتبرجها ، واختلاطها بالرجال، إلى ما هنالك من أمور تفضي إلى الزنا. ورسول الله ﷺ يقول : (**ما تركت بعدي**

---

(١) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ط٤ (بيروت : شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ) ، ص١٤٨ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٤ ، ص٣٦٩ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٣٢ .

فتنة أضر على الرجال من النساء)[١].

وفي رسالة الشيخ -رحمه الله- المطولة والقيمة والتي يرد فيها على من استفتاه عن حكم كشف المرأة وجهها ويديها للرجال ، وعن معنى بعض الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن الحجاب ، وعن جواز اختلاط النساء بالرجال أجاب سماحته بعد أن ذكر الأدلة من القرآن والسنة على أن الحجاب فريضة على كل مسلمة : اختلاط الرجال بالنساء له ثلاث حالات :

الأولى – اختلاط النساء بمحارمهن من الرجال ، وهذا لا إشكال في جوازه.

الثانية- اختلاط النساء بالأجانب لغرض الفساد ، وهذا لا إشكال في تحريمه.

الثالثة - اختلاط النساء بالأجانب في دور العلم ، والحوانيت ، والمكاتب ، والمستشفيات ، والحفلات ، ونحو ذلك ، فهذا في الحقيقة قد يظن السائل في بادئ الأمر أنه لا يؤدي إلى افتتان كل واحد من النوعين بالآخر . ولكشف حقيقة هذا القسم فإنا نجيب عنه من طريق : مجمل ، ومفصل .

أما (المجمل) : فهو أن الله تعالى جبل الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف ولين ، فإذا حصل الاختلاط نشأ عن ذلك آثار تؤدي إلى حصول الغرض السيئ ، لأن النفوس أمارة بالسوء ، والهوى يعمي ويصم ، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر .

أما (المفصل) : فالشريعة مبنية على المقاصد ووسائلها ، ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه ، فالنساء مواضع قضاء وطر الرجال ، وقد سد الشارع الأبواب المفضية إلى تعلق كل فرد من أفراد النوعين بالآخر)[٢].

يقول ابن القيم -رحمه الله- في سد باب الذرائع الذي عناه الشيخ -رحمه الله- في رسالته :

وإذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسد الذرائع إلى المحرمات ، والشارع

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : النكاح ، باب : ما يتقى من شؤم المرأة ، ج٥ ص١٩٥٩ ، رقم الحديث ٤٨٠٨

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ، ص٢٥-٤٤ .

حرم الذرائع ، وإن لم يقصد بها المحرم لإفضائها إليه إذا قصد بها المحرم نفسه ، فحرم ﷺ الخلوة بالمرأة الأجنبية ، والسفر بها ، والنظر إليها بغير حاجة ، حسماً لمادة وسداً للذريعة ، ومنع النساء إذا خرجن إلى المسجد من الطيب والبخور . ولما جاءت صفية -رضي الله تعالى عنها - تزور رسول الله ﷺ وهو معتكف قام معها ليوصلها إلى بيتها فرآهما رجلان من الأنصار ، فقال النبي ﷺ : (**على رسلكما، إنها صفية بنت حيي . فقالا: سبحان الله ! يا رسول الله . فقال :(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً**)[١] ، فسد الذريعة ﷺ إلى ظنهما بإعلامهما أنها صفية[٢]، وهي إحدى زوجاته ﷺ .

فهذا التوجيه النبوي الكريم عالج ﷺ المقدمات قبل أن تفضي إلى نتائج محتملة، فالنظرة تتبعها النظرة ، والكلمة تتبعها الكلمة حتى يقع المحذور الذي نهى عنه الله ﷻ ونبيه ﷺ .

ولو أمعنا النظر في دراسة الطريق المجمل الذي عناه الشيخ -رحمه الله- ومن الفوارق بين الرجل والمرأة ، لقلنا إن هناك الكثير مما أثبته القرآن ، وأثبتته بعد ذلك المكتشفات الطبية الحديثة من فروق جوهرية بين الرجل والمرأة في الخلقة والتكوين ، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[٤].

يقول الشيخ بكر أبوزيد -حفظه الله- (قدر الله وقضى ، أن الذكر ليس كالأنثى في صفة الخلقة والهيئة والتكوين ، ففي الذكورة كمال خلقي ، وقوة طبيعية ، والأنثى أنقص منه خلقة وجبلة وطبيعة ، لما يعتريها من الحيض ، والحمل، والمخاض ، والإرضاع ، وشؤون الرضيع ، وتربية جيل الأمة المقبل ،

---

(١) أخرجه البخاري ، ج٤ ، ص٣٢٦ ، رقم الحديث ٢٠٣٥ .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي ، ط ٢ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ) ج١ ، ص٤٩٥-٤٩٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٣٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٣٤ .

ولهذا خلقت الأنثى من ضلع آدم عليه السلام ، فهي جزء منه ، تابع له ، ومتاع له، والرجل مؤتمن على القيام بشؤونها وحفظها والإنفاق عليها ، وعلى نتاجهما من الذرية ، كان من آثار هذا الاختلاف في الخلقة: الاختلاف بينهما في القوى ، والقدرات الجسدية ، والعقلية، والفكرية ، والعاطفية ، والإرادية ، وفي العمل والأداء ، والكفاية في ذلك ، إضافة إلى ما توصل إليه علماء الطب الحديث من عجائب الآثار من تفاوت الخلق بين الجنسين)[١].

أما الطريق المفصل الثاني الذي عناه سماحة الشيخ -رحمه الله- فهو طريق سد الذرائع الذي تكلمنا عنه سابقاً .

وبهذا الخصوص يبين لنا ابن قيم الجوزية -رحمه الله- ما يمكن أن يفضي إليه النظر المحرم ، يقول : (إن النظر يولد المحبة ، فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه ، ثم تقوى فتصير صبابة ينصب إليه القلب بكليته ، ثم تقوى فتصير غراماً يلزم القلب كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه ، ثم يقوى فيصير عشقاً - وهو الحب المفرط - ثم يقوى فيصير شغفاً - وهو الحب الذي قد وصل إلى شغاف القلب وداخله -..... إلى أن يقول : فيصير القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون هو عبداً له، وهذا كله جناية النظر)[٢].

وذكر الشيخ -رحمه الله- في رسالة قيمة عدداً من الأدلة الشرعية على لما يمكن أن يؤدي إليه اختلاط النساء بالرجال من معاصي ومنكرات ، مستشهداً في الدليل الأول بما جاء في سورة يوسف من آيات تبين نتيجة اختلاط امرأة عزيز مصر بيوسف -عليه السلام -، وما كان يمكن أن يؤدي إليه هذا الاختلاط ، لولا أن عصمه الله ﷻ من الوقوع في هذه الفاحشة . فيقول -رحمه الله- : (أما الأدلة من الكتاب فستة :

الدليل الأول : قال تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

---

(١) حراسة الفضيلة ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط٤ (الرياض : دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ) ص ١٦-١٧

(٢) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٩٠ .

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١] . ووجه الدلالة أنه لما حصل اختلاط بين امرأة عزيز مصر وبين يوسف عليه السلام ظهر منها ما كان كامناً فطلبت منه أن يوافقها ، ولكن أدركه الله برحمته فعصمه منها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢]، وكذلك إذا حصل اختلاط بالنساء اختار كل من النوعين من يهواه من النوع الآخر ، وبذل بعد ذلك الوسائل للحصول عليه)[٣].

يقول السيوطي -رحمه الله- في الاختلاط : (وهو ما يفعله طائفة من المنتمين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان ، من مؤاخاة النسوان الأجانب والخلوة بهن، وهذا حرام باتفاق المسلمين ، ومستحل هذا كافر ، وفاعله على طريق التهاون عاص ، ضال ، مضل ، مارق من الدين ، ومفارق لجماعة المسلمين، أبعد الله فاعله ، فإن النظر إلى النساء الأجانب والخلوة بهن وسماع كلامهن حرام على كل بالغ ما خلا ذي الرحم المحرم بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة)[٤].

وللشيخ -رحمه الله- كثير من الرسائل والفتاوى في ضرورة منع السفور واختلاط النساء بالرجال ، من ذلك رسالته إلى أمير منطقة الرياض ينبهه فيها إلى خطورة اختلاط النساء بالرجال في حديقة الحيوانات ، يقول فيها :

(فإنه اتصل بعلمي بأنه يحصل للنساء مزاحمة من بعض الرجال في (حديقة الحيوانات) في اليوم المخصص للنساء ، وأن بعض الناس يخرج إلى هناك لهذا الغرض وللنظر إلى النساء المتفرجات . وتعلمون سموكم خطر هذا الأمر على فساد الأخلاق، وقد يحدث ما بين حين وآخر من جرائها ما لا تحمد عقباه ، لذا نرجو أن يتخذ سموكم الإجراءات الإيجابية الحاسمة للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة ، والتي يظهر أثرها لدى المتحمسين للخير المنكرين لهذه الشرور

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٤ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٣٦ .

(٤) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، جلال الدين السيوطي ، ص٤٠ .

وأمثالها)[١].

وفي أحد تقارير سماحته -رحمه الله- يرد فيه على دعاة السفور الذين احتجوا بالأحاديث التي أباحت نظر الفجأة ، ونظر الخطيب إلى خطيبته ، فظنوا أنها تبيح السفور العلني على ما فيه من مفسدة كبيرة وخطر عظيم يقول :

(وهذه روجها بعض من ينتسب إلى العلم ، وإلا فهي من أوضح شيء . ولكن الهوى يعمي ويصم . وقصة صرف النبي ﷺ وجه الفضل استدلوا بها ولا دليل فيها ، إذ لا يفيد أنها كاشفة وجهها ، فإنه قد يدرك شيء مع تغطية الوجه ، خصوصاً الأعراب ، فإنهم قد لا يكملون التستر وأيضاً صرف وجهه لأجل المفسدة ، وهو ثوران الشهوة الذي يجر إلى الفاحشة ، وأيضاً من يقول : إن الرجل يصرف وجهه عنها؟ ما يحصل بل وجهه في وجهها ، ونظره في نظرها . من يقول إن الرجال متعبدين بصرف وجوههم والمرأة لها السفور ؟ ولا يمكن صرف وجوههم ، فالنظر واقع ، والمفسدة لا محالة ، فيكون فيه المنع من السفور)[٢].

وحديث صرف النبي ﷺ لوجه الفضل -رضي الله عنه-الذي ورد ذكره في تقرير الشيخ -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : (**كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها ، وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ... وذكر تمام الحديث**)[٣].

وهذا الحديث من باب سد الذرائع ، وتحسباً منه ﷺ أن يقع بعد ذلك ما هو أكثر من النظرة ، وهو كما أسلفنا علاج وقائي نبوي لمعرفته أن النفس أمارة بالسوء .

يستنتج من خلال ما قدمناه عن رد سماحته -رحمه الله- على من أباح السفور والاختلاط أنه محرم بإجماع الكتاب والسنة ، وأن هناك كثير من المفاسد والمخاطر التي تترتب على سفور المرأة وخروجها من بيتها ، واختلاطها بالرجال ، لهذا شدد -رحمه الله- على ضرورة منع المرأة من السفور والتزامها بحشمتها

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٤٦ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٤٧-٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري ج٢ ، ص٥٥١ ، رقم الحديث ١٤٤٢ .

ولباسها الإسلامي الكامل ، وعدم خروجها من بيتها إلا للضرورة ، وعدم اختلاطها بالرجال الأجانب ، وعدم سفرها إلا مع محرم سداً للذريعة ، ومنعاً للشبهة .

المطلب الرابع: رده على من أباح الاحتفالات بالموالد وذكريات الأيام

يقول الشيخ على محفوظ: الموالد : هي الاجتماعات التي تقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء ، والأصل فيها أن يتحرى الوقت الذي ولد فيه من يقصد بعمل المولد . وقد يتوسع فيها حتى تتكرر في العام الواحد ، كما يفعل للسيد أحمد البدوي وقيل أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع ، فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي ، ومولد الإمام علي -رضي الله عنه-، ومولد السيدة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-، ومولد الحسن والحسين -رضي الله عنهما -، ومولد الخليفة الحاضر ، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ، ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعدما كاد الناس ينسونها[١].

ويقول الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقاً : (مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد فنقول : إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون ، وأولهم المعز لدين لله ، توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة هجرية ، فوصل إلى ثغر الإسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان من تلك السنة فابتدعوا ستة موالد . المولد النبوي ، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ، ومولد الحسن ومولد الحسين ، ومولد الخليفة الحاضر . وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش)[٢].

---

(١) الابداع في مضار الابتداع ، علي محفوظ ، ص٢٥٥ .

(٢) أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام ، محمد بخيت المطيعي ، ط٢ (القاهرة : جمعية الأزهر العلمية للطباعة والنشر ، ١٣٥٨هـ) ص٤٤-٤٥ .

واليوم نلاحظ أن كثيراً من بلدان العالم الإسلامي ، وخاصة البلاد العربية قد جرت على عادة الاحتفال بهذه الموالد في كل عام ، وذهبت بعيداً في التفنن بها، حتى غدت أشبه ما تكون بالأعراس وغيرها ، على ما فيها من اختلاط بين النساء والرجال ، ومن الأغاني وضرب الدفوف ، إلى ما هنالك من أمور بعيدة كل البعد عما يجب أن يكون عليه من أراد تعظيم نبي ، أو إكرام ولي .

ولقد أنكر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- هذه الاحتفالات والموالد من كل الوجوه وفند مزاعم المشتغلين بها ، وأتى بالحجة الواضحة الجلية، التي تدحض حججهم ، وترد عليهم أهواءهم ، وليس لهم ما يؤيد زعمهم من بعيد أو قريب ، ولأنه لم يؤثر عن الصحابة -رضوان الله عليهم- أن احتفلوا بيوم معين يعظمون فيه الرسول ﷺ أو غيره ، وهم أعرف الناس بكتاب الله وأشدهم تمسكاً به ، وبما جاء به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وبما أنه لم يأت بها دليل شرعي ، فإنها تعد من البدع المحدثة كما وصفها -رحمه الله- في رسالته التي يرد فيها على من استفتاه في عدة مسائل ، من ضمن هذه المسائل سؤاله عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، يقول في الرسالة :

(والجواب: -الحمد لله- لم يكن الاحتفال بمولد النبي ﷺ مشروعاً ولا معروفاً لدى السلف الصالح -رضوان الله عليهم- ولم يفعلوه مع قيام المقتضى له ، وعدم المانع منه ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، فهم أحق بالخير ، وأشد محبة للرسول ﷺ ، وأبلغ تعظيماً له ، وهم الذين هاجروا معه وتركوا أوطانهم وأموالهم وأهليهم ، وجاهدوا معه حتى قتلوا دونه ، وفدوه بأنفسهم وأموالهم -رضي الله عنهم وأرضاهم- . فلما كان غير معروف لدى السلف الصالح ، ولم يفعلوه وهم القرون المفضلة دل على أنه بدعة محدثة)[1].

يقول الدكتور صالح بن سعد السحيمي في البدعة المحدثة التي عناها الشيخ -رحمه الله-: (وإنما كانت البدع مردودة على فاعلها ، لأن إحداث هذه البدعة يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة . وأن الرسول -عليه الصلاة

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٥٧ .

والسلام- لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون المبتدعون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله ، وهذا ولا شك فيه خطر عظيم واعتراض على رب العالمين)[١].

والاحتفال بالمولد النبوي ، وغيره إنما هو أيضاً من البدع الحقيقية التي لم يقم عليها دليل شرعي سواء من القرآن أو من السنة .

يقول الشيخ -رحمه الله- في نفس الرسالة السابقة بعد أن بين عدم مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي: (إذا عرف هذا فالاحتفال بالمولد بدعة محدثة مردود على فاعله ، وهو يختلف بحسب ما يعمل فيه من البدع والمحرمات ، فإن خلا من المحرمات عموماً واقتصر فيه على عمل الدعوة من طعام وشراب وطيب، ولم يحضره مردان ، ولا اختلط الرجال بالنسوان ، واعتقد فاعله أن هذا من الدين الذي يتقرب به إلى رب العالمين ، فهذا بدعة محدثة مردودة على فاعلها . وإن انضم إلى ذلك ما يفعله كثير ممن يقيمون الاحتفالات بالموالد من استعمال الأغاني وآلات الطرب وقلة احترام كتاب الله . فإنهم يجمعون في هذه الاحتفالات بينه وبين الأغاني، ويبدؤون به وقصدهم الأغاني ، ولذلك ترى بعض السامعين إذا طول القارئ القراءة يملون ويتثاقلون منه لكونه طول عليهم)[٢].

يقول الشيخ علي محفوظ في هتك الحرمات ، والشرور التي تحدث في الموالد والاحتفالات الدينية وغيرها : (ولا شبهة أنها -أي الموالد- لا تخلو من المحرمات والمكروهات ، وقد أصبحت مراتع للفسوق والفجور ، وأسواقاً تباع فيها الأعراض وتنتهك محارم الله تعالى ، وتعطل فيها بيوت العبادة ، فلا ريبة في حرمتها ، والمصلحة المقصودة منها لا يبيح المحظورات التي فيها ، ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه . (والقاعدة) : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ،وأن النبي ﷺ اكتفى بالخير مما تيسر ، وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال : (**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**)[٣]، فهو صريح في أن الشر

---

(١) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ، د. صالح بن سعد السحيمي ، ط١ (الرياض : دار ابن حزم للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ) ص٨٨ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٥٩ .

(٣) أخرجه البخاري ، ج٦ ، ص٢٦٥٨ ، رقم الحديث ٦٨٥٨ .

وإن قلّ لا يرخص في شيء منه والخير يكتفى منه بما تيسر [١].

ولقد جاء الشيخ -رحمه الله- بالأدلة الكثيرة من علماء السلف على تحريم الموالد لاشتمالها على المنكرات مثل الافتتان بالمردان ، وحضورها النساء وافتتان الرجال بهن ، إلى غير ذلك من المحرمات ، يقول -رحمه الله-: (وكذلك الافتتان بالمردان فإن الذي يغني في الاحتفالات ربما يكون شاباً لطيف الصورة حسن الهيئة فتجدهم يتثنون ويتكسرون في مشيتهم وحركاتهم ، ويرقصون ويتعانقون فتأخذهم أحوال النفوس الرديئة ، ويتمكن منهم الشيطان ، وتقوى فيهم النفس الأمارة بالسوء، والعياذ بالله من ذلك . وكذلك ما يحضره من النساء وافتتان الرجال بهن ، وتطلعهم إليهن ، وسماع أصواتهن ، وتصفيقهن ، وغير ذلك مما يكون سبباً لوقوع مفاسد عظيمة إلى غير ذلك من الفتن والمفاسد التي لا تخفى على من عرف أحوالهم)[٢].

يذكر الشيخ علي محفوظ أن من بين الأسباب التي بنى عليها القائلون بمنع الموالد :(ما اشتملت عليه من خروج النساء متبرجات مع اختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه وقوع الفاحشة ، وناهيك ما يكون من البغايا وتطلبهن الفاحشة جهاراً . ومنها استعمال الأغاني وآلات الطرب على الوجه المحرم بالإجماع ، وغير ذلك مما يفسد أخلاق الأمة ويبعث في نفوس الشبان روح العشق والميل إلى الفجور)[٣].

وينبه الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى أن الأولى الحزن في ذكرى يوم مولد النبي ﷺ في شهر ربيع الأول لأنه اليوم الذي توفي فيه ، عليه الصلاة والسلام ، يقول -رحمه الله-: (هذا مع أن الشهر الذي ولد النبي ﷺ وهو ربيع الأول هو بعينه الذي توفي فيه ، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه)[٤] .

---

(١) الابداع في مضار الابتداع ، الشيخ علي محفوظ ، ص٢٥٩-٢٦٠ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٥٩ .
(٣) الإبداع في مضار الابتداع ، علي محفوظ ، ص٢٥٥-٢٥٦ .
(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٨٠ .

المبحث الرابع

جهود الشيخ في تنظيم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الأول: مضار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

خلق الله ﷻ الإنسان ، وأمره بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وامتثال أوامره ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[١] . وعبادة الله تقتضي الالتزام التام بما أمر به ، والبعد عما نهى عنه . من هنا فإن الإنسان سيسأل أمام الله -تعالى - عن أعماله ، ومدى التزامه بما شرعه -سبحانه- له في الدنيا تحقيقاً لقوله ﷻ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٢] . وتحقيقاً لقوله ﷺ (**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم**)[٣] .

وقد أراد الله ﷻ لأمة محمد ﷺ أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، والأمة التي تتصف بهذه الميزة لاشك في أنها تحمل على عاتقها مهمة عظيمة ، ورسالة خالدة في هداية الأمم الأخرى إلى طريق الهدى ، وإلى طريق النور ، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٤] .

ويظن كثير من الناس أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الأعمال التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها لاعتقادهم أن فلاحهم يتوقف على قيامهم بالأعمال الصالحة من صلاه وصيام وزكاة وصدقة وحج ، وأما ما يفعله غيرهم فلا يضرهم ضلالهم ناسين أمر الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ بالقيام بالحسبة والنهى عن تركها.

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الحجر ، الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) أخرجه الترمذي ، ج٤ ص٦١٢ ، رقم الحديث ٢٤١٦ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

ولقد حذر القرآن الكريم والسنة النبوية من إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوعدا بأنواع من العقوبات لمن يترك ذلك الأمر ، نذكر على سبيل المثال بعضا منها:

١ - اللعن والطرد من رحمة الله : فالله ﷻ يقول في كتابه الكريم : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ ﴾ (١)

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- معلقاً على هذه الآية الكريمة: وهذا غاية في التغليظ ، إذ علل استحقاقهم اللعنة باستهانتهم بأمر الله ، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) .

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**) (٣) ثم قال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾ إلى قوله (فاسقون) (٤) .

٢ - عدم استجابة الدعاء: فعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم**) (٥)

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم**) (٦) .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ٧٨-٧٩ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص١٦٨ .

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) سورة المائدة ، الآيات : ٧٨-٨١ .

(٥) سبق تخريج الحديث

(٦) رواه ابن ماجه في سننه ، ج٢ ، ص١٣٢٧ ، رقم الحديث ٤٠٠٤ . حديث حسن ، انظر زوائد السنن على الصحيحين ، ج٧ ص٣٩١ .

٣- إهلاك الخاصة والعامة : يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : **(إن الله ﷻ لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة)** [(١)].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)** [(٢)].

٤- الإثم المشترك بين تارك الاحتساب وفاعل المنكر: ومن النصوص الدالة على ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٣)] . وقوله عليه الصلاة والسلام : (من رأى منكم منكراً فغيره بيده فقد برئ ، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ ، وذلك أضعف الإيمان) [(٤)].

لهذا فقد حرص سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم-رحمه الله- على التحذير من مضار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يجره من عواقب وخيمة على الفرد، وعلى المجتمع. ولنا كل العبرة في الأمم السابقة التي أهلكها الله ﷻ حينما تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكيف تركها أثراً بعد عين ، عبرة لمن يعتبر . ولقد جاء التحذير من عواقب ترك هذه الشعيرة على لسان الشيخ -رحمه الله- مقروناً بالأدلة القرآنية ، والأحاديث الشريفة التي ذكرتها سابقاً وغيرها من الأدلة في رسالة موجهة إلى عامة المسلمين ينصحهم فيها بالتمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله :

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ج٥ ، ص٢١٣ ، رقم الحديث ١٧٢٦٧ . حديث ضعيف ، انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ، محمد الألباني ، ج٢ ص١٠٨ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ، ج٤ ص٤٦٧ ، رقم الحديث ٢١٦٨ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان : ٦٢-٦٣ .

(٤) رواه النسائي في سننه ،، ج٨ ، ص١١٢ ، رقم الحديث ٥٠٠٩ . وصححه الألباني، في الصحيحه، ط١ (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ) ج٣ ص١٠٣٠ .

(... فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، والمهم الذي ابتعث الله له الأنبياء والمرسلين ، فلو طوي بساطه ، وأهمل علمه وعمله لفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، قال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [(١)]، فنعوذ بالله من اندراس هذا المهم العظيم ، واستيلاء المداهنة على القلوب وذهاب الغيرة الدينية)[(٢)].

والمداهنة التي عناها الشيخ -رحمه الله- في رسالته هي ما أخبر به رسول الله ﷺ في حديثه الشريف ، فعن أنس -رضي الله عنه- أنه قال : قيل يا رسول الله، متى نترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؟ قال : (**إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم . قلنا يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا ؟ قال : الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في رذالتكم**)[(٣)] .

إن انتشار الضلالة وشيوع الجهل وخراب البلاد وهلاك العباد هي بعض المضار التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- في رسالته السابقة ، كما يورد -رحمه الله- مضار أخرى لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينها في إحدى نصائحه للمسلمين بتحريم التختم بالذهب فيقول:

(... وأن يعتصموا بحبل الله جميعا في بذل الأسباب في الحصول على دواء هذا الداء العضال -التختم بالذهب- بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، من غير تقصير في ذلك ، ولا تجاوز للحد الشرعي فيما هنالك . وأن يأخذوا على سفهائهم من قبل أن يعاقبوا على ترك هذا الفرض العظيم بقسوة القلوب ، وعدم الاكتراث من معضلات المعاصي والذنوب .فإذا قام المسلمون بهذا الواجب منحهم الله في علومهم وأفهامهم ودنياهم ودينهم وآخرتهم ما يحبون. وإن أعرضوا عنه -والعياذ بالله- فانهم لا يزالون في نقص في علومهم

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٤١ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ، ص١٦٧ .

(٣) رواه ابن ماجه ، ج٢ ، ص١٣٣١ ، رقم الحديث ٤٠١٥ . حديث صحيح ، انظر : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ، شهاب الدين البوصيري ، ط١ (بيروت : دار الحنان ، ١٤٠٦هـ) ج ٢ ص٣٠٠ .

وأفهامهم ودنياهم ودينهم وسفال وتعثر في شتى مساعيهم)[١].

ولقد وقعت الأمة فيما حذر منه ﷺ فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانتشر الفساد في الأرض ، ورأى الناس المعروف منكراً حين ترك المعروف ولم يأمر به أكثر الناس ، ورأوا المنكر معروفاً لانتشاره وكثرة وقوع النظر عليه بلا نكير . وكم أمروا بالمنكر الذي ألفوه وعرفوه ، ونهوا عن المعروف الذي تركوه ، واستمروا على تركه حتى أنكروه[٢].

إن التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نظر الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- من أكبر الكبائر كما بين ذلك في إحدى نصائحه بقوله:

(ومن أكبر الكبائر وأعظم العظائم التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم القيام حولها بما يشترط ويفتقر إليه في حصوله على الوجه الذي تبرؤ به الذمة، ويحصل به المقصود)[٣].

المطلب الثاني وضع الهيكل التنظيمي لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجمع -في الأصل- بين عملين : عمل الدعوة ، وعمل التربية والتنظيم ، ويتم هذان العملان بترتيب طبيعي . فيُدعى الناس أولاً إلى دين الله ﷻ ثم يُعنى بتربية الذين يؤمنون به وتنظيمهم وعلى هذه التربية والتنظيم يتوقف نجاح الدعوة ، وإخفاقها . فإن كان التنظيم محكماً موطداً، والتربية سليمة قوية أفلحت الدعوة ، وإلا كان الفشل مصيرها المحتوم . ولذلك كان بين الدعوة والإرشاد ، وبين التنظيم والتربية صلة قوية وارتباط وثيق. فلا توجد التربية والتنظيم بدون الدعوة ، كما أن من المستحيل بلوغ الدعوة إلى غايتها المنشودة من غير تربية وتنظيم[٤].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٤ ص٨٧ .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أ. أحمد عز الدين البيانوني ، ط٢ ، (القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ) ، ص٢٨-٢٩ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٥٠ .

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، السيد جلال الدين العمري ، نقله إلى العربية : محمد أجمل الاصلاحي ، ط١ (بيروت : دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه ، ١٤٠٤) ص١٠٩-١١٠ .

ويمكن القول إنه حتى الفترة التي استرد فيها الملك عبد العزيز -رحمه الله- الرياض في عام ١٣١٩هـ لم تكن هناك جهود منظمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اللهم إلا من بعض الرجال الصالحين الذين أخذوا على عاتقهم القيام بهذه المهمة . وحين استقرت البلاد واتسع الحكم نسبياً أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله- الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ بممارسة الحسبة وزوده بأعضاء يساعدونه في مهمته [١]، وبعد وفاة الشيخ عبد العزيز-رحمه الله- كلف الملك عبد العزيز -رحمه الله- الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- الذي ظل يشغل عمله رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة نجد منذ بداية تعيينه عام ١٣٤٥هـ حتى وفاته -رحمه الله- عام ١٣٩٥هـ [٢] .

أما بالنسبة للمنطقة الغربية، فانه عقب ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ ، أُنشِئت فيه أول هيئة ، واقتضت الظروف وقتها أن تكون مستقلة عن هيئة نجد، ثم صدرت لها عدة أنظمة متتابعة ، تتلائم مع الوضع السائد هناك، كان آخرها النظام الصادر عام ١٣٥٦هـ الذي ينص على ارتباط الهيئة برئاسة القضاء، وآلت رئاسة الهيئة إلى الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ [٣]-رحمه الله-.

ومن الملاحظ أنه صيغت عدة أنظمة للهيئة في الحجاز، ولم توضع صيغة منظمة لعمل الهيئة بمنطقة نجد ، ذلك أن أعمال الاحتساب في نجد مقرة ومتعارف عليها فيما بين من يتولون أمر الاحتساب في نجد، فلم يكونوا بحاجة ماسة إلى نظام يحدد اختصاصاتهم ومهامهم، وهذا لا ينفي صدور أوامر أو تعليمات

---

(١) انظر : الحسبة في الإسلام ، عبد العزيز بن محمد بن مرشد ، ط (الرياض : مطبعة المدينة ، ١٣٩٣ هـ) ص١٩٣

(٢) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تاريخها- أعمالها ، ط١ (١٤١٩هـ) ص ١١٠

(٣) عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ : ولد في الرياض عام ١٣٢٤هـ ، شرع في طلب العلم على أخيه الشيخ محمد وعلى عميه عبد الله ومحمد وغيرهم من العلماء ، تولى رئاسة هيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية في مكة المكرمة ، له دروس في الإذاعة عن السيرة النبوية ، بينما كان يصلي ركعتي الطواف في المسجد الحرام بين المغرب والعشاء ، إذ سقط على من بجانبه فكانت وفاته عام ١٤٠٤هـ. انظر : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، ج٥ ص٣٨-٣٩ .

مكتوبة أو غير مكتوبة، لكنها بشكل عام لا تأخذ سمة النظام ولا صفته، كذاك الذي كانت تسير بمقتضاه الهيئة في الحجاز [١] .

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه لم يتم توحيد ودمج هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هيئة واحدة وتحت رئيس واحد هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ إلا في عام ١٣٩٦هـ [٢] .

وإدراكا من الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- لأهمية الهيئة ، وما يمكن أن تقوم به من مهام لخدمة الدين الإسلامي والدعوة إليه، فقد وضع لها منهجاً شرعياً ونظاماً إدارياً ، يحقق الغاية المقصودة منها ، وذلك عام ١٣٧٧هـ، حيث قسَّم هذا الجهاز إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول : المراقبون ، والقسم الثاني : الرئاسة العامة لرجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقسم الثالث : وهو قسم التنفيذ ، مع توضيح مهام كل قسم .

يتضح ذلك من قوله-رحمه الله- بعد أن نصح العلماء وولاة الأمر والمسلمين باتباع طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(ومن أهم ذلك تقسيم رجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ثلاثة أقسام :

(قسم مراقبون) : أي متجولون في الأسواق والشوارع وأنحاء البلد ، ولاسيما ما يغلب على الظن وجود المعاصي فيه . ويكون ذلك عاماً ليلاً ونهاراً حسب الإمكان ويشترط فيهم الديانة ، والأمانة ، والعلم ، والرفق حسب الإمكان ، والتثبت. ويضم إليهم جنود بقدر الكفاية . فإذا عثر واحد منهم على من يعمل أو يتكلم بالمعاصي فإنهم لا يضربونه ، بل يمسكونه حتى يأتوا به إلى مرجعهم ، وهو الرئيس العام ، أو مرجعهم المباشر إن كان ، حتى ينهيه إلى الرئيس العام بتفصيل يقرر في النظام العام .

(القسم الثاني) : جهة قضاء هي الرئاسة العامة لرجال الأمر بالمعروف

---

(١) انظر : التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية ، طامي البقمي ، مرجع سابق ، ص ١١٦-١١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٢١ .

والنهي عن المنكر ، وهي المرجع النهائي في إثبات ما يرفع إليها وعدمه . ووظيفتها إثبات ما رفع إليها وعدمه شرعاً ، وتكتب ما ثبت لديها ، وتبين عقوبته الشرعية جنساً وقدراً . وذلك في جميع عقوبات الجلد والسجن وما دون ذلك ، لا فرق بين الحدود والتعزيرات في ذلك . ثم بعد ذلك تحيله إلى (القسم الثالث) : وهو (قسم التنفيذ) ووظيفته هي التنفيذ فقط)[١] .

المطلب الثالث: الإشراف على رجال الهيئة ومتابعتهم وإرشادهم

يتضح من خلال فتاوى الشيخ -رحمه الله- ورسائله عنايته الكبيرة بالإشراف على رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومتابعتهم وإرشادهم في كل ما يقومون به من أمور الاحتساب ، فجل رسائله في هذا الجانب موجهة للمسؤولين عن الهيئات في ضرورة القيام به على أكمل وجه ، وعلى أحسن صورة ، واستعمال رجال الهيئة لأفضل الوسائل في إزالة المنكر ، فقد جاء هذا في نصيحته -رحمه الله- الجامعة في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإرشاد رجال الهيئة إلى أهم ما يحتاج إليه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من صفات، لأن المحتسب إذا عرف الصفات التي ينبغي أن يكون عليها وعمل بها، سوف ينجح عمله ويؤدي رسالته بإذن الله ﷻ، وما يحصل من ضعف أو خطأ يكون سببه غالبا الجهل، أو عدم الالتزام بالصفات التي يجب أن يتحلى بها.

ولم يكتف الشيخ -رحمه الله- ببيان تلك الصفات ، وإنما بين الآثار الناتجة عن عدم الالتزام بتلك الصفات، فيقول: (... فيحتاج في القيام فيه إلى إخلاص القصد لله تعالى ، وإلى الصبر في ذلك، وإلى أن يكون وفق ما جاء به النبي ﷺ ، فإنه إن لم يكن خالصا ، كان شركا ورياءً. وإن لم يكن بصدق مع الله وبذل لغاية الوسع ونهاية الطاقة وإسخاط جميع الخلق برضاء الله كان كذبا وبهرجا. وإن لم يكن على وفق سنة الرسول ﷺ كان بدعة واعتداء)[٢] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ١٧٢-١٧٥ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص١٧٣ .

فأول الصفات التي ذكرها الشيخ -رحمه الله-: الإخلاص، لأن الإخلاص في الأقوال والأفعال أساس قبولها وسر نجاحها. قال تعالى : ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿١٤﴾ ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٥﴾ ﴾[٢].

يقول الدكتور أحمد البيانوني في بيان علامات الإخلاص : ومن علامات الإخلاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنك إذا أمرت بالمعروف فاستجيب لك ، أن تفرح بهذا المستجيب، لا لحظ نفسك في أنك كنت آمراً مطاعاً ، بل تفرح به لأنه أطاع ربه ﷻ، وجعل الله هذا الخير على يدك .

وأنك إذا نهيت عن المنكر ، فاستجيب لك أيضاً ، أن تفرح بهذا المستجيب الذي نهيته، لأن الله تعالى أنقذه بك من معصيته.

وأنك إذا أمرت فلم تطع ونهيت فلم يستجب لك ، أن تحزن لا لحظ نفسك، بل تحزن لأن هذا العبد لم يستجب لأمر الله وأمر رسوله وبقي في معصية متعرضاً لسخط الله تعالى وعقوبته، وذلك لأن التارك طاعة من الطاعات، أو الواقع في معصية من المخالفات، كالمريض العليل، وأنت منه بمنزلة الطبيب الشفيق، والطبيب الشفيق الرحيم يفرح إذا أنقذ الله تعالى به مريضاً من علته ومنحه الشفاء على يده، وإذا لم ينجح في تشخيص العلة، ولم ينجع فيه الدواء ، حزن على عجزه وإخفاقه وبقاء المريض في علته وألمه[٣].

فالإخلاص سبب لقبول العمل ولنجاة العبد، ولذلك لما سأل الرجل النبي ﷺ فيم النجاة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**ألا تعمل بما أمرك الله به تريد الناس**)[٤].

كما أرشد الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى ضرورة التحلي بالصبر

---

(١) سورة غافر ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة البينة ، الآية ٥ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحمد عز الدين البيانوني ، ص٧٠-٧١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب : مناقب الأنصار ، باب : قول النبي- صلى الله عليه وسلم- اللهم امض لأصحابي هجرتهم ، ج٣ ، ص٧٨ ، رقم الحديث ٣٩٣٦ .

لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر غالباً ما يتعرض إلى أنواع من الأذى والابتلاء بالنفس والمال والعرض ، فهو بحاجة إلى سلاح الصبر .

يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: (ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق ، أو شتمه ، أو تعنيفه ، أو سقوط المنزلة عن قلب أمثاله ، لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا تنفك الحسبة عنه)[١] .

ويؤكد الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- على أهمية الصبر بالنسبة للمحتسب فيقول: (وعلى الآمر بالمعروف أن يستعمل أنجع الوسائل لإزالة المنكر وتغييره قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٢] . كما أن عليه أن يصبر ويحتسب إذا أوذي في الله ، أو أسمع ما يكره قال تعالى حاكياً عن لقمان في وصيته لابنه : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٣] .

والقائم في هذا الأمر ستكون له العاقبة الطيبة والذكر الجميل ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٤] . وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقوم بذلك على الغني والفقير ، والقريب والبعيد ، والشريف والوضيع ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، ففي حديث عائشة رضي الله عنها: (**إنما هلك بنو إسرائيل أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)[٥] .

ولهذا أمر الله الرسل -وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- بالصبر كقوله لخاتم الرسل ﷺ ، بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة . فان أول ما أرسل، أنزلت عليه سورة (يا أيها المدثر) بعد أن أنزلت عليه سورة (اقرأ) التي

---

(١) إحياء علوم الدين ، أبي حامد الغزالي ، ط (دار الفكر) ، المجلد الثالث ، ج٧ ، ص٣٣ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة لقمان ، الآية : ١٧ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٨ .

(٥) فتاوى الشيخ ورسائله ج٦ ص١٧١ ، والحديث أخرجه البخاري ، ج٢ ، ص١٥٦٦ ، رقم الحديث ٤٠٥٣ .

بها نبئ . فقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝ ﴾ (١) .

وثالث تلك الصفات التي أرشد إليها الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق ما جاء به النبي ﷺ ، فالله ﷻ لا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة ، وهي الشريعة ، وهي ما أمر الله به ورسوله ﷺ ، لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنونا مشروعا قد أمر الله به : يكون بدعة (وكل بدعة ضلالة) (٢) ليس بما يحبه الله فلا يقبله الله ، ولا يصلح . مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب.

يقول الفضيل بن عياض -رحمه الله- في تفسير قوله -تعالى- : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ ﴾ (٣): (هو أخلصه وأصوبه . فقيل : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً : لم يقبل ، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً : لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص: أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة) (٤) .

كما أرشد الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى العديد من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها رجال الهيئة كالتثبت والعدل وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم، فيقول:

(وعلى أقسام رجال الهيئة الثلاثة تقوى الله تعالى ، ومراقبته : بالتثبت ، وأخذ الأمور بوجوهها الشرعية ، وأن لا يقصروا في أمر الله ﷻ ، وليحذروا المداهنة والمحاباة . وليعلم أن على (والي الحسبة) وهو رئيس رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القيام بالأمر بما أوجب الله ، وإنكار جميع المنكرات ، وعقوبة فاعلها. ولا يتوقف ذلك على دعوى ومدعى عليه ، فإن ذلك من المنكرات التيَ يجب على ولي الأمر إنكارها والنهي عنها . ووالي الحسبة بمنزلة

---

(١) سورة المدثر ، الآيات : من ١-٧ . وللاستزادة انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ابن تيمية، تحقيق : د. محمد السيد الجليد ، ص٤٠ .

(٢) أخرجه مسلم ، ج٢ ، ص٥٩٢ ، رقم الحديث ٨٦٧ .

(٣) سورة الملك ، جزء من الآية (٢) .

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ابن تيمية ، ص٧٧-٧٨

الأمير المطاع ، والمطلوب منه العدل ، مثل الأمير والحاكم)[١].

وكان -رحمه الله- يتحرى العدل والإنصاف في المعاملات المرفوعة إليه من الهيئة سواء في المعاملات التي تتعلق بالأفراد أو غيرها ، فكان يتمعن فيها كثيراً ، ولم يكن يصدر أمراً أو حكماً إلا بعد دراسة وافية ومستفيضة لهذا الأمر ، ففي رسالة منه -رحمه الله- موجهة إلى رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف في الحجاز بخصوص سب أحد الأشخاص للدين ، ذكر سماحته بعد الإطلاع على هذه المعاملة أن هذا الشخص لا يتوجب عليه إقامة حد الردة ، يقول في الرسالة : (ونفيدكم أننا باطلاعنا على أوراق المعاملة ، وعلى كتابة فضيلة رئيس المحكمة لم يظهر لنا ما يوجب على .... إقامة حد الردة ، إذ أنه لم يصرح بسب الإسلام ، وإنما سب دين ذلك الرجل ، وهذا يحتمل أنه أراد أن تدين الرجل رديء ، والحدود تدرأ بالشبهات ، وبهذا تكون إحالة المذكور إلى قاضي المستعجلة لتقرير التعزير اللازم عليه وجيهاً . أما سجنه فإنه يكتفي بما مضى له من السجن)[٢].

وفي رسالة من سماحته -رحمه الله- إلى الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة نجد ، حث فيها رجال الحسبة على ملاحظة المتخلفين عن صلاة الجمعة بانشغالهم في مراقبة من تقام عليهم الحدود والتعزيرات من على سطوح منازلهم بعد صلاة الجمعة ، يقول فيها :

(فقد لوحظ أن كثيراً من المكلفين يجلسون في الصفاة يوم الجمعة ، وبعضهم على سطوح الدكاكين والعمائر المحيطة بها استعداداً للتفرج بعد الصلاة على الذين تقام عليهم الحدود والتعزيرات ، ولا يصلون الجمعة ، وأن ذلك قد كان منذ زمن طويل ولا يزال في ازدياد . فرأينا لفت نظر فضيلتكم إلى هذا المنكر الظاهر لإزالته، وجعل عدد من النواب يراقبونه ويكافحون وجوده)[٣].

ومن توجيهاته -رحمه الله- إلى رجال الحسبة ، رسالته إلى رئيس هيئات الأمر بالمعروف بالحجاز التي يرد فيها على استفتائه فيما يعمل بأواني الخمور بعد

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص١٧٥ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٢ ص١٨٦-١٨٧ .
(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص٦ .

مصادرتها، قال : (ونفيدكم بأن تكسير وإتلاف أواني الخمور غير متعين ، وإنما هو مسنون ، لما فيه من الغلظة على أهل الشر ، إذ قد أمر ﷺ بكسر دنان الخمر وشق ظروفها ، كما أمر ﷺ يوم خيبر بكسر القدور التي طبخ فيها لحم الحمر الأهلية ، ثم استأذنوه في غسلها فأذن لهم ، فدل على جواز الأمرين : الكسر ، وعدمه ، حيث إن العقوبة لم تكن واجبة بالكسر .

وعليه فما دام ولاة الأمر رأوا المصلحة العامة تقتضي بيع هذه الأواني وإدخالها بيت المال فلا بأس بذلك ، بشرط أن يكون متولي إراقة تلك المسكرات وإتلافها جهة شرعية)[١].

كما وجه الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الغربية إلى وجوب الانتباه لما تفعله بعض القبائل من منكرات وأعمال منافية لتعاليم الدين الإسلامي وذلك في ليلة النصف من شعبان في كل عام ، فيقول -رحمه الله-: (غير خاف ما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأهمية ، وان هذا الاجتماع منكر لما اشتمل عليه من المحرمات التي يفعلونها فيه ، وأعظمها الذبح لغير الله . ووجود هذا مدة طويلة يدل على جهل عظيم ممن يفعل ذلك، وعدم انتباه واهتمام من المعنيين في تلك الجهة . والواجب عليهم هو التعاون على البر والتقوى ، والعمل بقوله ﷺ : (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان**)[٢]. وهذا منكر عظيم يتكرر كل سنة ولا تبلغ الجهات المسؤولة به.

وقولهم : إنهم تركوه . هذا لا يكفي، بل الواجب أن الجهات المسؤولة هناك ، من قاض وأمير وأعضاء هيئة ،عليهم أن يتعاونوا فيما بينهم كل بحسبه في حسم هذه الآفة حسما مستمرا)[٣].

---

(١) المرجع السابق ، ج٦ ص١٨٧ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ، كتاب : الإيمان ، باب : كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان . ط٢ (بيروت : دار الفكر ١٣٩٢هـ) ج٢ ، ص٣٨٠ ، رقم الحديث ٤٩ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٢٥١ .

وقد حرص الشيخ -رحمه الله- على متابعة أعمال الهيئة ، والتأكد من إنجازها، وهناك العديد من الأمثلة الدالة على ذلك ، منها رسالته الموجهة إلى الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الغربية ، لمتابعة إزالة البناء الذي أقيم على قبر أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- وترميمات القبور المجاورة لها، جاء في الرسالة :

(تبلغنا بصورة الخطاب المرفوع من فضيلتكم إلى أمين العاصمة برقم ... وتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٣٨٥هـ بشأن البناء الذي أقيم على قبر أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-، وبعض القبور المجاورة له . وعمل هذا عمل طيب فيه ردع لكل من تسول له نفسه الإخلال بالشرع وعدم الوقوف عند نواهيه .

نأمل إفادتنا سريعا بمضمون رد أمانة العاصمة . وهل أزيل البناء أم لا . هذا والله يحفظكم)[1].

يتبين من خلال ما قدمناه الأضرار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي هو الأساس المتين الذي تقوم عليه أمة النبي محمد ﷺ الموكل إليها أمر هداية الأمم الأخرى إلى طريق الحق والصلاح ، فقد اعتبر الشيخ -رحمه الله- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القطب الأعظم في الدين ، والمهم الذي ابتعث الله تبارك وتعالى له الأنبياء والرسل .

ثم تبين لنا جهود الشيخ -رحمه الله- في وضع الهيكل التنظيمي لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي جهود عظيمة وجليلة لم نحدها بمثال ، لأنها جهود كثيرة ومتنوعة ، وإنما ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر . وتبين لنا بعد ذلك جهوده-رحمه الله- في وضع هذا التنظيم و إشرافه الدقيق والمستمر لرجال الهيئة من خلال متابعتهم في أعمالهم ، وإرشادهم إلى الطريق السليم في تأدية هذه المهمة التي يقومون به .

---

(١) المرجع السابق ، ج١ ص١٣٦ .

المبحث الخامس

في تشجيع المحتسبين وإعانتهم والدفاع عنهم

المطلب الأول: مكانة المحتسب في الإسلام

الدعوة إلى الله تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا عائد إلى شمول الدعوة الإسلامية لكل الدين ، أصوله وفروعه العلمية والعملية .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين التي يلزم الدعوة إليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- موضحاً العلاقة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة :

(وقد تبين بذلك أن الدعوة نفسها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، فإن الداعي طالب مستدع مقتضي لما دعا إليه ، وذلك هو الأمر به ، إذ الأمر هو طلب الفعل المأمور به ، واستدعاء له وادعاء إليه ، فالدعاء إلى الله الدعاء إلى سبيله ، فهو أمر بسبيله ، وسبيله تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر)[١].

وقد بين شيخ الإسلام -رحمه الله- أن الحسبة والدعوة في الحكم سواء ، لذا نجده لما تكلم عن حكم الدعوة قال : (وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ثم قال عنهما : (وقد تبين أنهما واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين ، وجوب فرض الكفاية لا وجوب فرض الأعيان)[٢].

ومتى ما تمسك المسلمون بهذه الفريضة وقاموا بأدائها على الوجه المطلوب منهم شرعاً فإنهم سينالون خيراً كثيراً في الدنيا ، وأجراً كريماً في الآخرة .

ولو استعرضنا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في تكريمهما للدعاة وفي الرفع من منزلتهم لوجدناها أكثر من أن تحصى ، فمنها على سبيل

---

(١) فتاوى ابن تيمية ، ج١٥ ، ص١٦٦-١٦٧ .

(٢) التفسير الكبير للإمام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة : ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ) ج٥ ص١٠٩ .

المثال:

١- الدعاة هم خير الناس : قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [١]. قال الإمام القرطبي-رحمه الله- في هذه الآية: (قيل هم أمة محمد ﷺ يعني الصالحين منهم وأهل الفضل ، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة) [٢].

٢- الدعاة ورثة الأنبياء: قال رسول الله ﷺ :(العلماء ورثة الأنبياء ....)[٣].

٣- الدعاة هم المنصورون: قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤].

٤- الدعاة هم المصلحون : قال تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٥]. يقول ابن كثير -رحمه الله- في قوله تعالى: (من أهل الكتاب أمة قائمة) أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه ، متبعة نبي الله ، فهي قائمة يعني مستقيمة)[٦].

٥- الدعاة جزء من الأمة التي قال فيها تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [٧].

٦-الدعاة هم المفلحون في الدنيا والآخرة : قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : عبد العليم البردوني ، ط٢ (القاهرة : دار الشعب ، ١٣٧٢هـ) ج ٤ ص١٧٠ .

(٣) سبق تخريج الحديث .

(٤) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآيتان : ١١٣-١١٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ، ج١ ص٥٢٧ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]. جاء في تفسير الجلالين: (أولئك الداعون الآمرون الناهون ، وهم المفلحون الفائزون)[٢].

٧- الدعاة هم الناصحون للناس : (قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[٣] .

٨- الدعاة أحسن الناس حديثاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤]. يقول ابن كثير -رحمه الله- في هذه الآية: (أي دعا عباد الرحمن إليه (وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير، ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد)[٥].

٩-استغفار أهل السماء والأرض للداعي لحديث رسول الله ﷺ حيث قال: **(إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)**[٦].

١٠ - الدعاة مجابوا الدعاء لقوله ﷺ : (**مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)**[٧].

من خلال هذه المكانة العظيمة التي أعطاها الإسلام للدعاة نتبين عظمة وسمو هذا الدين الذي تفرد عن غيره من الديانات الأخرى بتكريمه وتعظيمه لمن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤ .

(٢) تفسير الجلالين ، محمد بن أحمد ، وعبد الرحمن بن أبي بكر المحلي ، والسيوطي ، ط (القاهرة : دار الحديث) ج١ ص٨١

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٦٢ .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

(٥) تفسير ابن كثير ، ج٤ ص١٠١ .

(٦) أخرجه الترمذي ، ج٥ ، ص٥٠ رقم الحديث ٢٦٨٥ . وصححه الألباني في سنن الترمذي ، أبواب العلم ، ج٢ ص٣٤٣ ، رقم الحديث ٢١٦١ .

(٧) سبق تخريج الحديث .

يقومون بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي هذا حكمة عظيمة تجلت في أن الإسلام قد اهتم بالفرد وبالأمة ككل . فاهتمامه بالفرد تمهيداً وتهييئاً له لأن يكون عضواً فعالاً في هذه الأمة ، ومتى ما تكونت الأمة من أفراد مؤمنين أقوياء في إيمانهم ، أقوياء في دعوتهم كانوا بمثابة الأساس القوي الذي تقوم عليه الأمة .

من هنا ندرك لماذا كانت الدعوة إلى الإسلام أولها دعوة فردية تنتقل من شخص إلى آخر سراً حتى إذا ما تكونت مجموعة من أفراد مؤمنين بها حق الإيمان راسخة في قلوبهم وعقولهم حق الرسوخ انطلقوا بها إلى الملأ وجهروا بها كما أمرهم الله سبحانه وتعالى .

لذلك فإن تكريم الإسلام للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إنما هو تكريم واهتمام للفرد وللأمة بنفس الوقت ، انطلق من رؤية موضوعية تخدم مصالح الناس في الدنيا وفي الآخرة لأن الداعي حينما يعتبر هداية الناس مسؤولية ألقاها الله ﷻ على عاتقه وأنه سوف يحاسب إذا أهملها ، سيعمل جاهداً للقيام بها كما أمر وسيناضل من أجلها ويتحمل المشاق والمصاعب حتى تستوي عنده حالة الشدة والرخاء ،ما دام ما يحمله من رسالة ستكون نتيجتها هداية الناس إلى الطريق الصحيح .

المطلب الثاني : مساندة المسؤولين للمحتسبين

لا أحد يمكن أن يقدر ما يلاقيه الداعي إلى الله تعالى من مصاعب ومتاعب إلا من قام بهذه المتاعب ، وذاق مشاقها ، وتحمل الأذى من أجلها . لذلك فحينما يقف الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى جانب المحتسبين ويساندهم ، ويشد من أزرهم فإنما يفعل هذا لعلمه أن مهمة الدعوة ليست عملاً سهلاً يمكن لأي أحد القيام به ، ولعلمه -رحمه الله- أهمية مساندة هؤلاء المحتسبين وما هم بحاجة إليه من وقوف أولي الأمر من الحكام والعلماء وغيرهم إلى جانبهم ، فهذا من شأنه أن يذلل الصعاب التي تعتريهم ، ويمكنهم من التغلب على العوائق التي تعترضهم . فالمحتسب غالباً ما يتعرض للأذى ، ويوصف بالنعوت والألفاظ المختلفة ، ويحرم في عمله طيب العيش وراحة البال ، فطريقه الذي يسير فيه طريق

مستقيم لكنه مزروعٌ بالأشواك والأكداء ، محفوف بالمكاره والأذى .

فالمحتسب الذي هجر دفء فراشه في الليالي الباردة ليقوم ويأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وهمه إقامة شرع الله وهداية الناس ، وعرض نفسه للأذى والشرور ، وترك حياة الترف واللهو ليعيش عيشة الزهاد الطامعين بمغفرة الله ورضوانه . هذا الإنسان هو أولى الناس بالرعاية والمساندة ، وهو أحقهم بالاحترام والتقدير .

ولأجل هذا فقد أفتى كثير من العلماء الأجلاء بأن من يسيء الأدب أو يكره الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يعتبر عاصياً وفعله محرم . من ذلك الاستفتاء الموجه إلى الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- عن حكم من يكره الآمر بالمعروف هل يدخل في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾[1]. فأجاب بقوله: (هذا المراد به الكارهون لمن يدعوهم إلى أصل الدين، ولكن الذي يكره الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر قد عصى وفعل محرماً ، فإن الواجب إعانتهم وشكرهم على أمرهم ونهيهم ، والرغبة في فعلهم وهذا عكس القضية)[2] .

والشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- كان بالنسبة للقائمين بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالأب الذي يخشى على أولاده من المكروه ، فكان دائم المساعدة والمساندة لهم ، دائم التوجيه والإرشاد يغضب لغضبهم ، ويسره ما يسرهم لأن غضبهم من غضب الله ولأن فرحهم من رضا الله .

وكان -رحمه الله- دائم الاتصال بأولي الأمر بخصوص ما يلاقونه في مهنتهم من عقبات أو مشكلات. من ذلك رسالته إلى سموزير الداخلية يطلب منه حماية الدعاة من المغرضين والمبغضين للخير الذين وشوا ببعض رجال الحسبة عند المسئولين مما ترتب عليه حبسهم لعدة أيام . يقول -رحمه الله- في الرسالة :

(والحقيقة -سلمك الله- التي أحب أن يفهمها سموكم من كتابي هذا أنني

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٢ .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، عبد الرحمن السعدي ، ج٧ ، ص١٩٣ .

لا أقصد تخطئتكم فيما اتخذتموه بحق المذكورين مما تقصدون به صلاح الرعية والتأديب الرامي إلى ذلك ، وليس دفاعاً عما ينال أبدان المذكورين . ولكن الأمر الذي دعاني إلى كتابة خطابي هذا هو أن مركز المذكورين مركز خير ونصح ، وأنهم مشهود لهم بالخير ، وصدق الولاء لولاة أمورهم ، والسمع والطاعة ، ولهم أعداء على ذلك من المغرضين الذين يبغضون الخير وأهله . فالتشديد على أولئك الأخيار الذين حصل ما حصل منهم بدافع الغيرة ومحبة إصلاح مجتمعهم وبلادهم سينشأ عنه إضعاف مركزهم الديني ، وإفساح المجال لأهل الشر بالتطاول وعدم المبالاة بهم وما ينتمون إليه ، ولذا أرى -حفظك الله- أن يكتفي بسجنهم عشرة أيام . وما أنا إلا مشير وناصح لما سمعت بما حصل ، وأن كبار أهل البلد والمؤيدين للخير وأهله قد تأثروا مما حصل على المذكورين ، فأرجوا أن تقبلوا نصيحتي هذه التي قصدت بها المصلحة العامة ، وإعزاز جانب أهل الخير الذي أنتم تهدفون إليه)[1].

كما كان الشيخ -رحمه الله- يدافع عن أهل الحسبة أمام المسئولين ، ويستجدي الإعانة لهم ، ويبين موقفهم ، ويفند حجج المغرضين ، ويرد عليهم بما هم أهل له لعلمه -رحمه الله- ومعرفته الراسخة بأن أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم أهل الخير والصلاح ، ومقصدهم في نهاية الأمر إنما هو الخير وبيان الحق وليس لهم هدف آخر .

والشيخ -رحمه الله- يدرك أنه أحياناً قد تقع من رجال الحسبة بعض الأخطاء أو الأغلاط غير المقصودة ، غير أن هذا لا يسوغ عزلهم من مهنتهم إلا إذا كان البديل عنهم من هو خير منهم . لذلك جاء في رسالته إلى أحد المسؤولين أن لا يقوم بتصديق كل ما يقال في حق رجال الحسبة إلا بعد والتروي ، فربما يكون الكلام فيهم من واشٍ لغرض في نفسه أو كره أو ضغينة . يقول -رحمه الله- في الرسالة :

(فقد اطلعت على خطابكم ، وأحطت علماً بما ذكرتم . وما أشرتم إليه من

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص١٨١-١٨٢ .

طرف القاضي ... فأفيدكم أننا ما عرفنا منه تغرضاً ، ولا نعلم فيه إلا الخير ، وهذا الذي نعرفه عنه . والتشويش من المعلوم كما ذكرتم لا خير فيه ، ولكن هنا شيء الظاهر أنه يقضي على أسباب الشر -وهو أنكم إذا سمعتم مثل هذا فليكن أكبر همكم تألف من شهروا بالخير والاستقامة ، والسعي في تثبيت أقدام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. ولا سيما من اشتهر عند الخاصة والعامة أنهم أنسب وأحسن من غيرهم . وإذا وجد من أمثال هؤلاء نقص أو غلط فلا يسوغ شرعاً أن يسعى في عزلهم إلا بإبدالهم بمن يعرف الخاصة والعامة أنه أصلح منهم ، فمن تكلم فيهم على حد ما وصفتم تحقق أنه مريد خيراً . وأما من تكلم فيهم وذكر شيئاً من نقصهم ولم يعرج على إرادة التماس من هو خير منهم بشهادة الخاصة والعامة فهذا لا يقبل منه ، ولا يكون معذوراً بل يكون ملوماً ومتهماً بفساد القصد والدوران حول غرضه الشخصي لا غير)[1].

المطلب الثالث : إعزاز جانب المحتسبين وحمايتهم من أهل الشر والفساد

دأب الشيخ -رحمه الله- على مساندة المحتسبين لدى أولي الأمر و إعزاز جانبهم وتقوية شوكتهم ، ونصرتهم في أعمالهم وحمايتهم من أهل الشر والفساد فكان -رحمه الله- يقف بصلابة ضد من يقدح فيهم أو يحاول النيل منهم . كيف لا وهم حماة الإسلام وسياجه المنيع والعين الساهرة على مصلحة الأمة وكيانها وهويتها، وهم ممن قال فيهم رسول الله ﷺ فيما يروى عن ثوبان -رضي الله عنه -: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2].

فمن مظاهر التكريم التي أولاها الشيخ -رحمه الله- لرجال الحسبة أنه قدم شهادتهم في القضايا الأخلاقية وغيرها على شهادة رجال الشرطة . وقد بين سماحته الفرق بين الشهادتين بقوله: (وعليه نشعر سموكم أنه من المعلوم أن

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٨٠-١٨١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، ج٣ ص١٥٢٣ ، رقم الحديث ١٩٢٠ .

الشرطة ليست جهة دينية تقوم بما تقوم به غيرة وحسبة . كما أنه من المعلوم أيضاً أن رجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجهة الدينية المختصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنهم إنما يقومون بما يقومون به من واجبهم غيرة لله وانتهاك حرماته أو تعطيل شيء من شرائعه .

وقد ذكر الفقهاء أن دعوى الحسبة في حق الله تسمع ، وأن شهادة المدعي فيه تقبل ، لأنه لا يجر إلى نفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ، بخلاف رجال الشرطة فإنهم إنما يتولون بعض هذه الأشياء بصفة الجندية وحفظ الأمن ، وقد يكون ذلك في انتظار المكافآت التي يتقاضونها في مقابل اكتشاف الجرائم ، وهم بهذا قد يجرون بشهادتهم إلى أنفسهم حظاً مادياً ، وحينئذ فهم كغيرهم من الشهود الذين لا بد من تزكيتهم وسماع الطعن في شهادتهم)[١] .

ومن دلائل مساندته -رحمه الله- لرجال الحسبة ومؤازرته لهم رسالته إلى أحد المسؤولين والتي أعرب فيها عن عظيم غضبه وحزنه لما جرى لأحد القضاة الدعاة الآمرين بالمعروف ، وتعرضه للضرب والإهانة على يد أحد الأشخاص. يقول -رحمه الله- في الرسالة: (فقد وصلني خطابكم رقم ... وتاريخ .... واطلعت على ما فيه من ذكر الحادث الذي حصل عليكم . وهذه في الحقيقة مصيبة علينا وعلى الدين ، وإني في غاية التكدر ، وإن كان هذا الأمر -كما ذكرتم- كرامة في حقكم ومنقبة ، ولكن غيرة للموقف الديني العلمي أقلقني ذلك وأضجرني وأرقني ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وأنا من حين وصلني الخبر أبرقت لجلالة الملك ولولي العهد وأسأل الله بأسمائه وصفاته أن ينشط ولاتنا في الحق ، ويقمع بهم أهل الفساد والشر، إنه على كل شيء قدير)[٢]

ومن مظاهر إعزازه -رحمه الله- لجانب المحتسبين وحمايتهم من أهل الشر والفساد رسالته إلى سمو ولي العهد بخصوص ما قام به أحد الأشخاص بالإجتراء على شخص أحد القضاة . يقول فيها :

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٣٦-٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ج٦ ص١٨٢ .

(وحيث إننا نعرف عنكم تعضيد الشرع ورجاله ، ونعهد فيكم الغيرة الإسلامية ، والاهتمام التام بكل ما من شأنه رفع قيمة القضاء وحماية الشريعة وتعزيز حملة العلم ورجال الشرع ، إذ غير خاف على سموكم الكريم أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى الإجراءات الرادعة التي توقف كل متهور عند حده ، وتحفظ للقضاء هيبته ، وتكون فيها أعظم عظة لكل من تسول له نفسه العبث والاستهانة بالشرع ، وإشاعة الفوضى . وحكومتكم التي دأبت على إقامة الشرع وتعزيز رجاله وإنفاذ أوامره وقطع دابر كل ما ينتج عنه اضطراب الأمن وبث الفوضى والاستهتار بكل القيم الروحية ، هذه الحكومة التي درجت على العدل ورفع شأنه قمينة بالضرب على أيدي أمثال هذا الرجل الذي أهان القاضي في مجلس الحكم ، وأهان الدولة والشرع)[1] .

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٣٤١ .


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الثالث

آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله - في الدعوة والاحتساب وأوجه الاستفادة منها

المبحث الأول: آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في الدعوة.

المبحث الثاني: آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم – رحمه الله – في الاحتساب.

المبحث الثالث: أوجه الاستفادة من جهود الشيخ محمـــد بن إبراهيم – رحمه الله – في الدعوة والاحتساب.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول

جهود الشيخ محمد بن إبراهيم في الدعوة

توطئـــة

لو حاولنا إجمال آثار جهود الشيخ -رحمه الله- في الدعوة لضاق المجال عن الإحاطة بها ، فقد كان سماحته سباقاً في الدعوة إلى الله مستخدماً كل الوسائل لإيصال رسالة الدعوة الكريمة وإيضاحها وتبيانها للناس جميعاً . كما يمكن استخلاص هذا المنهج القويم والصحيح الذي انتهجه -رحمه الله- في الدعوة ، والذي سار فيه على هدي الكتاب والسنة .

ويمكن إيضاح أهم آثاره -رحمه الله- في الدعوة من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: إصلاح الأمة المرهون بإصلاح عقيدتها

العقيدة من أهم الأمور التي يدين بها الإنسان ربه ، وهي البناء الذي يبنى فوقها الدين ومن أجل هذه المكانة العظيمة للعقيدة فقد أولاها الله ﷻ المكانة الأولى والأهم في كتابه العزيز ، وخصوصاً في الفترة المكية ، وهي فترة تربية النفوس على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يمكن من خلالها للمربي أن يستخلص العبر العظيمة والدروس المهمة في تربيته للعقيدة عند الناس ، وهي بلا شك تحتاج إلى وقت طويل ، وجهد متواصل حتى يتسنى تغلغلها في النفوس وتمكينها من القلوب . يقول تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[1] .

هذا المكث الذي عناه الله ﷻ إنما كان لحكمته-تعالى- في تربية الصحب الكرام على فترات متزامنة مع تنزيل الآيات ، لذلك فحينما استقرت هذه العقيدة في النفوس جاء البيان الإلهي معبراً عن نتيجة هذه التربية بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٦ .

﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴿١٥﴾ ﴾ (١).

والعقيدة هي الإيمان بأركانه الستة ، لحديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : (**قال فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**) (٢).

ولقد كانت فاتحة دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- إلى أقوامهم جميعاً هي دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، يقول تعالى على لسان أنبيائه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣).

وبسبب أهمية العقيدة في حياة الإنسان فقد أولاها رسول الله ﷺ أيضاً مكان الصدارة في سنته المطهرة ، ومكث في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو الناس إليها حيث كان يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة الأصنام ، وذلك قبل أن يأمرهم بالصلاة والصوم والزكاة والحج . وحينما بعث ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له :(**إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله . فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس**) (٤).

والعقيدة أساس الشريعة ، والشريعة لا تقوم بدون العقيدة ، والشريعة التي تبنى على عقيدة مهزوزة هي شريعة مبتورة ولا يمكن لها أن تستمر بالشكل الذي أريد لها ، فبناء العقيدة الصحيحة الراسخة هو الركن المهم الذي تنبني عليه الشريعة بعد ذلك .

من هنا يمكن القول إن العقيدة والشريعة أمران متلازمان ومقترنان لا يمكن الفصل بينهما ، لهذا فقد عُني القرآن الكريم أشد العناية ببناء عقيدة الإنسان

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٥ .

(٢) أخرجه مسلم ، ج١ ص٣٦ ، رقم الحديث ٨ .

(٣) سورة هود ، الآية : ٥٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : الزكاة ، باب : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، ج ٢ ص٥٢٩ ، رقم الحديث ١٣٨٩ .

بناءاً يتناسب مع الحياة السليمة والصحيحة التي أرادها له خالقه ﷻ . ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم إلا وفيها إشارة إلى أهمية العقيدة في حياة الإنسان ، تلك العقيدة التي يبنى عليها الدين والذي لا يقوم بدونها .

وصلاح الأمة مشروط ومرهون بإصلاح عقيدتها وبإصلاح مفاهيمها ، وإعداد هذه العقيدة ، وهذه المفاهيم على المنهج الرباني متمثلاً بالكتاب والسنة اللذين هما المنبع الصافي الذي تستقي منه العقيدة ، والذي تستحيل سعادة البشر ما لم تكن هذه العقيدة نابعة من خلاله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (لا بد للنفوس من غاية مطلوبة بها سكينتها واطمئنانها ، فإن الإنسان خلق محتاجاً إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ، ونفسه مريدة دائماً ، ولا بد لها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن وتطمئن به ، وليس ذلك إلا لله وحده ، فلا تطمئن القلوب إلا به ، ولا تسكن النفوس إلا إليه يقول تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني . ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله)[2].

وكلما زاد تمسك أفراد الأمة الإسلامية بالعقيدة السليمة ، اشتد عود هذه الأمة وقوي سلطانها . وكلما زاد استقرار هذه العقيدة في النفوس أصبحت مستعدة ومهيأة للتلقي وتنفيذ ما أوكل إليها من أعمال وواجبات ، ولذلك نجد القرآن في أغلب سوره يربط بين العقيدة والتشريع في كل آياته ، فمثلاً قوله تعالى في مسائل التحريم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾[3]. فربط تحريم الربا بالإيمان.

وانطلاقاً من هذا فقد أيقن الشيخ -رحمه الله- الأهمية الكبرى للعقيدة في

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

(٢) منهج شيخ الإسلام إبن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى ، د. عبد الله بن رشيد الحوشاني ، ط١ (الرياض: دار اشبيليا ، ١٤١٧هـ) ج١ ص٣٨٩-٣٩٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٨ .

حياة الإنسان عامة والمسلم خاصة وما يمكن أن ينتج من أثر إيجابي عظيم سواء في علاقته مع خالقه ﷻ أو مع الناس إذا ما بُنيت هذه العقيدة بناءاً راسخاً لا يتزعزع .

وقد أدرك الشيخ -رحمه الله- الجهود الكبيرة التي يبذلها أعداء الإسلام من زنادقة وملحدين في سبيل إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية الصافية ، ونجحوا في جر بعض أصحاب النفوس الضعيفة إلى مستنقعاتهم الوخمة ، فشاب عقائد تلك النفوس الكثير من الشوائب ، وانصرفت عن النهج القويم والصحيح، فهبّ -رحمه الله- بقوة وصلابة في وجه أعداء العقيدة الإسلامية يبذل الجهود الحثيثة في سبيل إرجاع المسلمين إلى الإسلام الصحيح مكرساً نفسه وحياته لهذا الهدف. يقول -رحمه الله- في رسالة إلى سكرتير عام جمعية العلماء المركزية في دلهي:

(إنه مما يسرنا ويسر كل مسلم غيور على دينه أن يتكون من الجمعيات العامة التي تهدف إلى إصلاح الأوضاع والتمسك بأصل الدين وتعاليمه الشريفة ومحاربة كل ما خالف الشريعة الإسلامية من البدع والخرافات والدجل ، وكذلك ما هو أهم من ذلك ما يدخله الملحدون والزنادقة والمستشرقون وغيرهم في أفكار بعض المسلمين في تشكيكهم في أصل دينهم وتضليلهم عن سنة نبيهم ﷺ وشريعته، وتحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية . وأهم ذلك معرفة أصل التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ وتحقيقه علماً وعملاً ، ومحاربة ما يخالفه من الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة أو من أنواع الشرك الأصغر ، وهذا هو تحقيق معنى لا إله إلا الله، وكذلك تحقيق معنى محمد رسول الله)[1].

ولقد تمثلت الجهود التي بذلها -رحمه الله- في سبيل نشر العقيدة الإسلامية في وسائل متعددة منها :

أولاً : اهتمامه -رحمه الله- بتدريس العقيدة لطلابه من خلال الحلقات

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٧٨-٨٠ .

الدراسية التي كان يعقدها -رحمه الله- إذ كان يدرس مختصر ثلاثة الأصول ، وكشف الشبهات ، وكتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، كما كان يدرس لمعة الاعتقاد ، والعقيدة الواسطية والحموية .

ثانياً : اهتمامه -رحمه الله- بتوجيه الخطابات والرسائل إلى جميع أئمة المساجد يحثهم فيها على تعليم الناس أمور دينهم ، وأن يتعاهد بعضهم البعض بالنصيحة والتذكير والدرس ، وتوضيح ما يخفى عليهم من أمور ، وإجابة الناس عما يدور في أذهانهم من أسئلة من خلال جلسات يومية تعقد في المساجد . يقول -رحمه الله- في إحدى رسائله التي بين فيها بعض مهام أئمة المساجد :

(يتعين على إمام كل مسجد أن يقوم بعد صلاة فجر كل يوم بتعليم ثلاثة أشخاص من جماعة مسجده أو أكثر حسب الاستطاعة أصول الدين كمختصر ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة ، وأن يتعاهد جماعة مسجده بالنصيحة والتذكير والدرس، ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم ، ويعلمهم ما يخفى عليهم فيها) [١]

ثالثاً : تركيزه -رحمه الله- على العقيدة في خطاباته ورسائله ونصائحه ، والتي منها خطابه الذي وجهه إلى حجاج بيت الله الحرام وإلى كافة المسلمين ، حث فيه العلماء على بيان حقيقة بعث الرسل ، وتوحيد الله ﷻ ، وإفراده بالربوبية ، يقول -رحمه الله- في الخطاب :

(فحقيق بالمسلمين ولا سيما العلماء أن يجعلوا كبير عنايتهم ومزيد اهتمامهم بمعرفة حقيقة ما بعث الله به الرسل من أولهم إلى آخرهم وخاتمهم محمد رسول الله ﷺ وعليهم أجمعين-، وتعليمهم ذلك ، والعمل به ظاهراً وباطناً ، والموالاة والمحبة والتناصح فيه ، والتواصي به من توحيد الله تبارك وتعالى في ربوبيته وفي ذاته -تبارك وتعالى- وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وفي إلهيته ، وما يستحق من عبادته وحده لا شريك له) [٢] .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ج١ ص٨٦ .

رابعـاً : محاربـته لجميع صور الشرك بالله ، ووقوفه في وجه كل من يتفرد بالعـبادة لغـير الله ، لأن الشرك من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ، وهو أمر خطير يقـوض أركان العقيدة الصحيحة ، ويهدم ما جاء به الإسلام ، ومن ذلك نصيحة سماحته في بيان معنى توحيد الإلهية والتي يقول فيها :

(إفـراد الله تعـالى بجميع أنواع العبادة : بأن لا يدعى إلا هو ، ولا يتوكل إلا علـيه ، ولا يرجى ولا يخاف إلا هو ، ولا يذبح ولا ينذر إلا له ، إلى غير ذلك مـن أنـواع العـبادة وهـي كـثيرة ، فـإن العـبادة اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . ومجرد الإقرار بتوحيد الربوبية من أن الله هو الخـالق الـرازق المدبر وحده لا يكفي في عصمة الدم والمال ، ولا يكون به الرجل مسلماً حتى يوحد الله تعالى في العبادة ، فإن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺكـانوا مقـرين بتوحـيد الربوبـية كمـا قـال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] . والآيـات في هـذا المعـنى كثيرة . وكانوا مع إقرارهم بذلك كفاراً مشركين حلال الدم والمال لشركهم بالله في العبادة)[2] .

خامساً : حرصـه -رحمه الله- على توضيح العقيدة من خلال سلوك منهج السـلف -رضـوان الله علـيهم- في إثـبات ما أثبته الله لذاته من صفات الكمال ، وأنـه تـبارك وتعـالى منزه عن صفات النقص لأنه الخالق ﷻ وهو الظاهر والباطن والأول والآخـر. وللشـيخ -رحمـه الله- كتابات عديدة في غاية الأهمية ، ردَّ فيها عـلى تحـريف المـبطلين ممن همهم إشابة العقيدة الإسلامية بشتى أنواع الشوائب ، وتشـكيك المنسـلمين بعقـيدتهم . ومـن هـذه الكـتابات رسـالة قـيمة جداً في هذه الموضوع جاء فيها :

(أما الواجب في هذا الباب وتقرير فهو أن يقال : القول في آيات الصفات

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣١ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٨٠-٨١ .

وأحاديثها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره . وأما طريقة أهل السنة والجماعة في هذا الباب فهي أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، ووصفه رسول الله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ويعلمون أن ما وصف الله به نفسه ووصفه رسول الله ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم هو الله -جل وعلا- أو الرسول ﷺ لذي هو أفصح الخلق مطلقاً من جميع الوجوه وأعلمهم بما يقول . وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية ، فكذلك له صفات وأسماء حقيقية، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة ...الخ ، وأما مذهب السلف في باب أسماء الله وصفاته نفياً واثباتاً فإنهم يعتقدون أن الله بعث رسله بنفي مجمل وإثبات مفصل)[1] .

سادساً : اهتمامه -رحمه الله- بتتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين من الكفار ودعاة الإلحاد ، وما يهدفون من خلاله إلى زعزعة العقيدة الإسلامية ، فقد كشف أهدافهم ، وردّ عليهم ، وقارعهم بالحجة القوية والبرهان الساطع وحذر المسلمين منهم ، ومن الوقوع في حبائلهم .

يقول -رحمه الله- في رسالة وجهها إلى مسلمي السنغال ذكرهم فيها بنعم الله، وحث من خلالها المسلمين إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وبين فيها المكائد والحيل التي تحاك ضد الإسلام قال فيها :

(ولما كانت القيادة للمسلمين كان العالم ينعم بوارف ظلال الإسلام ، وكان يسود الهدوء والإطمئنان ، وكان العلم يشع نوره من مكة والمدينة والأندلس وبغداد وإفريقيا ، وكذلك لما كان المسلمون قائمين بأمر دينهم ، مجاهدين في سبيل

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٢٧-١٤٢ .

الله وإعلاء كلمته ، ولما قصروا وأهملوا ما يجب عليهم من القيام بذلك ضعفت شوكتهم ، ودالت الدولة لعدوهم ، وأخذ أعداء الإسلام الحاقدون عليه يحوكون الدسائس والافتراءات على الإسلام ، ويطعنون في آيات القرآن العزيز ، ويحاولون تحريف المصحف الشريف. وتكالب على الإسلام أعداء مختلفون من الصليبيين المبشرين، ومن اليهود أهل التحريف والتضليل ، حتى انخدع بعض ضعاف الإيمان بدعايتهم المضللة)[1] .

من خلال ما تقدم في أهمية العقيدة في حياة الإنسان المسلم يتضح أن إصلاح العباد لا يتم إلا من خلال إصلاح عقيدتهم ، فالعقيدة هي أساس في حياة كل إنسان، وعليها يقوم الدين ، لذلك ركز الشيخ -رحمه الله- جلَّ جهوده في سبيل تنقيتها وسلامتها ، ورهن صلاح أي مجتمع بصلاح عقيدته ، وحث على أن يكون كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ هما المصدر الوحيد للعقيدة المنشودة ، فمن خلالهما فقط يمكن التدليل على صحة المعتقد السليم وإقناع المدعين ، والرد على الخصوم ، وتفنيد ما يثيرونه من شبهات ومفتريات .

المطلب الثاني:البركة في التعليم

لقد كان الشيخ -رحمه الله- من المتعلمين والعالمين بدين الله ﷻ ، نفعه الله تعالى بهذا العلم ، ونفع الناس بعلمه ، فعلمهم ما هم بحاجة إليه أكثر من طعامهم وشرابهم ألا وهو تثبيت عقيدتهم ، وأمور دينهم ، وإصلاح أخلاقهم ومعاملاتهم ، فقد وَرِثَ -رحمه الله- العلم كابراً عن كابر ، وورثُه من بعده ، وبقي أثره إلى يومنا هذا شاهداً حياً على جهوده العلمية . يقول تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

ولقد كرم الله ﷻ العلماء تكريماً ما بعده تكريم حيث قرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة في قوله ﷻ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص٢٧٦ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : ١١ .

وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

وعن الرسول ﷺ قال : (**ما من خارج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع**)[2]، وما ذلك إلا لأن العلماء حراس لهذا الدين العظيم وحماته الميامين . قال رسول الله ﷺ (**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**)[3]. وعن أبي ذر -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (**يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله تعالى خير من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة**)[4].

ولقد وهب الشيخ -رحمه الله- نفسه للتعليم وخدمة العلم منذ أن قام بمهمة التدريس في مسجد عمه الشيخ عبد الله -رحمه الله-، وتولى الصدارة في التعليم . ومن المسلم به أن يقوم هذا العالم المجتهد صاحب الهمة العالية باستثمار ما تعلمه وحصله بتوفيق من الله ﷻ ، وهذا ما حصل للشيخ -رحمه الله- فإنه لم يألُ جهداً في ذلك ، ولم يتوانَ عن شيء فيه منفعة للعلم والعلماء ، فلقد قام بمهمات عظام ، وتحمل مسؤوليات جسام تقصر دونها همم الرجال ، إذ كان - رحمه الله- في مجال التعليم معلماً، وفي مجال الإرشاد والنصح مفتياً وإماماً وخطيباً، ومحتسباً ، وفي مجال التأليف مؤلفاً ، فمن أجل هذا كله كان له النصيب الأكبر في كثرة القاصدين له ينهلون من علمه ويستنيرون بتوجيهاته ، وكل ذلك من رضوان الله- تعالى- عليه وبركته فيما أعطى ، فقد كان -رحمه الله- رجلاً مباركاً تعلم وعلم ، وأعطى الناس الكثير ، ولم يأخذ من الدنيا سوى القليل ، حتى حلت بركته على الكثير فنعموا بعلمه ، فانتفعوا ونفعوا .

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل ، ونصحه لكل من اجتمع به ، قال الله تعالى إخباراً عن المسيح عليه السلام : ﴿

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٢) سنن الترمذي ، ج٥ ص٥٤٦ ، رقم الحديث ٣٥٣٦ . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٣) سنن الترمذي في سننه ، ج٥ ص٤٨ ، رقم الحديث ٢٦٨١ .

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه : ج١ ص٧٩ ، رقم الحديث ٢١٩ .

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴿٣١﴾ ﴾[١]، أي معلماً للخير داعياً إلى الله ، مذكراً به، مرغباً في طاعته . فهذا من بركة الرجل ، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به ، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به)[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : (**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**)[٣]. وقد تحققت هذه الثلاث في الشيخ رحمه الله فصدقاته الجارية كثيرة ومحمودة ، وعلمه قد انتفع فيه خلق كثير ، أما أولاده -حفظهم الله- فإنهم نعم الخلف لخير سلف .

وقد قسم ابن تيمية -رحمه الله- العلم النافع إلى ثلاثة أقسام ، فقال : (والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثه الأنبياء كما قال النبي ﷺ : (إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[٤].

وهذا العلم ثلاثة أقسام :

القسم الأول : علم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وما يتبع ذلك ، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص ، وآية الكرسي ونحوهما .

القسم الثاني : علم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية ، وما يكون من الأمور المستقبلة ، وما هو كائن من الأمور الحاضرة ، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد ، والوعيد ، وصفة الجنة والنار ، ونحو ذلك .

القسم الثالث : العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها ، وأقوال الجوارح وأعمالها ، وهذا يندرج فيه: العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام ، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال

---

(١) سورة مريم : الآية ٣١ .

(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ، تقديم : بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط١ (الرياض : مكتبة الملك فهد، ١٤٢٠هـ) ص٥.

(٣) أخرجه مسلم ، ج٣ ص١٢٥٥ ، رقم الحديث ١٦٣١ .

(٤) سبق تخريج الحديث .

الظاهرة ، فإن ذلك جزء من علم الدين[١].

والعلوم بشكل عام تنقسم إلى خمسة أقسام كما قسمها ابن تيمية- رحمه الله- بقوله :

(العلوم خمسة : فعلم هو حياة الدين وهو علم التوحيد ، وعلم هو غذاء الدين، وهو علم التذكر لمعاني القرآن والحديث ، وعلم هو دواء الدين ، وهو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها ، كما قال ابن مسعود ، وعلم هو داء الدين ، وهو الكلام المحدث ، وعلم هو هلاك الدين ، وهو علم السحر ونحوه)[٢].

ولقد تجلت مظاهر بركة الشيخ -رحمه الله- في التعليم من خلال عدة مناحي أهمها :

أولاً : المدارس : إن وجود المدارس وكثرتها نابع أساساً من اهتمام المملكة العربية السعودية بالعلم ومناصرتها للعلماء في سبيل خدمة الدعوة الإسلامية ، والنهوض بها ، وتحقيق غاياتها . ومن هنا فقد تعددت المدارس وتنوعت في مناهجها ومقرراتها من خلال تكاتف وتآزر الجهات المتخصصة والمساندة ، ومن خلال جميع القطاعات في المملكة الخاص منها والعام ، ومن خلال الأفراد والجماعات ، حتى أصبحت لا تكاد تخلو منطقة أو قرية أو هجرة في هذه البلاد من عدد من المدارس أو الكليات أو الجامعات .

وقد انطلق -رحمه الله- في لفت أنظار المسؤولين في هذه البلاد المحبين للعلم والعلماء إلى أهمية وجود المدارس إيماناً ويقيناً منه أن المدارس هي اللبنة الأولى لتأسيس الإنسان المسلم صاحب العقيدة السليمة ، فأقبل التلاميذ من كل حدب وصوب إلى هذه المدارس تلبية لنداء العلم ، فاتسعت القاعدة العلمية بعدما اتسعت البلاد ، وازداد عدد السكان ، فرأى -رحمه الله- وجوب التوسع في هذه

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، توزيع : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية . ج١١ ص٣٩٦-٣٩٧ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، ج١٠ ص١٤٥ .

المؤسسات، فسعى في إنشاء كثير من المؤسسات العلمية والشرعية ، من هذه المؤسسات المعهد العلمي في الرياض ، ثم افتتاح كلية الشريعة ، تلاها افتتاح خمسة معاهد أخرى في كل من شقراء والإحساء والمجمعة ، ومعهد إمام الدعوة في الرياض وسامطة ، ثم تلتها كلية اللغة العربية ، ثم بعد ذلك سعى -رحمه الله- بافتتاح المعهد العالي للقضاء ، بالإضافة إلى افتتاح معاهد أخرى في كل من المدينة المنورة وحائل وأبها ، ومعاهد أخرى في مناطق متفرقة وعديدة من المملكة .

وقد كانت هذه المنشآت أو المؤسسات في بداياتها صغيرة الحجم والإمكانات، إلا أنه لا يمكن الاستهانة بها مهما بدت صغيرة أو متواضعة ما دامت قد أسست لغرض نبيل هدفه خدمة المجتمع ، وتحقيق مصالح المسلمين ، ومع ذلك فقد بدأت هذه المؤسسات بتوفيق من الله ﷻ تزداد اتساعاً وانتشاراً لتسد حاجة المجتمع كله ، بل إن بعض هذه المؤسسات أصبحت تسد حاجة المجتمع الإسلامي بأكمله من خلال استقبالها للطلاب المسلمين من أقطار العالم الإسلامي، وتخريج العديد من العلماء والمربين ، والدعاة . وليس أدل على ذلك من سعيه -رحمه الله- في إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، هذا الصرح العظيم الذي أنشئ لخدمة العالم الإسلامي ، وإمداده بالعلماء والدعاة والمدرسين والأئمة ، حيث خصص بها ٨٥% من الطلاب من غير السعوديين ، فكان سماحته -رحمه الله- هو المشرف على تأسيسها ، والرئيس العام لها .

وكل هذه المؤسسات كانت تحظى من الشيخ -رحمه الله- بالرعاية الكاملة، والاهتمام المتواصل ، فلقد أثبت سماحته من خلال إنشائه لهذه المؤسسات العلمية العظيمة أن الدعوة إلى الله ليست مجرد كلام ، وإنما هي اقتران القول بالعمل وبالتنفيذ، حتى يتحقق لها النجاح ، وتتحقق الأهداف المرجوة منها، وهذا ما جعل المسؤولين عن هذه المؤسسات بالإضافة إلى الطلاب على صلة دائمة بسماحته يطلبون المشورة منه لتوجيههم ، ومتابعتهم ، ونصحهم ، وإرشادهم ، فمن ذلك الرسالة التي وجهها -رحمه الله- إلى الأساتذة والعلماء ينصحهم فيها بحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم بأمانة وصدق والتي يقول فيها :

(فالأمانة التي نحملها ثقيلة لا تقف عند رعاية حالنا الخاصة ، بل تتجاوز ذلك إلى المسئولية العامة ، فكل منا مسئول عمن جعلهم الله تحت يده ، وناط به توجيههم وإرشادهم من طلاب العلم وجماهير الناس . وأشد ما تكون الحاجة إلى القيام بهذا الواجب وأدائه على أتم وجه وأكمله إذا انحرف الناس عن الجادة ، وتحكمت في سلوكهم الأهواء والتبس الحق بالباطل ، ونحن اليوم نعيش في بحر لجي يموج بشتى الفتن والأفكار الهدامة التي تهدف إلى إغفال التربية الروحية ، وتجاهل العقائد الإسلامية ، والقيم الأخلاقية ، لتموج بالبشرية في المادية الصرفة ، وتعيش عيشة حيوانية محضة . وعلماء الإسلام وسط هذا التيار هم أعلام الهدى الذين تعلق عليهم الأمة الإسلامية بعد الله أملها في إنقاذها من أن تتردى في حمأة الرذيلة ، وتتجه الاتجاهات الفاسدة ، وتذهب المذاهب المنحرفة)[1].

وقد حددت السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية العديد من المعايير التي يجب أن تتوفر في مناهج التعليم في جميع المؤسسات ، إذ أن العلوم الشرعية هي مادة أساسية في جميع مراحل التعليم ، بالإضافة إلى أن الثقافة الإسلامية تعتبر مادة أساسية أيضاً في جميع مراحل التعليم العالي .

وبذلك أسهم -رحمه الله- في بناء صروح العلم في هذه البلاد الكريمة ، تلك الصروح التي أعادت بناء الإنسان المسلم بناءاً متيناً ، ورسخت قواعد وشرائع هذا الدين العظيم . وما زالت هذه الصروح وستبقى بإذن الله -تعالى- منارات يهتدي بها جميع المسلمين .

ثانياً : تلاميذه -رحمه الله-: إن كثرة التلاميذ والمحبين والقاصدين للشيخ -رحمه الله- هو أكبر دليل على مكانته ورسوخه في العلم ووفور معارفه ، وعلو همته، فلقد أقام سماحته حلقات الدرس -كما ذكرت سابقاً- فراح طلبة العلم يتوافدون عليه ، ويلزمون مجالسه يقيناً منهم بقيمة ما عنده من العلم الغزير والذكاء العظيم . فلقد كان استقبال تلاميذه لعلمه -رحمه الله- مثل استقبال الأرض العطشى للغيث الذي يرويها ، فتموج بالخضرة ، وبشتى أصناف الزروع .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٢١٥-٢١٧ .

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ، وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءاً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**)[١].

ويمكن تقسيم تلاميذ الشيخ -رحمه الله- سواء من تخرج على يديه أو تتلمذ، أو أخذ عنه **إلى ثلاثة أقسام** :

القسم الأول : من تخرجوا على يديه من بداية جلوسه للتدريس حتى افتتحت المعاهد العلمية ، وهؤلاء يصعب حصرهم أو تعدادهم لكثرتهم وقد تفرقوا وشغل أكثرهم مناصب القضاء ، والتعليم ، والدعوة وغيرها .

القسم الثاني : من تتلمذوا على يديه ، ولما افتتح المعهد التحقوا به وكان منهم من قد أخذ عن الشيخ وتقدم في طلب العلم ، ولهذا جعلهم في مستويات متقدمة في المعهد .

القسم الثالث : الذين أخذوا عنه شيئاً ولكنهم لم يزالوا في بداية الطلب ، وهؤلاء ألحقوا بالمستويات الأولى[٢].

وقد تميز منهجه -رحمه الله- **بعدد من الملامح منها** :

١ - الجُهد العظيم الذي كان يبذله في التدريس ، وبذل كل ما في وسعه وتفانيه وحرصه على تعليم القاصدين له ما فيه المنفعة والخير والعمل المثمر . وقد كانت الدروس التي يعلمها تتم في المساجد -كما ذكرت من قبل - وما زالت هذه الحلقات الدراسية إلى يومنا هذا يدرسها علماء أجلاء ، الكثير منهم كانوا من تلاميذ الشيخ -رحمه الله-.

٢ - منهجه الواضح والمحدد في التدريس . فقد كان -رحمه الله- يقوم

---

(١) أخرجه البخاري ، ج١ ص٤٢ ، رقم الحديث ٧٩٨ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، ود. العمار ، ص٢٣٠-٢٣١ .

بتقسيم الطلاب إلى مستويات مختلفة على حسب تقدمهم في التعلم ، وقدرتهم على الفهم .

٣- بُعده عن الحشو في الكلام وما لا طائل منه ، بل كان يركز في كل دروسه على ما فيه منفعة الطلاب ، وما يمكن أن يقدموه من فائدة للناس بعد ذلك .

هذا المنهج السليم الذي سار عليه -رحمه الله- في دروسه تفتق عنه نبوغ الكثير من تلاميذه ممن أصبح لهم اليوم شأن كبير في مختلف المجالات ، وشتى المناحي ولهذا تذكر كتب التراجم اليوم عن هؤلاء التلاميذ ما يستوقف المرء انبهاراً، ويملأه إعجاباً واحتراماً لهم لكثرة وأهمية ما يشغلونه اليوم من مناصب عليا ، ومراكز حساسة، ولكثرة مصنفاتهم ومؤلفاتهم . فهؤلاء أشبه ما يكونوا بمنزلة الأرض في حديث رسول الله ﷺ التي قبلت الماء ، وأنبتت الكلأ والزرع . وحسبنا أن نذكر ممن تتلمذ على يديه على سبيل المثال لا الحصر: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد -رحمه الله-، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم -رحمه الله- صاحب المؤلفات الكثيرة ، وعبد الله بن عمر بن دهيش ، وعبد العزيز بن ناصر الرشيد ، وصالح ابن علي بن غصون ، وغيرهم من العلماء الجهابذة الذين تشهد لهم مآثرهم وخدماتهم ومؤلفاتهم ، وتشهد الميادين العلمية والمحافل الثقافية على عظيم ما أخذوه عن الشيخ -رحمه الله-، فهم الغراس الطيبة التي غرسها -رحمه الله- وسقاها من روحه ودمه حتى أينعت وأتت أكلها. رحمهم الله أجمعين .

وحسبنا في هذا المقام ما قاله تلميذه الجهبذ محمد بن قاسم -رحمه الله-: (لا أظن أن من يعرفه -رحمه الله- يخفى عليه أمر الذين أخذوا عنه العلم واستفادوا منه الفائدة الكبرى ، ولا أظن أن ذلك يخفى على من عرف المدة الطويلة التي قضاها مشتغلاً بالتدريس ، فقد مر به أفواج بعد أفواج ينهلون من علمه ، ويستنيرون بثاقب نظره ، وقد انتشروا في أنحاء المملكة بين عالم وقاض ومدرس وواعظ وخطيب مسجد، ومتفرغ من الأعمال ، ولا أظن الحصر قادر

على أن يأتي على جميع أسمائهم)[١].

المطلب الثالث: احياء رسالة المسجد وجعله منبراً للدعوة

يعتبر المسجد المدرسة التي تضم كافة المستويات ومن جميع الأعمار ، كما يعتبر من أهم الميادين بالنسبة للداعية لنشر دعوته بين قطاعات كبيرة من الناس على اختلاف ألوانهم وأذواقهم .

وقد احتل المسجد وما يزال يحتل مكانة مرموقة في قلوب المسلمين نظراً لأنه بيت الله ، وفيه يكون الإنسان أقرب ما يكون من خالقه ، ولأن المسجد محاطٌ بهالة مقدسة تشحن الإنسان المسلم بشحنة دينية تجعله يقبل بقلبه وروحه على جميع الأنشطة الدينية التي تقام فيه ، فيتمثل ما يقوله الخطيب قولاً وعملاً . من هنا نلمس الفرق بين أهمية ما يقدمه المسجد من دروس ومواعظ وحكم ، وبين الوسائل الدعوية الأخرى مثل الكتاب أو التلفاز أو غيره .

وتنبع أهمية المسجد أيضاً في حياة المسلمين من أنه أول بيت وضعه الله للناس قال تعالى :﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢].

كما بين سبحانه وتعالى أن المؤمنين بالله هم من يعمرون مساجده سواء كانت عمارة حسية بالمال ، وشراء ما يلزم من مواد بناءه ، أو عمارة معنوية وهي ارتياده في كل وقت صلاة ، وعدم الانقطاع عنه .

ومما يدلل على مكانة وأهمية المسجد في حياة المسلمين أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة المنورة كان أول ما اهتم به هو بناء المسجد وتأسيسه، واكتملت بعد ذلك أهميته بإمامة رسول الله ﷺ للمسلمين فيه وخطبته يوم الجمعة والعيدين ، وغيرها من المناسبات الدينية .

من خلال هذه الأهمية العظيمة للمسجد باعتباره منبأر للدعوة الإسلامية اهتم الشيخ -رحمه الله- به غاية الاهتمام ، وانطلق منه في نشر دعوته ممثلة في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٢١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

الخطب والدروس ، والإرشاد ، فقد استغل -رحمه الله- هذا المنبر الكريم لصالح دعوته، فلم يكن ينقطع عنه وقتاً من الأوقات ، ولم يذكر عنه أنه تأخر عن درس من دروسه لحظة واحدة ، وهذا مما زاد في ثقة تلاميذه له وتقديرهم وحبهم وإعجابهم به.

وقد استفاد -رحمه الله- غاية الاستفادة من أهمية المسجد فمن خلاله كان احتكاكه بتلاميذه وبالناس كبيراً ، استطاع من خلاله التعرف على تلاميذه ، ومعرفة مواطن القوة ومواطن الضعف عندهم ، والدواء المناسب لكل منهم ، فقد كان -رحمه الله- بمثابة الطبيب الذي يشخص الداء ويصف له بعد ذلك الدواء ، وكانت جميع الأدوية التي يصفها شافية بإذن الله -تعالى وتوفيقه- .

ومما زاد في أهمية المسجد في نشر الدعوة لدى الشيخ -رحمه الله- أن جميع الأنشطة الدعوية التي كان يقوم بها وأهمها الدروس التي كان يعلمها تلاميذه فيتمثلونها اعتقاداً وعملاً ، لذلك اعتبرها سماحته أمانة في عنقه فلم يكن يتساهل في أمر يخل بالعقيدة ، ولم يكن يسكت عن خطأ يراه .

وقد تمثلت عنايته -رحمه الله- بالمسجد باعتباره منبراً للدعوة من خلال التالي :

١ - توجيه أئمة المساجد إلى تعليم المصلين ما يهمهم من أمر دينهم ، ومعاملاتهم مثل تعليمهم مختصر الأصول الثلاثة ، وشروط وأركان وواجبات الصلاة وفروض الوضوء...الخ .

٢ - اهتمامه -رحمه الله- ومتابعته لمن يقوم بمهمة الوعظ والإرشاد في المساجد، وضرورة أن يكون من المؤهلين الأكفاء لهذا العمل ، ومن المثقفين ثقافة شرعية وعلمية تمكنهم من أداء مهمتهم على الوجه الأكمل ، وأن يكونوا قبل ذلك متصفين بالأخلاق الحميدة ، والصلاح ، ومعرفة آداب الدعوة ، وكيفية التعامل مع المدعوين ، إذ إن الدعوة إلى الله ليست بالأمر الهين ، بل تحتاج إلى داعية عال الهمة ملماً ومتقناً لطريقة التعامل مع جميع أصناف البشر ، وهذا لا يتسنى لكل من ادعى أنه داعية إلى الله .

وأول زاد يتزود به الداعية لله -عز وجل- أن يكون على علم مستمد من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ الصحيحة المقبولة ، وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على جهل ، والدعوة على الجهل ضررها أكبر من نفعها لأن هذا الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً ، فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله[١].

من أجل هذا شدد الشيخ -رحمه الله- على أهمية الواعظ أو المرشد الكفء، وخصوصاً في المسجد الحرام نظراً لأهمية هذا المسجد ومكانته عند الله ﷻ وعند المسلمين ، ففي خطاب وجهه سماحته -رحمه الله- إلى جلالة الملك سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- في هذا الشأن قال فيه :

(حفظك الله يلاحظ أن فيه أشخاصاً يأتون إلى المسجد الحرام ويقومون بإلقاء محاضرات ودروس وعظ وإرشاد . وقد يكون البعض منهم غير صالح وغير مأمون. ونظراً لما للمسجد الحرام من الأهمية الكبرى وكثرة الوافدين إليه من أقطار الدنيا ، وحرصاً على المصلحة ومنع الفوضى فقد رأينا من الضروري وضع تنظيم كفيل بألا يتولى التدريس والوعظ والإرشاد في المسجد الحرام إلا من كان كفواً وأهلاً لذلك)[٢].

ولقد كان سماحته -رحمه الله- مثالاً يحتذى في الوعظ والإرشاد إذ أعطاه الله -سبحانه وتعالى- قوة في الشخصية ، وسلامة في العقل ، وفصاحة في اللسان جعلته من جهابذة العلماء البارزين في نشر الدعوة الإسلامية .

أما من ناحية منهجه وأسلوبه -رحمه الله- في التعليم فقد ذكرت سابقاً أنه كان يقوم بتقسيم التلاميذ إلى حلق حسب المرحلة العمرية وما يناسبها من مواد دراسية. فقد كان يجلس بعد صلاة الصبح لصغار الطلاب فيدرسون عليه مبادئ النحو في الآجرومية ، ثم بعد ذلك تأتي حلقة المتوسطين في العمر ، ثم الكبار ، فقد كان -رحمه الله- يدرس في هذه الحلقات النحو والفقه . وبعد انتهائهم من

---

(١) زاد الداعية إلى الله ، محمد بن صالح العثيمين ، أعده : فهد بن صالح السليمان ، ط٣ (الرياض : دار الوطن للنشر ، ١٤١٣هـ) ص٦-٧ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦١ .

درس الفقه يشرع -رحمه الله- في درس الحديث . وبعد صلاة الظهر يشرع بتدريس أحد أمهات الكتب الستة مثل : صحيح البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ويستمر في الدرس حتى صلاة العصر، وبعد أن يفرغ من الصلاة يعود لمجلسه فيكمل ما بدأه قبل صلاة العصر إلى قرب صلاة المغرب إذ كان -رحمه الله- يدرس بعد صلاة المغرب علم الفرائض. فإذا قرب العشاء شرع في درس عام فيقرأ عليه القارئ تفسير ابن كثير ، وسماحته يعلق ويوجه ويرشد كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

وهكذا كان -رحمه الله- يصرف جل يومه في خدمة العلم ، وفي سبيل نشره، لا يكل ولا يمل ولا يتأفف ، بل كان شعلة متقدة بالعلم والإيمان .

من خلال ما تقدم عن الأهمية التي يحتلها المسجد عند الشيخ -رحمه الله- باعتباره منبراً عظيماً للدعوة الإسلامية نلاحظ أن سماحته -رحمه الله- لم يكن مجرد إمامٍ أو خطيبٍ في المسجد ، بل كان داعية ، ومعلماً عالماً نظر إلى المسجد باعتباره مدرسة بكل معنى الكلمة ، ولم ينظر إليه باعتباره مكاناً للعبادة فقط ، ولم يقف -رحمه الله- عند حد استظهار العلوم أو تلقينها وتعليمها ، بل كانت الدعوة هي مقصده ، وهي الهدف الأول والأخير بالنسبة له ، والذي كرس حياته الكريمة خدمة لها ، وبذل سنين حياته ثمناً رخيصاً لها فتخرج على يديه علماء لم يتقنوا العلم كصناعة فاحتفظوا فيه لأنفسهم ، بل تخرج على يديه علماء أئمة ، وعلماء هدى ، ودعاة خير وإصلاح ، وهم الآن بين الناس مثل الكواكب المنيرة يملؤون الآفاق نوراً وعلماً .

المطلب الرابع : بروز جانب الإفتاء

وصف ابن القيم -رحمه الله- المفتين بصفة الموقعين عن الله تعالى ، وذكر أن أول من قام بمنصب التوقيع عن الله-تعالى- رسول الله ﷺ فكان يفتي بما يوحى إليه من الله ﷻ وبعده قام بالفتوى أصحابه -رضوان الله عليهم-، ثم

التابعون ، ومن بعدهم من العلماء [١].

وقد أناط الله ﷻ بالعلماء مهمة الإفتاء بقوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٢] ، وحذر من القول على الله بلا علم بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [٣].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)** [٤].

ومن تولى مهمة الإفتاء أو القضاء فقد حمل على عاتقه حملاً ثقيلاً ، ومسؤولية عظيمة يسأل عنها يوم القيامة بين يدي الله ﷻ، فمن أفتى بغير علم ، أو قضى بظلم أو جور فقد باء بغضب من الله لأنه ﷻ قد حرم القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء ، وجعله من أعظم المحرمات ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٥]. فجعل القول على الله فيما لا علم للعبد فيه من أعظم المحرمات .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (**من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه**) [٦].

وحاجة المجتمع لأهل الفتوى تعادل حاجتهم لوجود الطبيب في معالجة

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٧هـ) ج١ ص٩ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١١٦ .

(٤) أخرجه البخاري ، ج١ ص٥٠ ، رقم الحديث ١٠٠.

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ٣٣ .

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب : العلم ، باب : فصل في توقير العالم ، ج١ ص٢١٥ ، رقم الحديث٤٣٦ . وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ) ج ٥ ص٢٥٢ .

الأمراض والقضاء على أسبابها ، بل قد تزيد على ذلك لأن المفتي على علاقة مباشرة بأفراد المجتمع ، فمهمة المفتي بيان أحكام الله تعالى في معاملاتهم وتسيير شؤونهم ، وتوضيح الحق من الباطل ، وإنارة الدرب أمامهم ، وهدايتهم إلى الطريق القويم .

من هنا كانت مهمة الإفتاء مهمة عظيمة لا يمكن الاستغناء عنها، وخصوصاً في المجتمعات الإسلامية التي تحكم شرع الله في كل صغيرة وكبيرة من شؤونها .

ثم إن التوقيع عن الله تعالى يقتضي رعاية مصالح العباد ، والقيام على شؤونهم في عباداتهم ومعاملاتهم ، وجميع مناحي حياتهم . لذلك وجب على من تولى مهمة التوقيع عن الله ﷻ أن يكون عالماً عابداً متبصراً بأحوال الناس .

والمصلحة لغة : واحدة المصالح مأخوذة من المصالح وهو ضد الفساد . ويقال: رأى الإمام المصلحة في كذا أي الصلاح ، ونظر في مصالح الناس وهم من أهل المصالح لا المفاسد [١].

والدارس لفتاوى الشيخ -رحمه الله- ورسائله يعرف أن جميع ما أفتى به من مسائل وقضايا كانت فيها المصلحة حقيقية أي أنها جلبت نفعاً ، ودرأت فساداً، وهذه المصالح كانت عامة ، فلم تكن مصالح شخصية ، أو فيها منفعة تعود على شخص أو أشخاص على حساب أشخاص آخرين ، بالإضافة إلى تحرزه -رحمه الله- في إصدار الفتوى وموافقتها لما جاء فيه الشرع . والأمثلة على ذلك كثيرة فقد ذكرنا سابقاً أن منهج الشيخ -رحمه الله- في الإفتاء كان يتصف بعدد من الصفات منها أن الفتوى عنده كانت تختلف باختلاف الأحوال ، وكان يراعي فيها التيسير والرفق ، فلم يكن يشق على من استفتاه إلا ما دعت الضرورة إلى ذلك ، وكان يتابع الفتوى وينقدها ويراجعها مراراً وتكراراً ويتفصل فيها ويحترز .

ومع كل هذا فلم يكن -رحمه الله- متزمتاً في فتاواه ، كما لم يكن متمذهباً

---

(١) تاج العروس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ط١ (القاهرة : ١٣٠٦هـ) ج٢ ص١٨٣ .

بمذهب واحد لا يخرج عنه ، بل كان على العكس يشجع على البحث والقياس والاجتهاد كلما دعت الضرورة إلى ذلك . وهذه ميزة العلماء العظام القادرين على فتح باب الاجتهاد والدراسة لعلمهم أن الشريعة الإسلامية شريعة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ، ولعلمهم أيضاً أن الأوضاع قد تغيرت عما كانت عليه في العصور الماضية من جميع النواحي .

لأجل هذا كله لم يكن -رحمه الله- متعصباً لمذهب ، وإنما كان يأخذ من هذا المذهب أو ذاك عاضده أو سانده الدليل . فليس هناك نص لا من كتاب الله ولا من السنة تلزم التقيد بمذهب فقهي دون آخر ، حتى الأئمة المجتهدون في العصور الماضية لو عاشوا إلى عصرنا هذا لغيروا كثيراً من اجتهاداتهم في كثير من المسائل التي بنوها وكانت تناسب عصرهم .

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في مسألة البحث والاجتهاد والتمذهب :

(التمذهب بمذهب من المذاهب الأربعة سائغ ، بل هو بالإجماع ، أو كالإجماع ولا محذور فيه كالانتساب إلى أحد الأربعة ، فإنهم أئمة بالإجماع ، والناس في هذا طرفان ووسط: قوم لا يرون التمذهب بمذهب مطلقاً وهذا غلط ، وقوم جمدوا على المذاهب ولا التفتوا إلى بحث ، وقوم رأوا أن التمذهب سائغ لا محذور فيه ، فما رجح الدليل مع أي أحد من الأربعة أو غيرهم أخذوا به)[1].

هذه المرونة في أحكام الشريعة جعلت منه -رحمه الله- إمام عصره ، وعلامة زمانه ، والدليل على ذلك فتاواه في مسائل عصرية كثيرة مثل مسائل نقل الدم ، ومسائل نقل الأعضاء وزراعتها وغيرها كثير .

ومنهج الاجتهاد في الفتوى الذي انتهجه الشيخ -رحمه الله- وعدم التمذهب بمذهب معين كان من باب التيسير والرفق بالناس ، وتيسيراً لشؤونهم ومعاملاتهم . فمع تحرزه وتأنيه كان يحرص على الاستدلال والاجتهاد في كثير من المسائل التي تعرض له ، وكل ذلك من أجل التخفيف على المستفتي ما استطاع إلى

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص١٧ .

ذلك سبيلاً ، فكان -رحمه الله- يستدل بالقرآن وبالسنة وبإجماع المسلمين حتى يصل إلى حكمه ، وليس هذا عيباً أو نقصاً عنده ، وإنما هو مهابة الوقوع في الخطأ، ودليل على ما كان عليه -رحمه الله- من الورع والتقى.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (عاب بعض الناس ذكر الاستدلال في الفتوى ، وهذا العيب أولى بالعيب ، بل جمال الفتوى وروحها هو الدليل ، فكيف يكون ذكر كلام الله ورسوله وإجماع المسلمين، وأقوال الصحابة -رضوان الله عليهم- والقياس الصحيح عيباً)[١].

وإن المتأمل في حياة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- يجد أن حياته مليئة بالعمل الجاد المثمر ابتداءاً من طلبه للعلم وتعليمه ، والاستفادة العظيمة التي حصلت لتلاميذه وغيرهم من خلال دروسه وخطبه . كما أن حياته -رحمه الله- كانت حافلة بالمواقف المحمودة والجليلة ، وآثارها قد عمت في داخل المملكة وخارجها ، فقد حَرِصَ سماحته على نفع الناس وتلمسه لحاجاتهم ، وحل جميع مشاكلهم ، فارتبط قوله بالعمل ، وأثبت -رحمه الله- أن الدين الإسلامي دين عمل وعبادة لا دين تصوف وتزهد ، فكان ممن احتك بالناس ، وتلمس مواجعهم، وتبنى قضاياهم ، فكان ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٣]، فقد سار -رحمه الله- على نهج رسول الله ﷺ متمثلاً صفاته في اللين والرحمة والشفقة على الناس ، ففتح قلبه وبيته للناس ، وعمل على خدمتهم وإيصال شكواهم ، وتنفيس ما أهمهم ، منطلقاً من أن الإسلام دين علم وعمل ، ولا خير في عالم ضرب بينه وبين الناس سداً منيعاً فحجب نفسه عنهم ، وأغلق بابه دونهم ، ولا خير في علم لا يقترن بعمل . قال رسول الله ﷺ : (**إن مثل**

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، ج٤ ص٢٦٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

العلماء كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر)[١]، وما ذلك إلا لأن العلم مقرون بالعمل ، ولأن الشريعة الإسلامية مبنية على مصالح العباد .

يقول ابن القيم -رحمه الله-:(فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه)[٢].

ولقد شَكلتْ فتاوى الشيخ -رحمه الله- جزءاً كبيراً في خدمة مصالح العباد، وحل مشاكلهم سواء منها المشافهة أو المكتوبة ، غير أن فتاواه المكتوبة كانت أسرع انتشاراً ، وأعم فائدة ، فكان لهذه الفتاوى الدور الكبير والجليل في خدمة الدعوة متمثلة بخدمة المجتمع . فقد استطاع -رحمه الله- أن يجذب الناس إليه بحسن خلقه ، وغزارة علمه ، واستطاع أن يقدم للناس الكثير ، وأن يغير الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة على أيامه مثل كثير من البدع والأهواء ، كما استطاع القضاء على كثير من العادات السيئة، وتوضيح المقبول منها ، وتنقية المجتمع من المفاسد والقبائح .

وإن المتمعن في فتاوى الشيخ -رحمه الله- وكلامه يدرك تماماً أنه لم يكن عالماً في الشريعة وحسب بل كان عالماً في الاجتماع أيضاً ، وعالماً في الحياة ، ومدركاً للأساليب والوسائل والغايات ، فكانت فتاواه تختلف باختلاف أحوال البشر ، وظروفهم ، ومعاشهم . لذلك أحبه الناس حباً جماً . فلم يتذمر أحد من حكم حَكَم به ، أو فتوى أفتى بها ، فقد أثر في الناس من خلال سلوكه وأقواله وأفعاله ، فكان كالأب الرحيم ، والأخ الرفيق ، والصديق الصدوق . صاحب يد عليا أعطت الكثير ولم تأخذ إلا القليل.

---

(١) أخرجه الترمذي ، ج٥ ص٤٨ ، رقم الحديث ٢٦٨٢ . حديث ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع الصغير، ج٢ ص١٨٨

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين : ابن قيم الجوزية ، ج٣ ص١٤-١٥ .

صاحب الناس ردحاً من الزمن نذر فيه نفسه -رحمه الله- لخدمتهم فإذا رأى منهم منكراً قدم لهم المر ممزوجاً بشيء من الحلاوة حتى تذهب مرارته ، فيصل بهم بعد ذلك إلى الشفاء . عرف أن الناس مختلفون بقدراتهم العقلية والجسدية فأعطى لكل منهم ما يناسبه. درس أحوال مجتمعه وأحوال أبنائه فأفتى بعد دراسة ودراية فلم يتعجل ، ولم يؤثر عنه أنه أفتى بفتوى ثم تراجع عنها . وكان في كل هذا واضعاً نصب عينيه كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ حريصاً كل الحرص على جلب المصالح ودرء المفاسد ، منطلقاً من منهج أسسه على الوعي وعلى معرفة واسعة بأحوال المجتمع وأحوال أفراده .

المطلب الخامس: الصدع بالحق والشجاعة أمام الباطل

لا يكاد يخلو زمان من علماء صادعين بالحق جريئين في مواجهة المخالفين، رائدهم كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ. وهؤلاء العلماء كانوا على الدوام قلة ، وما يقومون به من جهود في مناصرة الحق تستقيم أحوال البلاد والعباد ، فهم مصابيح الهدى ، وحماة الأمة ، والركن الأهم في بناء أي مجتمع ، خصوصاً إذا هيأ الله تعالى لهم حكاماً يذعنون للحق ويأتمرون بأمره .

والصدع بالحق والشجاعة أمام المخالفين سمة عظيمة من سمات العلماء الذين باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، فكانوا أغنياء بدعوتهم ، أغنياء بربهم . فلم تأخذهم الدنيا بزينتها وبهرجها ، ولم يتخذوا علمهم وسيلة لكسب مادي، أو مطمع دنيوي ، بل كان مطمعهم من الدنيا نشر العدل ، وإعلاء كلمة الحق ، وتسخير ما تعلموه في التعمير والإصلاح ، راجين الأجر من الله الذي لا يضيع أجر العاملين ،.فكانوا ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

والحاجة إلى وجود العلماء الصادعين بالحق حاجة ضرورية في كل زمان ومكان، ولا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عن عالم يقول كلمة الحق لا تأخذه في الله

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

لومة لائم ، ولا يخشى في الحق غائلة .

فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- أنه قال : (**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**)[١] . وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أن لله عليه فيه مقالاً ثم لا يقوله. فيقول الله: ما منعك أن تقول فيه ؟ فيقول : رب خشيت الناس . فيقول: وأنا أحق أن يخشى**)[٢].

من هنا كانت أمراض المجتمعات سببها فساد العلماء ، لأن فساد العلماء يقود إلى فساد الحكام والرعية ،. وحينما سُئِل النبي ﷺ عن الشر قال : (**لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير ، يقولها ثلاثاً . ثم قال : ألا إن شر الشر شرار العلماء ، وإن خير الخير خيار العلماء**)[٣].

يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: (العلماء ثلاثة : إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا المقبلون عليها . وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً. وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه)[٤].

وتحدث الطامة الكبرى بوجود حكام ظلمة رموا كتاب الله وراء ظهورهم، وسدوا أسماعهم عن شكاوى الناس ، واستبدوا بحكمهم ، وفتحوا أبوابهم للشياطين وأغلقوها في وجه علمائهم وحكمائهم . فقد أخبر خباب - رضي الله عنه- أنه كان قاعداً على باب النبي ﷺ قال : فخرج ونحن قعود فقال :

---

(١) أخرجه البخاري ، ج٦ ص٢٦٣٣ ، رقم الحديث ٦٧٧٤ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : كتاب : مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، باب : مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ج٣ ص٤١٥ ، رقم الحديث ١٠٨٦٢ . حديث صحيح ، انظر : مصباح الزجاجة ، شهاب الدين البوصيري ، ج٢ ص٢٩٨ .

(٣) أخرجه الدارمي ، ج١ ص١١٠ ، رقم الحديث ٣٧٦ . حديث ضعيف ، انظر : زوائد السنن ، صالح الشامي ، ج١ ص١٩٥ .

(٤) إحياء علوم الدين ، أبي الإمام الغزالي ، ج٤ ص١٥١ .

(اسمعـــوا ، قلـــنا : سمعنا يا رسول الله . قال: إنه سيكون أمراء من بعدي فلا تصدقوهم بكذبهم، ولا تعينوهم على ظلمهم ، فإنه من صدقهم بكذبهم ، أو أعانهم على ظلمهم فلن يَرِدَ علي الحوض)[١].

والشيخ محمد بن إبراهيم-رحمه الله- واحدٌمن العلماء الحكماء الذين صدعوا بالحق ، وأبدوا الشجاعة في قولهم وفعلهم ، فلم يتزلف ، ولم يتقرب لحاكم لينال عنده مكانة أو حظوة ، ولم يلتمس رضاهم طمعاً في مصلحة شخصية، أو حاجة دنيوية .

يقول الشيخ علي محفوظ : (فإن المرشد إنما يكون مقبول النصيحة إذا كان خالياً من الأغراض الدنيوية ، أما إذا كان عمله لشيء من هذه الأغراض فلا أثر لقوله في قلوب الناس البتة ، بل يعمل لوجه الله تعالى ، وطلباً لمرضاته ، وحسن مثوبته ، وللتقرب إليه سبحانه بهذه الوسيلة العظيمة اقتداء بإمام المرشدين رسول ﷺ[٢].

من هنا كان -رحمه الله- رائده الحق ، ومطلبه مرضاة الله ﷻ فوافق قوله فعله في رفض الدنيا ، والرضى منها بالقليل ، فلم يؤثر عنه أنه حابى ملكاً أو حاكماً ، كما لم يؤثر عنه أنه قام بتأويل نصٍ من نصوص الإسلام ليوافق به هوى الحكام كما يفعل البعض من علماء اليوم ، وكان في كل هذا صادعاً بالحق أمامهم، جسوراً في قوله ، جامعاً بين بلاغة اللسان ، وقوة الإيمان ، وهذا ما جعل حكام هذا البلد يجلونه أيما إجلال ، ويحترمونه ويتواصلون معه، ويطلبون مشورته.

والصدع بالحق والجرأة في إبداءه لا يعني مواجهة ولاة الأمر بالحرب ،

---

(١) شعب الإيمان : كتاب : الكتاب السادس والستون من شعب الإيمان ، وهو باب في مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم ، باب: فصل ومن هذا الباب مجانبة الظلمة ، ج٧ ص٤٥ ، رقم الحديث ٩٣٩٦ . حديث حسن ، انظر : صحيح ابن حبان ، ترتيب الأمير علاء الدين الفارس ، خرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، حسين أسد ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ) م١ ص٤٤٢ .

(٢) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة ، علي محفوظ ، ط (مصر : دار النصر للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ) ص١١٣ .

وقطع جسور التواصل بينهم ، وإيغار قلوب الناس عليهم ، بل إن حكمة العلماء تتجلى في نصحهم ووعظهم وإرشادهم ، ومساندتهم في تسيير أمور البلاد ، وشؤون العباد إلى ما يرضي الله ﷻ . وهنا تجلت حكمته -رحمه الله- في علاقاته بولاة الأمر ، فقد كان يجذب قلوبهم ، ويستميل طباعهم بالرفق واللين امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [1] . فلم يكن يرى في الخروج على الحاكم جدوى في حال ابتعاده -لا قدر الله- عن نهج الإسلام في سياسته ، فكثيراً ما روى التاريخ أخبار علماء ابتلوا بحكام عتاة ظالمين فخرجوا عليهم وحرضوا الناس في الخروج عليهم ، فكانت النتيجة خسارة المجتمع في قتلهم وتشريدهم أيما خسارة . وهذا لا يعني أن يسكت العالم عن كل خطأ يصدر عن الحاكم مخافة بطشه ، أو حبسه ، أو قتله ، فمتى فعل هذا كان ممن تواطأ مع الحاكم ضد مصلحة الرعية واشترى عرض الدنيا بأجر الآخرة .

ولقد رأى جلة علماء السلف الصالح -رحمهم الله-، أن إبداء النصيحة للحكام أجدى من الثورة عليهم والخروج على سلطانهم ، حين لم يروا كفراً بواحاً أو إلحاداً في آيات الله تعالى ، أو تغير أحكام الشرع [2] .

ومواقف الشيخ -رحمه الله- المحمودة وكتاباته ورسائله إلى ولاة الأمر تشهد له بأنه كان حكيماً في نصحه وإرشاده لهم ، معيناً لهم على إقامة العدل واستمرار وجوده، وتحقيق الخير لأبناء الأمة الإسلامية ، وتتحقق هذه المنفعة بوجود حكام عقلاء صالحين يتقبلون النقد من علمائهم ، ويستنيرون برأيهم ، ويعملون بمشورتهم . هؤلاء الحكام هم الذين يصدع بالحق أمامهم بلا خوف منهم ولا وجل وهذا داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات : ٥٣ ٥٤ .

(٢) الإسلام بين العلماء والحكام ، عبد العزيز البدري ، ط١ (المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٤١٧ هـ) ص١٠٤

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴿٢﴾ [(١)].

يقول معالي الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد بن إبراهيم عن سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود : (لو كان بين الشيخ محمد بن إبراهيم ومن عاصره من الملوك شعرة ما انقطعت لحكمته) [(٢)].

لذلك نجد أن الشيخ -رحمه الله- كان دائم النصيحة لولاة الأمر كلما تبين له ما يحتاج إلى نصح في سبيل إعانتهم ، ومساندتهم في تحكيم شرع الله ، فكان خير مثال في نصحه ومؤازرته ، وهذا واضح في أغلب نصائحه ورسائله الموجهة إلى الأمراء والملوك . من ذلك نصيحته إلى بعض الأمراء والتي يحثهم فيها على القدوم على العلماء طلباً لمشورتهم ، وعدم الانقطاع عنهم. يقول -رحمه الله-: (فاعلموا -وفقكم الله- أن عقيدتي التي أنا عليها أني أدين الله بالنصح والمحبة لكم ولجميع إخواننا المسلمين إلى أن ألقى الله عز وجل . وأهم شيء أنصحكم فيه وأعظمه إجابة داعي الشرع ، وأن لا تلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة ، ومن ذلك إجابة داعي إمام المسلمين ما لم يدع إلى الاجتماع على معصية ، وإنما دعا إلى الاجتماع على طاعة الله وعدم التفرق والاختلاف) [(٣)].

ومن ذلك نصيحته -رحمه الله- إلى عامة المسلمين والتي جاء فيها : (فيجب على جميع المسلمين التوبة إلى الله مما سلف من المعاصي والمخالفات ، وذلك بالتخلي من جميع المعاصي ، والندم حقاً على ما فات ، والعزيمة على عدم العودة ، فإنه لا توبة من المعاصي بدون ذلك . كما يجب اجتناب ذلك في المستقبل ، والصدق مع الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك واجب على ولاة المسلمين أن يقوموا بعزم صارم ، ويبذلوا الجهود حقيقة ، فإن الله جعل الأمور في أيديهم ، وهم الذين بين الله وبين خلقه)[(٤)].

هذه الأمثلة من النصائح الجليلة التي جاد بها -رحمه الله- إلى ولاة الأمر

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره : د. الأطرم ، و د. العمار ، ص١١٣-١١٤ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج٣ ص١٣٩-١٤٧ .

جعلت منه واحداً من دعاة الحق ، وهداة الخير ، وحراس العدالة ، أعانه على ذلك ما امتلأ به قلبه -رحمه الله- من الثقة بالله ، وما يعلمه من سلطان الدين الإسلامي على نفوس الأمراء وذوي السلطان ، المجبولون على العدل والإنصاف وتقوى الله عز وجل. قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١).



(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

المبحث الخامس

جهود الشيخ في الاحتساب

المطلب الأول: إقامة دواعي الحق وإسقاط دواعي الباطل

الدعاة ضربان : دعاة إلى الله تعالى وهم دعاة الحق ، ودعاة يدعون إلى غير الله تعالى ، وهم دعاة الباطل . يقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢) .

وكل ما خلا الدعوة إلى الله فهو زيف وضلال ، لأن الدعوة إلى الله هي دعوة إلى الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، وقد بينها الله ﷻ في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٣) وهي دعوة الحق ، لقوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤) .

والداعي إلى الله داعي إلى من خلق العباد والجماد وكل شيء خلقه فأحسن خلقه ، فهل هناك أقوم من طريق يوصل العباد إلى رب العباد ؟

أما الداعون إلى غير الله فهم الداعون إلى طريق الهلاك سواء أكانوا يدعون إلى بشر ، أو شجر ، أو شيطان . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (٥) . وقال أيضاً : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (٦) .

يقول عبد الله بن مسعود -رضي الله-: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٦٢ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٢ .
(٣) سورة المؤمنين ، الآية : ٧٣ .
(٤) سورة الرعد ، الآية : ١٤ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٤ .
(٦) سورة يونس ، الآية : ١٠٦ .

قال: (هذا سبيل الله مستقيماً) وخط عن يمينه وشماله ثم قال : (**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**)[١] ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٢].

ومما لا شك فيه أن أي مجتمع من المجتمعات يوجد فيه بعض الأمراض وبعض الآفات، وليس هناك مجتمعٌ على وجه الأرض سليماً أو معافى من هذه الأمراض والآفات . وقد يبتعد المرء عن الصواب إذا ادعى أن المجتمع الإسلامي لم يتعرض لهذه الأمراض ، وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي تحول فيه العالم إلى قرية صغيرة بفضل وسائل الإعلام واحتكاك المجتمعات بعضها ببعض .

ومن طبيعة المجتمع أي - مجتمع - أنه يتغير ويتبدل حسب طبيعة المرحلة التي يعيشها ، فكان هناك على الدوام وفي جميع المجتمعات أهل خير ، وأهل شر ، والمطلوب من أهل الخير أن يراقبوا ، ويعملوا ، وينتقدوا ، ويقفوا في مواجهة كل ما من شأنه أن يضر بكيان المجتمع وسلامته .

من هنا كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة كبيرة تفرضها طبيعة المجتمع وتغيره خاصة في المجتمع الإسلامي الذي تأثر كغيره من المجتمعات بقيم وأفكار جديدة أضرَّت به كثيراً ، مما أدى إلى انهدام الشخصية الإسلامية نتيجة لتهاونها بأمر دينها ، وسقوطها في هاوية المنكرات ، والانحراف ، والفساد الخلقي، والعقدي ، والاجتماعي ، مما زاد من عظم المسؤولية الملقاة على عاتق من يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

من هنا كانت مهمة الداعية إلى الله تعالى تقتضي منه أن يبين الحق لجميع الناس، ويرغب في اتباعه ، ويبين كذلك الباطل فيعريه ، ويحذر الناس منه ، ولا يترك حكماً أو قضية إلا ويبينها ، ويوضحها ، ويزيل غشاوتها ، ويقربها من الأفهام، فلا يتركها ملتبسة ، أو غامضة ، لأن هذا من شأنه تضليل الأمة ،

---

(١) رواه أحمد ، ج٢ ص٥٥ ، رقم الحديث ٤٤٢٣ . اسناده فيه مقال من أجل مجالد بن سعد ، انظر : مصباح الزجاجة ، شهاب الدين البوصيري ، ج١ ص٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣ .

والإضرار بها ، وعند الله ﷻ يكون خائنا لله ولرسوله وللمؤمنين ، عملاً بقوله ﷺ: (**الدين النصيحة. قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[١].

وقد أدرك الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- ما آلت إليه حال بعض المسلمين اليوم من تردي في الأخلاق والقيم الدينية ، ومن تهاون وتجاهل لأحكام ومبادئ الإسلام الصحيحة ، فكان واحداً من حماة هذا الدين ورجاله الذين حملوا لواء الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ، ورد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً ، بعدما ذابوا أو كادوا في أفكار ومعتقدات أعداء الإسلام .

فمن خلال جهوده -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب كان ينتقد ، ويوجه، ويرشد في سبيل إقامة دواعي الحق متمثلة بأخلاق الإسلام الحميدة وأحكامه الهادية إلى سواء السبيل ، وإسقاط دواعي الباطل المتمثلة بالأفكار المريضة والهدامة التي تستهدف جسد الأمة الإسلامية لتؤثر به بشتى أصناف الأسلحة والوسائل . فكان -رحمه الله- كلما رأى خللاً سارع إلى إصلاحه ، وكلما استشعر بدعة أو شبهة سارع بكل ما أوتي من قوة وعزم في إخمادها . وكلما سمع صوتاً باطلاً أجهز عليه بصوت الحق حتى يسكته ، فكان المثل العظيم الذي يحتذى به في الدعوة إلى الله . قال رسول الله ﷺ : (**إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير . فطوبى لمن كان مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه**)[٢].

وفتاوى الشيخ -رحمه الله- وما تضمنته من نصائح وإرشادات ، ورسائله، ومؤلفاته دليل على ما ذكر من حرصه على إقامة دواعي الحق ، وإسقاط دواعي الباطل، وحرصه الدائم على فتح أبواب الخير ، وإغلاق أبواب الشر . جاء في

---

(١) سبق تخريج الحديث .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : كتاب : الكتاب العاشر من شعب الإيمان ، وهو باب في محبة الله عز وجل ، باب : الفصل الثاني في ذكر آثار وأخبار وردت في ذكر الله عز وجل ، ج١ ص٤٥٥ ، رقم الحديث٦٩٨ . حديث ضعيف ، انظر: مصباح الزجاجة ، شهاب الدين البوصيري ، ج١ ص ٧٨ .

نصيحة وجهها سماحته إلى عامة المسلمين : (فإنه قد اشتد الخطب ، وانفتح باب الشر على مصراعيه ، ولم يزل في مزيد . وإن كان ربنا تبارك وتعالى قد مَن ببقاء أصل هذا النور وتأييد هذا الحق بما أجراه على أيدي علماء الصدق ورثة الرسل من تجديد هذا الدين ، وإقامة حجج الله على عباده . ومع ذلك فالأمر على ما وصفته من تأثير مساعي إبليس وجنوده على الأكثر ، حتى اشتدت الكربة، وصار الدين في غاية من الغربة ، ولا سيما أزماننا هذه التي صار فيها عند الأكثر المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، رُبي على ذلك الصغير ، وهَرِمَ عليه الكبير ، وطغى طوفان المادة ، وأخفى غبار الشبهات والشهوات وضوح الجادة ، وفشا الجهل ، وتكلم في الأمور الدينية من ليس لها بأهل ، حتى صرح من صرح من جهلتهم فيما يكتبونه وينشرونه بمزيد الحث والتحريض على ما هو أعظم ما يهدم الإسلام ، وينسي أصوله العظام ، وأصبحت القلوب إن لم تمت في غاية من أنواع الأمراض ،مرض الجهل ، ومرض الشهوة ، ومرض الشبهة ، حتى استولت عليها القسوة والظلمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1].

وقد كان هدف الشيخ -رحمه الله- إقامة المجتمع الإسلامي المرتكز على أسس متينة من العقيدة الصحيحة المتمثلة في سلوكيات وأخلاقيات أبناء هذا المجتمع من خلال تعاضدهم وتواصيهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمتى تحقق هذا المطلب فيهم كانوا أمة واحدة كالبنيان المرصوص ، أمة قوية في عقيدتها، قوية في إسلامها ، قوية في تماسك أفرادها ، وتناصحهم وتعاونهم على البر والتقوى .

وقد مكث الشيخ -رحمه الله- بين الناس يحثهم على مكارم الأخلاق ، ويشحذ هممهم للجهاد في سبيل الله للقضاء على الشر ، وترك متاع الدنيا مهما بدا بريقه جذاباً ، وإعلاء كلمة الله والجهر بها ، وعدم السكوت على انتهاك محارم الله .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٤-١٨٧ .

يقول -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين : (وها هنا منكر فوق ما يخطر ويدور في الخيال ، وأعظم مما قدمناه من جميع المنكرات ، وهو منكر عدم تغيير المنكر ، وعدم الغيرة لمحارم فاطر الأرض والسماوات ...) [١].

فالشيخ -رحمه الله- يعتبر عدم تغيير المنكر والسكوت عنه من أعظم المنكرات، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأعمدة التي يرتكز عليها الدين، وهما ركنان مهمان في صرحه فمتى وهن هذان الركنان آل البنيان إلى السقوط .

يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله-: (اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من أعظم عمد الدين لأن بهما حصول مصالح الأولى والأخرى ، فإن كانا قائمين قام بقيامهما سائر الأعمدة الدينية والمصالح الدنيوية . وإن كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الأمور الدينية والدنيوية) [٢].

فمن صور إقامته -رحمه الله- لدواعي الحق وإسقاط دواعي الباطل استحقاره وتحذيره من البدع التي وقع فيها كثير من الناس فضلوا بها عن نهج الشريعة الإسلامية . يقول -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين : (فأوجب الواجبات إخلاص العمل لله وحده ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ وأنكر المنكرات الشرك بالله ، والابتداع في الدين بشرع ما لم يأذن به الله) [٣].

إننا نلمس من خلال هذه النصيحة شدة إنكار الشيخ -رحمه الله- للبدع ، فقد اعتبرها من أنكر المنكرات بعد الشرك بالله ﷻ . ولو أمعنا النظر في هذه النصيحة القيمة لسماحته وجدناها تشتمل على عدة مضامين منها :

أولاً : أن البدعة من أكبر الكبائر . يقول تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [٤].

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧١-١٧٧ .

(٢) رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز ، الإمام محمد الشوكاني ، تحقيق : محمد إبراهيم الشيباني ، ط٢ (الكويت : مكتبة ابن تيمية) ص١٧-١٨ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧٧-١٨١ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٣١ .

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: (ولما كانت البدع المضلة جهلاً بصفات الله وتكذيباً أخبر به عن نفسه ، وأخبر به عن رسول الله ﷺ عناداً وجهلاً كانت من أكبر الكبائر ، وإن قصرت عن الكفر ، وكانت أحب إلى إبليس من كبائر الذنوب)[١].

ثانياً : البدعة اتهام للشريعة الإسلامية بأنها شريعة ناقصة ، وأنها لم تأتِ بكل ما يتعلق بالإنسان في دنياه وآخرته ، وهذا كفر وتكذيب لما جاء به القرآن الكريم . يقول تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٢].

ثالثاً : بما أن الابتداع اتهام للشريعة بالنقص ، فإن هذا يعني أن النقص لا يأتي إلا من نقص . وهذا كفر بصفات الله ﷻ وكماله ، ومنافاة لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾[٣] . يقول ابن القيم -رحمه الله-: (المبتدع قادح في أوصاف الرب وكماله)[٤].

رابعاً : الابتداع في الدين اتباع للهوى . يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ۝ ﴾[٥] .

قال ابن كثير : (أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله)[٦]. وهذا هو شأن المبتدع الذي يبتدع أموراً ليس لها من سند من كتاب ولا من سنة .

خامساً : البدعة تحمل صاحبها وزرها ، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ

---

(١) الداء والدواء ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي ، ط (القاهرة : دار الحديث) ص٢٥٠.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٣) سورة الاخلاص ، الآيات : ١-٤ .

(٤) الداء والدواء : ابن قيم الجوزية ، ص٢٥١ .

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٣ ص٥٢٠ .

يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[١]. وقوله ﷺ (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[٢].

لأجل هذا فقد أنكر سماحة الشيخ -رحمه الله- على الناس كثير من البدع والشبه مثل التعلق بالقبور والأضرحة ، ودعوة غير الله ، والاحتفال بالمولد النبوي ، وتعليق التمائم و الحروز وغيرها .

المطلب الثاني: المحافظة على شخصية المجتمع السعودي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة

قد مَنَّ الله -جلت حكمته- على هذه البلاد بأن اختارها لتكون مهداً لأعظم دين سماوي ، واختار من هذه الأرض خاتم الأنبياء والمرسلين لتبليغ هذه الرسالة ، وأنزل عليه أعظم كتاب وهو القرآن الكريم .

لقد جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولتحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية . فهو دين خير ، وعدل ، وتسامح ، ودين عمل ، وجدٍّ ، واجتهاد ، من آمن به فاز وسعد ، ومن كفر به خاب وخَسِرَ . وبفضل الله وحمده فقد آمن أبناء هذه الأرض المباركة بهذا الدين ، وعضوا عليه بالنواجذ ، وتمثلوا أحكامه ، وقيمه ، وأخلاقياته ، فالمجتمع السعودي مجتمع مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره . وهو مجتمع قائم على تحكيم الشريعة الإسلامية في كل صغيرة وكبيرة ، نابذاً القوانين الوضعية التي شرعها البشر ، متمثلاً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قولاً واعتقاداً .

ومع توالي السنون والقرون على ظهور الإسلام ، وانتقال الحياة من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال ، فقد ابتُليت معظم المجتمعات العربية والإسلامية في هذا العصر بهجمات شرسة استهدفت شخصية الإنسان المسلم في عقيدته ودينه، وحاولت إفراغ الدين الإسلامي من محتواه العقدي من خلال التشكيك بالقرآن الكريم، والتشكيك بالشريعة المحمدية بدعوى أن هذه الشريعة غير قابلة

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٢٥ .

(٢) سبق تخريج الحديث.

للتطبيق في كل عصر ، وأنها قاصرة عن تحقيق مطالب إنسان العصر الحاضر . كما عمد دعاة الكفر والإفساد إلى تشويه سيرة الرسول ﷺ من خلال ادعاءات ، وافتراءات مغرضة هدفها النيل من شخصه ﷺ ومن الدين الذي أنزل عليه . فحاول المشوهون التعرض لحياته الخاصة ، ولحياة أزواجه ، وأصحابه بالنقد والتجريح والتحريف . كما حاولوا إبعاد الحياة الاجتماعية عن القيم الإسلامية ، فدعوا إلى اختلاط النساء بالرجال سواء في العمل ، أو في الجامعة ، أو المدرسة ، كما دعوا إلى نبذ حجاب المرأة المسلمة بدعوى تحريرها ، كما شجعوا على الفجور من خلال الغناء والموسيقى ، وشرب الخمر والمجون . وعموماً فقد حاولوا بكل مافي وسعهم أن ينسفوا الإسلام ويحولوه إلى حطام كي يبنوا فوقه حضارة الفساد والإلحاد ، ناسين أن الدين الإسلامي دين رسالة خالدة ، وأنه من صنع الذي أتقن كل شيء خلقه .

ولقد حاولت الأيادي الدنسة أن تمتد إلى المجتمع السعودي رمز الدين الإسلامي وقلعته الحصينة من خلال دس الأفكار المضللة ، والعادات المخالفة للشريعة الإسلامية ، لعلمهم أن السيطرة على الرأس تسهل السيطرة على باقي أجزاء الجسد ، فعادت هذه الأيادي بفضل الله ورحمته من حيث أتت خائبة خاسرة لا تلوي على شيء .

ولا يمكن ادعاء العصمة لأحد ، ولا يمكن إنكار أن رياح هذه الأفكار قد أطاحت ببعض نفوس الأفراد ، وهم قلة ، فالغالبية منهم لم تتأثر مظهراً وجوهراً ، فظلوا متمسكين بدينهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم . فمن ناحية اللباس لا يمكن لأحد أن ينكر أن الرجل والمرأة في المجتمع السعودي ما زالا محافظين على لباسهما الإسلامي الساتر لجميع أجزاء الجسد ، والذي يضفي على الشخص هيبة وجمالاً . ومن ناحية العبادات نجد أن جُل مساجد المملكة تكاد تعمر بالمصلين في كل وقت. بالإضافة إلى المحافظة على باقي العبادات من صوم وزكاة وحج ....الخ .

ورغم تمسك أبناء المجتمع السعودي المتين بهذا الدين وأحكامه فإنه لم تقر عين المسلمين الغيورين على دينهم ، ولم يهنأ لهم بال خوفاً من أن تقوى شوكة

أعداء هذا الدين ويتغلغلوا خفية بين صفوف أبناء المجتمع . فقام علماء هذه الأمة آحاداً وجماعات يحذرون الناس منهم ويظهرون خطرهم وضررهم ، ويكشفون ضلالهم وزيفهم ، ويدعون الناس إلى التمسك بدينهم ، ونبذ ما خالفه من أفكار ومعتقدات . يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- الذي كان واحداً من القلاع الحصينة التي وقفت تنافح عن هذا الدين العظيم والتي أرقها ما آلت إليه حال بعض المسلمين اليوم من تشتت وضياع وبعدٍ عن الله ﷻ :

(...إلا أن إبليس -أعاذنا الله منه- لشدة عداوته لبني الإنسان وعظيم تغلغله بالكفر والطغيان ، ومزيد جده في الصد عن طاعة الرحمن ، وإن كان قد صدر منه ما صدر من اليأس ، لم يدع الجد في إطفاء هذا النور ، والتنفير من الحق، والترغيب في أنواع من الكفر والإلحاد والفجور ، والدعوة إلى البدع ، والإكثار من الأز [1] إلى المعاصي والشرور ، وبث الشبهة والشهوات ، وألوان المغريات على أيدي حزبه ومن استجابوا له من شياطين الإنس ، ومن أنواع الخدع بزينة الدنيا وزخارفها الفتانة ، وضروب الشهوات ، وشتى أسباب الصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة من أجناس الملاهي وصنوف المسكرات ، حتى ثقل على القلوب سماع القرآن ، وحصل التهاون بوعيده ، وعدم الاهتمام بزواجره وتهديده ، ولا سيما بعدما تصرمت أيام القرون المفضلة ، فإنه قد اشتد الخطب ، وانفتح باب الشر على مصراعيه ، ولم يزل في مزيد . وإن كان ربنا تبارك وتعالى قد مَن ببقاء أصل هذا النور ، وتأييد هذا الحق بما أجراه على أيدي علماء الصدق ورثة الرسل من تجديد هذا الدين ، وإقامة حجج الله على عباده . ومع ذلك فالأمر على ما وصفته من تأثير مساعي إبليس وجنوده على الأكثر ، حتى اشتدت الكربة ، وصار الدين في غاية من الغربة) [2].

وإيماناً من الشيخ -رحمه الله- بأن المحافظة على شخصية المجتمع الإسلامي

---

(١) الأز : التهييج والإغراء . قال تعالى : (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) سورة مريم ، الآية ٨٣ . قال الفراء : أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها . وللاستزادة انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج٥ ص٣٠٨ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٤-١٨٥ .

وتماسكها ، وقوتها ، ينبع أساساً من تحكيم الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة ، لذلك فقد حارب -رحمه الله- القوانين الوضعية ، وحرم العمل بها لأن واضعها من البشر ، والبشر يحكمهم القصور والعجز ، وتأثرهم بأهوائهم وعواطفهم. أما الشريعة الإسلامية فهي شريعة كاملة متكاملة وضعها الله -عز وجل- لا يعتريها نقص ولا تشوبها شائبة ، شريعة صالحة لكل البشر ، وهي رحمه وهداية لجميع العباد ، وليست تشريعاً يخص أمة معينة دون غيرها ، أو جنس دون آخر. يقول -رحمه الله- : (الذين لا يحترمون الشرائع ، ولا يعظمون الله ، أرادوا إضلال الناس بالقوانين الملعونة الإفرنجية . فهم يقعون في أهل الشريعة ، ويقولون إن الشريعة لا يحصل بها قطع النزاع ، وليس فيها بيان الحق . وهذا في الحقيقة روح المصادمة والمحاربة لما جاء به الرسول ﷺ من الشرع المطهر ، ووضع شبه تصد عن الصراط المستقيم ، وهو عبادة الله وحده)[١].

(وإنما استطاعت الشريعة الإسلامية أن تفي بحاجات كل المجتمعات التي حكمتها ، وأن تعالج كافة المشكلات في كل البيئات التي حلت بها -رغم تنوعها وتعددها- بأعدل الحلول وأمثل الأحكام ، لأنها جمعت من المزايا والخصائص ما لم يجتمع لنظام قانوني قبلها ولا بعدها)[٢].

ولقد آلم الشيخ -رحمه الله- ما رأى من انغماس الناس في الترف وحب الدنيا ، والركون إليها ، فلقد مَن الله ﷻ على هذا البلد بالخير الوفير ، وبالنعم الكثيرة، وهذه النعم إنما هي ابتلاء من الله ﷻ وامتحان ليرى هل تشكر هذه النعم، أم يكفر بها . لذلك فقد حذر -رحمه الله- هذا المجتمع من الإسراف والانغماس في هذه النعم ، ونسيان حق الله منها ، وكل ذلك للمحافظة على شخصية الإنسان المسلم الزاهد في الدنيا ، الحذر منها ، الطالب للآخرة العامل لها. يقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه إلى عامة المسلمين :

(ومما ينبغي التفطن له ما ابتلى به كثير من الناس من الإسراف في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٢ ص٦ .

(٢) شريعة الإسلام : د. يوسف القرضاوي ، ص١٨ .

المباحات والانغماس في الترف ، وإعطاء النفس جميع ما تميل إليه من حظوظها ، وشهواتها، وملاذها . وهذا وإن كان أصله من جنس المباحات ، فقد يحتف به من الأحوال ما يجعله من الممنوعات . وقد نعى الله على قوم مثل ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴿٢٠﴾ ﴾[1] .

هذا الحث على الإكثار من شكر النعم التي أنعم الله بها على عباده في هذا البلد قد ورد في كثير من نصائحه -رحمه الله-، وكتاباته . يقول في إحدى هذه النصائح :

(فأذكركم بما مَن الله عليكم من التوحيد ومعرفة دين الإسلام ، والاهتداء بهديه ، والاستضاءة بنوره ، مع ما انضم إلى ذلك مما أنعم الله به من هذه الولاية الدينية العامة التي ساد الأمن فيها وانتشر ، وجرت ونفذت فيها أحكام الشريعة الإسلامية على الكبير والصغير ، والحر والعبد ، فلله ربنا مزيد الحمد والثناء ، فاشكروا عباد الله هذه النعمة ، واغتبطوا بها ، وارعوها حق رعايتها، واقدروها حق قدرها ، وتحدثوا بها كثيراً ، وتواصوا فيما بينكم بالتمسك بما يحفظها ، والتحذير من ارتكاب أسباب زوالها وقرارها . فإن النعم إذا شكرت درت، وتزايدت، وقرت . وإذا كفرت تناقصت ، وانمحقت ، وفرت)[2] .

ومن شدة خوفه -رحمه الله- على ضياع الهوية الإسلامية لأبناء هذا المجتمع فقد نهى أشد النهي عن التأثر والتشبه بحياة وأفكار الغرب أعداء الإسلام ، وأعداء المسلمين ، كما نهى عن مخالطتهم أو مساكنتهم إلا للضرورة . وكان -رحمه الله- أكثر ما يخاف على النشء من الشباب أن يتأثروا بهم من خلال قراءة الكتب التي تسيء إلى الإسلام ، وخصوصاً كتب الملاحدة والزنادقة . يقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه إلى المسلمين للاهتمام بنشئهم وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة:

(ومن ذلك ملاحظة الشباب وحفظهم وتربيتهم التربية الشرعية الدينية ،

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٠ . وللاستزادة انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٧-١٧١ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧٧ .

وتهذيب أخلاقهم عن رديء الكلام ومخالطة الأشرار . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [١] . وقال النبي ﷺ : (**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق إطراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم**) [٢] . وقال ﷺ : (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**) [٣] . فأولياء الشباب مسئولون عنهم ، ولا يحل لهم إهمالهم، بل يجب عليهم صيانتهم والاعتناء بهم ، وتعليمهم العلوم الشرعية ، وتجنيبهم جميع الأمور المضرة لأديانهم ، وعقولهم، وأخلاقهم ، ومعارفهم) [٤] .

وفي سبيل المحافظة على شخصية المجتمع السعودي وحفظه عن كل ما يفسد فطرته السليمة ، فقد منع الشيخ -رحمه الله- البعثات التعليمية إلى خارج المملكة وخصوصاً إلى دول الغرب ، خوفاً من تأثر الشباب بأفكار المبشرين ، والملاحدة ، فقد كان يعلم الشيخ -رحمه الله- المحاولات المستميتة للمبشرين وغيرهم من أعداء الإسلام في سبيل جر المسلمين إلى مصائدهم بشتى الوسائل والسبل ، كي يشوهوا صورة هذا الدين ، ويشككوهم بعقيدتهم ودينهم . يقول -رحمه الله- في رسالة موجهة إلى المسئولين عن البعثات العلمية إلى خارج المملكة :

(أما الذي أراه يتعين ولا يسوغ العدول عنه هو منع البعثات إلى الخارج بتاتاً سداً لباب الردة والنشء الكفري ، وقطعاً لمادة الفتنة ، وتمييزاً وتفريقاً بين الحق والباطل باتخاذ تعليم ما يلزم تعليمه في نفس المملكة . وجلالة الملك أيده الله جازم بهذا ، ولدى جلالته غاية المعرفة بغوائل البعثات . ووجود النشء في البلاد الأخرى بمجرده غاية في الشر ، فكيف وجودهم هناك مرتضعين لدى مدارس التبشير والكفر ، أو مدارس الإلحاد والبدعة وإن ادعوا الإسلام) [٥] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

(٢) سبق تخريج الحديث .

(٣) سبق تخريج الحديث .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٧-١٧١ .

(٥) المرجع السابق ، ج١٣ ص٢١٧ .

والتعليم العالي عند المبشرين لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم ، ذلك لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة ، بل لعله أهم منها كلها . ولقد أدرك المبشرون منذ زمن أن التبشير قد خاب لأن الأفراد الذين لَفَتَهم المبشرون عن الإسلام إلى النصرانية كانوا قليلين ، ولم يكن لهم الأثر المنتظر ، فلما اعتقدوا أن لا قدرة لهم على جعل المسلم نصرانياً أحبوا أن يجعلوا الآراء المسيحية تتسرب إلى المسلمين وإلى المثقفين منهم خاصة ، ثم إنهم اعتقدوا أن هذه الآراء تتسرب بعدئذ من تلقاء نفسها إلى المجتمع الإسلامي)[١] .

ثم إن مدارس الإلحاد التي عناها الشيخ -رحمه الله- بالإضافة إلى مدارس التبشير من أخطر الوسائل التي يستعين بها أعداء الإسلام في القضاء على هذا الدين من خلال ما يدرس فيها من شركيات وبدع ، وأفكار مضللة لا تسمن ولا تغني من جوع ، بل على العكس تهدد معتقد الإنسان المسلم ، وتسلخه عن قيم دينه ومجتمعه التي نشأ وتربى عليها ، فلا يرجى الخير ممن أنكر وجود الإله ، فضل وأضل .

يقول ابن الجوزي رحمه الله : (وقد حكى لهؤلاء المتأخرين من أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ، ويعتقدونها نواميس وحيلاً ، فصدقوا فيما حكي لهم عنهم ، ورفضوا شعار الدين ، وأهملوا الصلوات ، ولابسوا المحذورات ، واستهانوا بحدود الشرع ، وخلعوا ربقة الإسلام)[٢] .

وقد حاول الشيخ -رحمه الله- سد كل باب من شأنه أن يؤثر على عقيدة الإنسان المسلم ، أو يسيء إلى الدين الإسلامي ، وذلك كي يبقى المجتمع دينه وديدنه الإسلام .

ولقد ذكرنا سابقاً بعضاً من مواقفه -رحمه الله- التي تصدى فيها لمن تسول له نفسه الاقتراب من حمى الإسلام بسوء ، من ذلك ما تناهى إلى سمعه من أن

---

(١) الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، د. شوكت محمد عليان ، ط١ (الرياض : دار الرشيد للنشر والتوزيع ١٤٠١هـ) ص٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) تلبس إبليس ، ابن الجوزي البغدادي ، تحقيق : علماء الأزهر الشريف ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٣٦٨هـ) ص٤٩ .

المملكة سوف تتبرع بقطعة أرض كي تقام فوقها كنيسة للمقيمين في المملكة من غير المسلمين ، وكيف سارع -رحمه الله- إلى إرسال رسالة إلى جلالة الملك سعود -طيب الله ثراه- ينصحه فيها على إنكار هذا الأمر ، ورفضه رفضاً مطلقاً[١]، ورسائله أيضاً لولاة الأمر بمنع الدجالين والمشعوذين[٢]، ورسائله في طرد أصحاب الملل من القاديانية ، والأباضية وغيرها[٣] ، المخالفة للعقيدة الإسلامية . كما نهى -رحمه الله- أشد النهي عن مشابهة الكفار وتقليدهم والمحافظة على لباس المرأة المسلمة الشرعي ، وعدم اختلاطها بالرجال[٤].

ولقد كانت للشيخ -رحمه الله- جهوداً جليلة أيضاً ليس في المحافظة على شخصية المجتمع السعودي فحسب ، وإنما في المحافظة على شخصية المجتمع الإسلامي بشكل عام أيضاً ، فجميع نصائحه الموجهة إلى المسلمين ، ورسائله التي كان يبعث بها إلى المسلمين خارج المملكة كلها كانت تدعوهم إلى الوقوف صفاً واحداً ، ويداً واحدة في مواجهة أعداء الإسلام . وما إنشاؤه -رحمه الله- لرابطة العالم الإسلامي إلا لتوحيد صفوف المسلمين في كل أنحاء الأرض ، وربطهم برابط الإسلام المتين من خلال كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

يقول -رحمه الله- في خطبته الأولى التي ألقاها في مجلس الرابطة في ١٥/ ١٢/ ١٣٨٢هـ: (أيها العلماء الكرام ، والفضلاء الفخام ، تعلمون أن هدف هذه الندوة الوحيد هو التعارف ، وإيجاد رابطة تتسم بروح دينية حقة ، وبحث مشاكل المسلمين الدينية والدنيوية ، وإيجاد الحلول العلمية لها ، ولا سيما مشكلة واقع المسلمين ، وما أصيبوا به في دينهم من التغيير والتبديل ، وتسليط العدو بسبب ما اقترفته أيديهم من تفريط وإهمال وإعراض وغير ذلك ، وما دسه أعداء الدين على الإسلام من دسائس لقصد القضاء على الإسلام ، لهذا يجب علينا أن

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٨٥ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٢٦٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج١٠ ص٣٦ .

نتكاتف، ونصير طائفة واحدة في نصرة الحق ، وإقامة العدل ، وتفنيد الباطل)[١].

ومن كلماته أيضاً -رحمه الله- في ضرورة تكاتف المسلمين ، واجتماعهم في صف واحد ، وعلى يد واحدة ، خطبته التي ألقاها في حفل افتتاح المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٨٤هـ والتي يقول فيها :

(أيها الأخوة : إننا في زمن نحن فيه أحوج ما نكون إلى هذا الاجتماع لندرس ونتناقش في مشاكلنا وفيما يكيده لنا أعداء الإسلام من مكائد ، وما يدسونه بين صفوفنا من مؤامرات ، وما ينفثونه في مجتمعنا الإسلامي من سموم ، وما يروجونه في أمتنا من أضاليل يستهدفون من وراء ذلك زعزعة العقيدة الإسلامية ، والتشكيك في مبادئها الحكيمة ، ونظامها السماوي الكامل ، ودستورها المقدس . وقد سلك أعداء الإسلام هذه السبل لعلمهم بأن انتصار المسلمين وانتشار العقيدة الإسلامية يقض مضاجعهم ، ويقضي على مبادئهم الخبيثة ونفوذهم الاستعماري المقيت)[٢].

المطلب الثالث: حسم أسباب الفساد

قال تعالى في كتابه العزيز:﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾[٣].

أجمع أغلب المفسرين على أن الإفساد في الأرض يكون بالشرك والمعاصي بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل ، وبيان الشريعة . وقال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾[٤].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية بأن الفساد هو : (النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي . ويقول : قال أبو العالية : (من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة)[٥].

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٨٩ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩٨-١٩٩ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦ .

(٤) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج٣ ص٥٧٦ .

من هنا كان الإنسان أصل الفساد في الأرض ، فلو ترك هذا الإنسان على هواه يأتي من الأفعال ما يشاء دون رقيب عليه أو حسيب ، لعمت الفوضى ، واستشرى الفساد ، وطغى الظلم ، وساد الجور ..

ومن رحمة الله ﷻ بالعباد أن أصلح الأرض بأن شرع للناس الديانات ، وأرسل لهم الأنبياء بما يحملونه من رسالات تعصمهم من الشرور والفساد ، ولإحلال الحق ، وإزهاق الباطل ، وتحقيق الأمن والاستقرار . وأمر ﷻ أن لا يعبد في هذه الأرض غيره، ولا طاعة فيها إلا إليه ، لأن العبادة لغير الله ، والإشراك به هو أعظم الفساد في الأرض ، ومن أسباب الفتن ، والقحط ، وتسليط الأعداء .

وإدراكاً من الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- لعظم البلاء الذي قد يقع بالأمة نتيجة لظهور الفساد ، فقد بذل ما في وسعه لرصد أسبابه والقضاء عليه أينما كان ، فلم تكن هذه المهمة بالسهلة ، بل إنها تتطلب عيناً يقظة ، وفكراً حاذقاً عالماً بأحوال الناس يرقب حركة المجتمع ، وحياة أفراده ، وطرق معيشتهم ، واختلاف أفهامهم وبيئاتهم . يقول -رحمه الله-:

(والمعاصي تختلف ويختلف العاصي . من الأشياء ما لا يخفى تحريمها على الناشئ بين المسلمين ، ومنها ما يخفى . أما الناشئ في البادية البعيدة فهذا يخفى عليه من التحريم ما لا يخفى على الناشئ بين المسلمين ، وليس من شرطه إذا علم أنه معصية أن يعلم أنه يقام عليه الحد ، كمبطلات الصلاة)[1].

كما كان -رحمه الله- عالماً بتركيبة المجتمع ، وتركيبة الأسرة التي تكونه وعلى علم واسع بالأنساب والقبائل ، وعلى دراية كبيرة بمصادر أرزاق الناس ، وأعمالهم ، ومعاملاتهم ، مما جعله داعية يجيد فن التعامل مع جميع أصناف البشر . وكان منهجه يقوم -كما ذكرت سابقاً- على مبدأ : الوقاية خير من العلاج ، من خلال أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر باللين والرفق ، لأن الإنسان يميل إلى من

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١١ .

يرفق به ويرأف لحاله . قال رسول الله ﷺ : (**إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه**)[١] .

ولقد كان الشيخ -رحمه الله- واحداً من أهم رواد الإصلاح في البلاد ، بذل في حياته جهداً كبيراً في القضاء على الفساد من خلال عزيمته ، وقوة شخصيته . فقد كان يشجع الناس على فعل الخير ، ويحببهم فيه حتى يغدوا خلقاً أصيلاً فيهم ، وهذا من شأنه أن يسد أبواب الشر والفساد ، ويضيق مسالكه ، ويلجئه إلى أضيق السبل فأمثاله -رحمه الله- من العلماء المصلحين المخلصين هم بمثابة صمام الأمان للأمة ، وسبب من أسباب نجاتها من الشرور والفساد ، لأن الأمة إذا خلت ممن يذود عن حياضها ، ويعمل لصالحها ، كان مصيرها الهلاك والفناء . يقول تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[٢] .

وقد كان -رحمه الله- يؤكد في كل مناسبة على أن أصل الفساد في الأرض هو الإخلال بتقوى الله ، والبعد عن أوامره التي تصون حياة الإنسان وحياة المجتمع من الفساد والشرور والمنكرات . يقول -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين :

(..... وكل فساد ونقص في الاعتقاد ، والأخلاق ، والأعمال ، والعلوم، والفهوم والقوى ، والإرادات ، والتصورات ، وغور المياه ، وحبس القطر من السماء ، ونقص الحروث والثمرات ، وغير ذلك فسببه الإخلال بتقوى الله، وعدم المبالاة بأوامره ونواهيه ، وقلة الاكتراث بوعيد الله الذي يعيده في كتابه ويبديه)[٣] .

وكان -رحمه الله- شديد الغيرة على محارم الله أن تطالها يد الفساد ، فمتى رأى شيئاً من ذلك ، أو سمع به لم تقر نفسه حتى يسعى في القضاء عليه وإخماده ،

---

(١) أخرجه مسلم ، ج٤ ص٢٠٠٣ ، رقم الحديث ٢٥٩٣ .
(٢) سورة هود ، الآية : ١١٦ .
(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ ص١٤٤ .

فكان إما أن يقوم بهذه المهمة بنفسه ، وإذا لم يقدر كان يبعث بالرسائل إلى ولاة الأمر والجهات المعنية به. وأغلب رسائله ومكاتباته ، ونصائحه الموجهة إلى ولاة الأمر ، الوجهاء والأعيان ، كانت تتضمن ما يكون فيه إغلاق لباب شر ، أو فتح لباب خير . من ذلك رسالته إلى جلالة الملك سعود -رحمه الله- بخصوص ما ورد في جريدة الجمهورية المصرية من أن قساً سيزور المملكة للقيام بأعمال القساوسة ، وسيقيم فيها بصورة دائمة . جاء في الرسالة : (أقول -حفظكم الله- هذا أمر عظيم جداً ، وأعتقد أن ما نشرته هذه الجريدة كذب عليكم ، وأنكم أبعد الناس عن إقرار مثل هذا الأمر ، وأغيرهم على دين الإسلام، لأن هذا لا يفعله إلا الزائغون عن الحق ، وأنتم لله الحمد ممن عرف بالتمسك بالدين والمحافظة عليه ، والذود عن حوزته . فيتعين -حفظك الله- المبادرة في إعلان تكذيب الخبر في إذاعة مكة ، وفي صحف المملكة ، وفي إذاعة مصر ، وصحف مصر . وأسأل الله أن يجعلكم نصرة لدينه ، ويحفظكم بالإسلام)[1].

والفساد يتبدى في أشكال وصور مختلفة ، وأسبابه كثيرة ومتشعبة . لذلك كان خطره جسيماً ، وعلاجه ليس بالأمر اليسير .

ويمكن إجمال مظاهر هذا الفساد وعلاجه من خلال ما تضمنته فتاوى الشيخ -رحمه الله- بالتالي :

أولاً : فساد عقدي : وقد تمثل هذا الفساد في الخروج عن عقائد الإسلام وأحكامه، وتعطيل الشريعة الإسلامية ، والقدح فيها ، بسبب مشابهة بعض المسلمين للكفار، والتأثر بمذاهبهم المعادية للإسلام ، كالشيوعية ، والوجودية وغيرها. يقول -رحمه الله- في الخطبة التي ارتجلها في افتتاح الدورة الرابعة لاجتماعات رابطة العالم الإسلامي في ١٥/ ٧/ ١٣٨٣هـ :

(ويعلم جميع المشايخ الفضلاء أننا مغزوون في عقر دارنا من (صنفين) من الناس: أحدهما أعداء الدين العداوة المحضة ، والصادون عن سبيل الله صداً بيناً صراحاً. والقسم الثاني من يتسمون بديننا وينتسبون إليه ، وهم في الحقيقة

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٣٩ .

أعداؤه والساعون في هدمه من أصله ، ولم يصل العدو الصريح من الإفرنج إلى ما وصلوا إليه من أغراضهم ، ولا نالوا ما نالوه من المسلمين إلا بسببهم ؛ فهم أعظم شيء ضرراً على الدين ، وعند بعضهم من النفاق الاعتقادي النصيب الوافر ، وعند بعضهم من الإلحاد ما أخرجهم من الدين . وكل محنة ، وكل سوء يكاد به الإسلام بكل بلية من البلايا لم يصب بها المسلمون إلا من قبلهم ، والواقع أصدق شاهد)[1].

وقد تمثل الفساد العقدي أيضاً في اعتقاد بعض الناس النفع والضر في غير الله، من خلال التبرك والتمسح بقبور الأولياء والصالحين إلى تعليق التمائم والحروز، أو بناء المساجد على القبور ، وغيرها من البدع والشبه . وقد نهى - رحمه الله- عن ذلك أشد النهي ، وحذر منه ، وأغلظ القول على هذه الفئة من الناس. فقد سئل سماحته مجموعة أسئلة تتعلق بإقامة الاحتفالات عند أضرحة الأولياء والشهداء في يوم معين من كل سنة، وسئل عن جمع النذور والصدقات لها، وإنفاق الأموال عندها، كما سئل عن التوسل والاستغاثة بأصحابها من الأموات ، والطواف بها ، والعكوف عندها ، فأجاب -رحمه الله- بعد أن قدم الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة فقال : (...وبالجملة فجميع ما تضمنه هذا السؤال هو من المنكرات في الدين ، ومما يغضب رب العالمين وأولياءه الصالحين ، ولا يرضى بذلك من في قلبه أدنى غيرة لله سبحانه)[2].

ثانياً : **فساد فكري** : وقد تمثل هذا الفساد في الإعجاب بالفكر الغربي المناقض للفكر الإسلامي والقيم الإسلامية الذي هدفه الكيد للإسلام ، وزعزعة عقيدته ، والتشكيك فيها . يقول الشيخ -رحمه الله- في خطبته التي ألقاها في رابطة العالم الإسلامي في عام ١٣٨٤هـ :

(أيها الأخوة : إننا في زمن نحن فيه أحوج ما نكون إلى هذا الاجتماع لندرس ونتناقش في مشاكلنا ، وفيما يكيده لنا أعداء الإسلام من مكائد ، وما

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٩٩ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص١١٨-١٢٧ .

يدسونه بين صفوفنا من مؤامرات ، وما ينفثونه في مجتمعنا الإسلامي من سموم ، وما يروجونه في أمتنا من أضاليل ، يستهدفون من وراء ذلك زعزعة العقيدة الإسلامية والتشكيك في مبادئها الحكيمة ، ونظامها السماوي الكامل ، ودستورها المقدس . وقد سلك أعداء الإسلام هذه السبل لعلمهم بأن انتصار المسلمين وانتشار العقيدة الإسلامية يقض مضاجعهم ، ويقضي على مبادئهم الخبيثة ، ونفوذهم الاستعماري المقيت) [١].

ولقد انطلت هذه المكائد والحيل والأفكار المغرضة التي عناها الشيخ -رحمه الله- على كثير من الناس فأُخذوا بها ، وتمثلوها في حياتهم ، وأفكارهم ، ومعتقداتهم . وقد دخلت هذه الأفكار والمعتقدات على الناس من خلال طرق متعددة ، وأشكال مختلفة سواء عن طريق ابتعاث الطلاب إلى الخارج ، أو من يأتي بها إلى الداخل بالإضافة إلى التأثر بوسائل الإعلام ، وغيرها كثير .

غير أن طرق الفساد هذه لم تكن لتنطلي على الشيخ -رحمه الله- فقد وقف في وجهها ، وسد منافذها ، وحسم أسبابها لعلمه بمدى خطرها ، وخطر معتنقيها على المجتمع . لذلك كان أهم ما نبه إليه سماحته -رحمه الله- في سبيل إبطال مفعول هذه الهجمات هو اعتناء المسلمين بتربية نشئهم التربية الإسلامية الصحيحة ، المرتكزة على أعمدة الدين الإسلامي ، ومن ثم تربيتهم على حب الشريعة الإسلامية ، وإبعادهم عما يعكر صفوها لديهم . يقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه :

(ومن أعظم الفروض وأهم ما يهتم به اعتناء المسلمين بنشئهم ، وأن يوجهوهم التوجيه الديني النافع لهم في دنياهم وأخراهم ، وأن يأخذوهم بالتزام أصولهم الدينية التي هي التمسك بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، اعتقاد ما اعتقده السلف الصالح مما نالوا به العزة والكرامة ، وما حازوا به شرف الدنيا والآخرة ، وأن يغلقوا عنهم جميع الأبواب العائدة بفساد عقائدهم وأخلاقهم) [٢].

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٩٨ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٢٠٥ .

كما نبه -رحمه الله- في رسالته التي ناشد فيها المسؤولين عن البعثات الطلابية إلى الخارج بضرورة منعها تفادياً لما قد ينجم عنها من تأثر الطلاب بأفكار ومعتقدات تلك البلدان[١] . كما شدد سماحته في الرسالة التي وجهها إلى ولي العهد على أهمية الإداريين والمدرسين الأكفاء في المدرسة باعتبارهم القدوة التي يقتدي بها التلاميذ ، وضرورة منع المدرسين ممن هم أعداء الإسلام من التدريس فيها ، فإفساد هؤلاء المدرسين أكثر من إصلاحهم لذلك لا حاجة بهم . يقول - رحمه الله-:

(اطلعت حفظك الله على كتاب الشيخ ..... من خصوص ما ذكره عن المعارف من أهميتها وخطرها الكبير ، وتولي أناس لا يهمهم الدين لشؤونها من توظيف موظفين ، وتعيين الكتب التي يدرس فيها ، ووضع تراجم أناس هم من أعداء الملة والدين ، ومن رؤوس الحرب لله رب العالمين ، ومن أسئلة اختبارات ، إلى غير ذلك مما إن ترك في أيدي هؤلاء فعلى الدين العفا ، والله المستعان)[٢].

ثالثاً : **فساد خلقي** : وهذا الفساد قد استتبع الفساد الفكري ، غذته ، وأججت بريقه وسائل الإعلام الخبيثة ، والكتب والمجلات المفسدة ، مستهدفة أهم قطاعات الأمة ألا وهي شبابها ، وأملها في المستقبل ، من خلال تعطيل عقولهم ، واستغلال عواطفهم لخدمة أغراضهم الدنيئة ، فتعالت أصوات الباطل تنادي بالاختلاط ، وتنادي بسفور المرأة ونبذ حجابها تحت شعارات خداعة ، وحيل براقة . غير أن صوت الحق كان أقوى ، وبقي بالمرصاد لهذه الدعوات يفند أكاذيبها ، ويكشف زيفها وألاعيبها، فصوت الحق هو صوت الله ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾[٣].

يقول -رحمه الله- في إحدى خطبه في رابطة العالم الإسلامي ، مبيناً للمسلمين حاجتهم للدعوة إلى الله ، والرجوع إلى كتابه ، وسنة رسوله ﷺ وما يراد بالإسلام من مؤامرات ودسائس ، وما آلت إليه حال المسلمين اليوم :

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص٢١٧ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٢١ .

(والناس في هذه الأزمنة بحاجة إلى الدعوة أكثر من حاجتهم لها في أي وقت مضى ، حيث قد كثرت دواعي الشر ، وتفشت الإباحية ، والانحلال الخلقي، وجاءت بأثواب مختلفة ، وتحت شعارات براقة خداعة ، وغزت قلوب الشباب أيما غزو ، كما كثرت البدع والخرافات ، وظهرت المبادئ الهدامة المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، وأخذ دعاتها أزمة التوجيه ، فأفسدوا ما بقي من المسلمين من دينهم أو كادوا ، والتقى أعداء الإسلام من أصحاب الديانات المختلفة ، وحملة المبادئ الملحدة على صعيد واحد ، وهو محاربة الإسلام ، والصد عنه بشتى الوسائل ، وتآلبوا عليه ، وجاؤوا من كل حَدَبٍ وصوب)[1].

ومن صور حسمه -رحمه الله- لأسباب الفساد منعه المرأة من السفور والاختلاط بالرجال لما فيه من المفاسد والشرور . يقول في رسالة وجهها إلى الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(فقد اتصل بعلمنا أنه يحصل في أسواق الأقمشة اختلاط سفلة الرجال بالنساء، ومتابعتهم لهن ، ومحاولة معاكستهن ، أو الحصول منهن على وعد ، أو موافقة . وحيث إن هذا مبدأ خطير ، وله ما بعده إذا حصل التساهل . لذا نأمل أن تهتموا بهذا الأمر ، وتوصوا مركز الهيئة في السوق بملاحظة ذلك بدقة ، واستمرار الملاحظة)[2].

كما حسم -رحمه الله- أسباب الفساد من خلال منعه لوجود السينما في هذه البلاد ، وما يترتب عليها من مشاهد مفسدة ، وصد عن ذكر الله . يقول سماحته في هذا الخصوص :

(ومن أعظم المعاصي استعمال الملاهي : من الفتح على السينما وغيرها ، ولا سيما ما يشتمل على المناظر ، والمسامع المحرمة ، فإنها تشتمل من الصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، والإغراء بالفواحش ، وغير ذلك مما يعرفه أرباب

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩١ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٠ ص٤٦-٤٧ .

البصائر)[١].

ورغم كثرة الفساد وتنوع أشكاله وطرقه فقد جاهد الشيخ -رحمه الله- جهاداً عظيماً في البحث عن أسبابه ، واجتثاث جذوره ، والقضاء على مسبباته ، وهي مهمة عظيمة يتطلب القيام بها رجلٌ ليس ككل الرجال ، وعالمٌ ليس ككل العلماء ، خصوصاً في زمن خَفَتَ فيه صوت الحق وسط ضجيج الفساد والكفر ، فما كان من العلماء (والحال هذه) إلا أن انقسموا ما بين ساكت عن المنكر ، أو راضي به . أما من خرج عليه وحاربه ، وحسم أسبابه فهم ممن رحم ربي .

المطلب الرابع: إيقاظ الغافلين ببيان اثار المعاصي

وكما دأب الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في إعلاء كلمة الله ، وتبصير الناس إلى ما فيه الخير والصلاح ، كذلك دأب -رحمه الله- على إيقاظ الغافلين من العباد على الآثار والعقوبات الإلهية التي تتأتى عن المعاصي ، تلك المعاصي التي تأخذ بعقوبتها الصالح والطالح ، وتحصد الأخضر واليابس .

لذلك نرى الشيخ -رحمه الله- في كل مناسبة ، وفي كل كلمة أو خطبة يلقيها كان يحث الناس فيها على الإيمان ، وعلى ترك المعاصي ، وعلى التقوى ، والخشية من الله تعالى ، والتحذير من الاغترار بالدنيا ، خصوصاً في عصر افترسته المادة ، واستحوذت عليه الشهوات والأهواء ، وغرق فيه الناس في الترف وطول الأمل .

وقد ساعد على وصول مواعظه ونصائحه إلى قلوب الناس ما كان يتمتع به -رحمه الله- من عطف وشفقة على الناس من خلال سعيه الدؤوب لإخراجهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، إضافة إلى حكمته في الوعظ والإرشاد ، فقد كان -رحمه الله- يزرع الإيمان والمحبة في أفئدة مستمعيه ، ويشعل مجامر القلوب المنطفئة، مرغباً ومرهباً. فأيقظ الله ﷻ على يديه عقولاً خاملة ، وقلوباً كادت تميتها المعاصي، هذا بالإضافة إلى ما ربى -رحمه الله- عليه النفوس من قيم إسلامية

---

(١) المرجع السابق ، ج١٠ ص٢٥٣ . وقد وردت هذه الفتوة سابقاً في مبحث وسائل الإعلام وأثرها في الدعوة .

مجيدة تربية لعل المرء لا يبالغ إذا وصفها بأنها التربية التي قام على أساسها كثير من النظم التربوية في هذا البلد .

يقول الدكتور محمد بن ناصر الشثري :(لقد اطلعت في مكتبة الشيخ عبد الرحمن بن جبرين على رسالة وعظية مخطوطة من الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- ختمت بتقريظ من الملك عبد العزيز ، ورد فيه ثناء على منهجه في الوعظ ، وعلى دعوة تسير في طريق التربية الإسلامية عن طريق هذا الأسلوب الذي يقف على رأس الطرق التربوية الإسلامية)[١].

ولقد ذكرنا سابقاً أن الشيخ -رحمه الله- كان يجيد التعامل مع جميع أصناف الناس ، ومن ذلك أنه كان يخاطب المسلمين بالطريقة التي فطرهم الله عليها ، فقد جبل الله ﷻ قلوب المؤمنين به على الرقة ، ولين الكلام ، وعلى العاطفة الدينية ، والتي وإن خبت ساعة قيض الله تعالى لها أمثال الشيخ -رحمه الله- كي يؤججها ، ويشعل جذوتها . وهذا من تمام فضل الله -عز وجل- على سماحته . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[٢].

ولقد سلك الشيخ -رحمه الله- في بيانه لآثار المعاصي الأسلوب التصويري من خلال القصص وضرب الأمثال التي من خلالها يدخل إلى قلب المستمع بسهولة ويسر. قال تعالى : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[٣]. فكان -رحمه الله- يستسقي هذه القصص من القرآن الكريم ويعرضها في صلب موضوعه كي يؤكد للناس النتيجة المحسوسة والأكيدة للمكذبين والعصاة من غرق أو خسف ، أو ريح ، أو فقر .... الخ .

يقول الشيخ -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين استخدم فيها طريقة القصص القرآني ، وبين فيها نتيجة عدم امتثال الأولين لأوامر الله ﷻ ونواهيه، وما حل بهم نتيجة لتلك المعاصي :

---

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري ، ج٢ ص٥٦٤ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .

(٣) سورة هود ، الآية : ١٢٠ .

(فما أهبط الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم ، والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب إلا معصيتهما بأكلهما لقمة من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها .

وما أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه، وجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع غير معصيته بامتناعه من سجدة واحدة أمر أن يسجدها .

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ؟

وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ، ثم قلبها عليهم، وأتبعوا بحجارة من سجيل ؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى ؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ، ثم نقلت أرواحهم إلى نار جهنم ، فأبدانهم للغرق ، وأرواحهم للنار والحرق إلا المعاصي ؛ فإنها هي التي دمرت عليهم ، وأصارتهم إلى أسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة)[1].

كما يبين -رحمه الله- في نصيحة أخرى وبنفس الأسلوب التصويري المستمد من القرآن الكريم ما أوجب الله سبحانه وتعالى من الهلاك على قوم نوح حينما رفضوا قبول دعوته وعصيانهم له :

(إخواني إن ربنا -تبارك وتعالى- لم يغير على قوم نوح بإهلاكهم بالطوفان وسائر من أوقع بهم عقابه ، وأحل بهم سطوته إلا بعد أن غيروا بمعصيتهم رسله وفسقهم عن طاعته فاستوجبوا التدمير ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٢-١٨٣ .

أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)].

والمعاصي سبب في حرمان النعم التي أنعم الله ﷻ بها على عباده وتحل محلها بعد حرمانها النقم والمحن التي تكون نتيجة لها .

وهكذا تقتضي سنة الله وعدله أن يجزي بالإحسان إحساناً ، وبالسوء عقاباً وعذاباً ، فإن أحسن الناس كان إحسانهم لأنفسهم ، لأنهم يجنون ثماره نعماً ورحمة ، وإن أساؤوا فعواقب إساءتهم راجعة إليهم لا يضرون إلا أنفسهم [(٢)].

يقول الشيخ -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين بين فيها ثمرات المعاصي :

(ومن ثمرات المعاصي حرمان العلم ، وحرمان الرزق ... ومنها وحشة يجدها العبد بينه وبين الله ، وبينه وبين الناس لا سيما أهل الخير منهم ، وتعسير أموره، فلا يتوجه لأمر إلا وجده مغلقاً أو متعسراً عليه . ومنها حرمان الطاعة . ومنها ظلمة القلب، وجبنه ، ووهنه ، ووهن البدن ، وتقصير العمر ، ومحق بركته، فإن البر كما يزيد في العمر فإن الفجور ينقصه . ومنها انسلاخ القلب من استقباحها فتصير له عادة . والمعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، وتورث الذل ولا بد ، وتفسد العقل ، وإذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، وتدخل العبد تحت لعنة الله ، وتحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن والأشجار) [(٣)].

ولو تأملنا نصيحة الشيخ -رحمه الله- لوجدناها تشتمل على جملة من الآثار المترتبة على المعاصي هي :

١- حرمان العلم : وهي من الآثار المدمرة للمعصية ، لأن العلم نور للإنسان يهتدي به في حياته ، فمتى فقده فقد خيراً كثيراً .

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان : ١٦-١٧ . وللاستزادة انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٧ .

(٢) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ، محمد الصادق عرجون ، ط٣ (جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ) ص٤٧ .

(٣) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٣ .

يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: (العلم نور يقذفه الله في القلب . والمعصية تطفئ ذلك النور)[١].

٢- حرمان الرزق : فتزال نعمة الرزق كلياً أو جزئياً بسبب المعاصي . قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[٢].

٣ - الوحشة التي يشعر بها العاصي سواء بينه وبين الله ، أو بينه وبين الناس:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة ، وما لجرح بميت إيلام ، فلو لم يترك الذنوب إلا حذراً من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حرياً بتركها ... ومنها الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ، ولا سيما أهل الخير منهم ، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم ، وكلما قويت تلك الوحشة بَعُدَ عنهم ومن مجالستهم ، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بَعُدَ من حزب الرحمن ، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم ، فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه ، وبينه وبين نفسه ، فتراه مستوحشاً من نفسه)[٣].

٤- تعسير الأمور : يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ ﴾[٤]. لذلك نرى العاصي تائهاً ، حائراً ، معسوراً ومتخبطاً . كل الأبواب محكمة الإغلاق أمامه . وهذا تصديق لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ ﴾[٥].

٥- حرمان الطاعة : وهذا الحرمان بحد ذاته كافياً . فلو لم يكن للمعصية التي يقترفها العبد عقوبة إلا الصد عن الطاعة لكانت كافية .

---

(١) الداء والدواء : ابن قيم الجوزية : تعليق : عصام الدين الصبابطي ، ص٩٨ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١١٢ .
(٣) الداء والدواء : ابن قيم الجوزية ، ص٩٩ .
(٤) سورة الطلاق ، الآية : ٢ .
(٥) سورة طه ، الآية : ١٢٤ .

٦- ظلمة القلب وجبنه ووهنه : وتتمثل هذه الآثار في انطفاء نور القلب نتيجة للمعصية ، وتكاثر الهموم على العاصي ، وشعوره بالضيق والعسرة . فلا تزال هذه الآثار به حتى تقضي عليه .

٧- وهن البدن : فالإيمان بالله تعالى يعطي الإنسان قوة في روحه ، وقوة في قلبه ، فمتى وهن هذا الإيمان في القلب انعكس ذلك على البدن ، فتخور قواه ، وينكسر عوده .

٨- تقصير العمر ومحق بركته : يقول ابن القيم -رحمه الله-: (وبالجملة فالعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غِب إضاعتها يوم يقول : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾[١] .

٩- انسلاخ القلب عن استقباح الذنوب : فالقلب إذا رتع في المعاصي ، وغرق في أوحالها ، وركن إليها اعتادها وألفها ، فيقل حياؤه ويضعف استنكاره لها . قال رسول الله ﷺ : (**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء . وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض . والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**)[٢] .

أما استصغار الذنوب فإنه يؤدي بالعاصي إلى اعتيادها واستسهالها . يقول عبد الله ابن مسعود -رضي الله عنه- : (**إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه . وأن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا**)[٣] .

١٠- هوان العبد على ربه وسقوطه من عينه : قال تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ ﴿١٨﴾ ﴾[٤] . وقال تعالى أيضاً : ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٥] .

---

(١) سورة الفجر ، الآية : ٢٤ . وللاستزادة انظر : الداء والدواء : ابن قيم الجوزية ، ص١٠٢ .

(٢) أخرجه مسلم ،ج١ ص١٢٨ ، رقم الحديث ١٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : الدعوات ، باب : التوبة وقال قتادة توبوا إلى الله توبة ج٥ ص٢٣٢٤ ، رقم الحديث ٥٩٤٩ .

(٤) سورة الحج، الآية: ١٧.

(٥) سورة المطففين ، الآية : ١٤-١٥ .

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية : (وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم)[١].

١١- المعصية تورث الذل : لأن العز في طاعة الله ﷻ . قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾ ﴾[٢] .

١٢- المعصية تفسد العقل : يقول ابن القيم -رحمه الله-: (ومنها أن المعاصي تفسد العقل ، فإن للعقل نوراً ، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد وإذا طفئ نوره ضعف ونقص)[٣].

١٣- إذا كثرت المعاصي طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين:قال تعالى: ﴿ ۞ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٤]. وقال تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[٥].

وعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين ، إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه ...**)[٦].

١٤- المعاصي تدخل العبد تحت لعنة الله : قال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٧]. فالله ﷻ قد لعن كثير من العصاة : لعن من أفسد في الأرض ، وآذى رسول الله ﷺ ولعن من كتم ما أنزل الله ، ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ، ولعن من جعل سبيل الكافرين أهدى من سبيل المسلمين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج٤ ص٦٢٤ .
(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٠ .
(٣) الداء والدواء : ابن قيم الجوزية ، ص١٠٨ .
(٤) سورة التوبة ، الآية : ٩٣ .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٧ .
(٦) أخرجه أحمد في مسنده : كتاب : حديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري رضي الله عنه ، باب : حديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري رضي الله عنه ، ج٥ ص١٩٧ ، رقم الحديث ١٧١٧٨ . حديث صحيح ، انظر : مصباح الزجاجة ، شهاب الدين البوصيري ، ج١ ص٦٩ .
(٧) سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

١٥- المعاصي تحدث أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن والأشجار : قال تعالى : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[١]. فكل هذا يحدث بسبب المعاصي والفساد . يقول ابن القيم -رحمه الله-: (فالمراد بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد ، فكلما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة)[٢].

كل هذه النتائج المدمرة الناجمة عن ارتكاب المعاصي كانت تؤرق الشيخ -رحمه الله- ويشفق منها على الناس ، فكان في كل مناسبة يرهب الناس وينبههم ويحثهم على ترك المعاصي ، وامتثال أوامر الله ﷻ والبعد عما يخالف ما جاءت به الشريعة الإسلامية . يقول -رحمه الله- في إحدى نصائحه التي خص بها ولاة الأمور وخواص المسلمين وطلبة العلم للقيام بمناصحة الناس وحثهم على ترك المعاصي :

(ومن ذلك مناصحة أصحاب الذنوب والمعاصي وتحذيرهم منها ، وتنبيههم على شؤم عواقبها ، والإنكار عليهم ، والأخذ على أيديهم من كل من له قدرة واستطاعة على حسب حاله ، ففي الحديث : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)[٣]. والمناصحة والتذكير من الأمور اللازمة التي لا تختص بأحد دون غيره، وإن كانت تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص . فيجب على ولاة الأمور وخواص المسلمين وطلبة العلم أكثر مما يجب على من دونهم)[٤].

ويفتتح الشيخ -رحمه الله- إحدى نصائحه ببعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تحث العلماء على بذل النصيحة للمسلمين ، وتذكيرهم بأيام الله، وتحذيرهم من معصيته ومعصية رسوله ﷺ يقول فيها :

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٤١ .

(٢) الداء والدواء : ابن قيم الجوزية ، ص١١٧ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ [١]. وهذا يشمل التذكير بالنصوص القرآنية، وصحاح الأحاديث النبوية المشتملة على الأمر بطاعته ﷻ وطاعة رسله ، والتحذير من معصيته ومعصية رسله ، وبيان ما في امتثال أوامره وترك زواجره من حصول الخيرات ، وحلول البركات ، واندفاع النقمات ، وما في معصيته تعالى ومخالفة أمره من محق البركات في العلوم ، والأعمال ، والأعمار، والمكاسب ، وجميع التصرفات) [٢].

ويقدم الشيخ -رحمه الله-الدواء الشافي للقضاء على أسباب المعاصي ، من خلال أدوية القرآن الكريم والسنة المطهرة . جاء في إحدى نصائح سماحته بعد أن ذكر بعض المعاصي التي وقع فيها بعض المسلمين :

(فهلم إخواني نداوي هذه الأمراض بأدوية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بتدبر أوامرهما ، ونواهيهما ، ووعدهما ووعيدهما ، وزواجرهما ، ومذاكرة بعضنا مع بعض ، وقيامنا لله مثنى وفرادى لنتذكر ، ونتفكر ، ونتناصح ، ونتآمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر ، ونحب في الله ، ونبغض في الله ، ونوالي في الله ، ونعادي في الله ، ونتعاون على البر والتقوى ، ونبحث في أدوية تلك الأمراض التي تحصيلها من أسهل شيء عندما تحصل القلوب على الصدق في طلب هذا الدواء) [٣].

هكذا كان منهج الشيخ -رحمه الله- في تنبيهه الغافلين من الناس لما في ارتكاب المعاصي من أضرار تعود على الفرد وعلى المجتمع ، وهي أضرار سببها الأول والأخير البعد عن الله ﷻ ومخالفة أوامر وأحكام الشريعة الإسلامية العظيمة التي جاءت لتحفظ الإنسان في وجوده ، وتحفظه في عقله ، وتحفظه أخيراً باعتباره عضو فاعل في جسد أمة هي خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٥ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٨٤-١٨٧ .

المبحث الثالث

الاستفادة من جهود الشيخ

توطئة

أوجه الاستفادة من جهود الشيخ -رحمه الله- في الدعوة إلى الله- تعالى- والاحتساب كثيرة ومتنوعة ، ولا يمكن ادعاء الإحاطة بها كلها ، فهي أكثر من أن يحويها كتاب ، أو أن يعبر عنها بسطور . فحياته -طيب الله ثراه- كانت حافلة بالعطاء، ونبعاً ثراً من دروس التفاني ، والصبر والإخلاص . فأعطى كما ينبغي أن يكون العطاء ، وجاد كما ينبغي أن يكون الجود ، بعدما هانت عليه الدنيا ، وتسامت نفسه عن السفاسف والصغائر . علم وعلم فارتقى إلى مصاف العلماء الذين وهبوا حياتهم للناس ومنفعة الناس ، وجاهد كما ينبغي أن يكون الجهاد حتى قبضه الله ﷻ إلى جواره ، فاستحق أن يدعى عظيماً في ملكوت السموات .

يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: (في الجهاد أربع مراتب : جهاد النفس، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين . فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً، إحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ، ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين . الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها . والثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ، ولا ينفعه علمه ، ولا ينجيه من عذاب الله . الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله لله ، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين ، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به، ويعلمه ، فمن عَلِمَ ، وعَمِلَ ، وعَلَّمَ فذاك يدعى

عظيماً في ملكوت السموات[١]).

وأهم وأعظم ما يمكن الاستفادة من جهوده العظيمة -رحمه الله- أنه كان يربط الدين والدنيا بالعمل، والقول بالفعل، ويعطي الروح حقها بما لا يجور به على الجسد كما يعطي الجسد حقه بما لا يجور به على الروح، فكان -رحمه الله- في مقدمة العلماء الذين ساهموا بتوفيق من الله ﷻ في البرهنة على أن الدين الإسلامي من أكثر الديانات السماوية توفيقاً ما بين الجسد والروح، فليس الإنسان جسداً محضاً، ولا روحاً محضاً، وإنما هو محصلة اتحاد هذين العنصرين في وحدة متماسكة ومتناغمة، تصل بالإنسان إلى السعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[٢]. وقال رسول الله ﷺ: (**إن لجسدك عليك حقاً**)[٣]. والآيات والأحاديث الدالة على ما تقدم كثيرة ومتعددة -ولله تعالى الحمد-.

وانطلاقاً من هذا فقد كانت حياة الشيخ -رحمه الله- تعبيراً صادقاً لجهوده في الدعوة والاحتساب، ومزيجاً رائعاً من الصور المتلألئة التي شكلت بمجموعها أنموذجاً حياً لشخصية الإنسان المسلم الذي اعتبر الدنيا دار ممر فسخرها لخدمته في الآخرة ولم ينس نصيبه منها بما يرضي الله ﷻ، واعتبر الآخرة دار مقر فابتغى لها ما آتاه الله في الدنيا، فاجتمع في شخصه مفهومان متناغمان أوصلاه إلى سعادة الدنيا والآخرة. فكانت جهوده في الإيغال بالدعوة والاحتساب في حياة وقلوب الناس، وما نادى به من ضرورة التقاء السلطتين السياسية والعلمية على كلمة واحدة، وجهوده في تأهيل الدعاة إلى الله تعالى لحمل لواء كلمة الإسلام بصدق وإخلاص، وغيرها من الجهود الكثيرة، ماكانت إلا مرآة لجهوده -رحمه الله- في التوفيق والجمع بين سعادة البشر في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، علق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ) ج٣ ص٩-١٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ج٢ ص١٩٤، رقم الحديث ١٨٦٧.

المطلب الأول: الإيغال بالدعوة والاحتساب في حياة الناس

من علامات نجاح الداعية أن تدخل دعوته في صميم حياة الناس ، وتشتغل العقول والقلوب بأمر الدعوة . وليس ضرورياً أن يتناولها الجميع في استحسان وإعجاب وتأييد ، فقد آمنت القلة من أهل مكة برسول الله ﷺ وكثرت الكثرة العظمى، ولكن الدعوة كانت هي المسألة الحاضرة في المجتمع المكي كله ، تشغل أذهان المؤمنين وغير المؤمنين على السواء ، وكان -عليه السلام- لا يكف عن الدعوة ساعة من نهار ، والمتحدثون لا يكفون عن الخوض في حديثها ساخطين أو راضين . وكان الأذى لا يفتأ ينصب على المؤمنين أذىً باللسان واليد والسوط ، وغير ذلك من أنواع الإيذاء ، وكان الإغراء يبذل بسخاء لمن يرتد منهم عن دينهم ، كالإغراء بالمال ، أو السلطان . ومع هذا كله جد الداعية -صلوات الله عليه- وعمل حتى أدخل دعوته في صميم الحياة[1] .

إن الدعوة إلى الله تعالى لا تستطيع أن تثمر وأن تؤتي أكلها إلا إذا كان وراءها من يسندها ، ويقويها ، ويهيئ لها أسباب النجاح .

كما أن الدعوة ليست مرحلة مؤقتة تنتهي بانتهاء هذه المرحلة ، وهي لا تؤمن بشذرات من الإصلاح هنا وهناك ، بل هي منهج محكم ودقيق ، وفق خطة منهجية صحيحة تتوغل في حياة المجتمع ، وتسبر أغواره ، وتنفذ في حياة الناس فتصلح ما تعطل فيها ، وترأب الصدع ، وتعيد شحذ الهمم ، وتبعث الإيمان والهداية إليهم من جديد . هذه الدعوة المرجو من خلالها تسخير طاقات وإمكانات المدعوين حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع ، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة ، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة ، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد ، فجميع بني آدم لا بد لهم

---

(١) انظر : تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، ط٥ (دمشق : دار القلم ، ١٣٩٧هـ) ص٢٥٥-٢٥٦ .

من طائفة آمر وناه فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم ، مصيبين تارة ومخطئين أخرى)[١].

ودعوة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- ما كانت لتصل إلى ما وصلته من نجاح ولا إلى ما بلغته من انتشار لو لم يكن الشيخ نفسه مثالاً يحتذى به في هذه الدعوة. أقنع بأخلاقه ، وسلوكه كل من وصلت إليه دعوته ، وتمكن من قلوب الناس فيما وهبه الله إياه من خلق كريم ، وأسلوب حكيم ، مع عذوبة في اللسان، واعتدال في المنطق ، وقوة في الحق ، جعلت كل من سمعه أو شاهده يقتنع بصدق دعوته ، وأهمية وعظمة ما يدعو إليه .

ثم إن من أهم الأسباب التي وصلت بدعوة الشيخ -رحمه الله- إلى النجاح هي إقتداؤه بالداعية الأول رسول الله ﷺ المثل الأعلى لكل داعية يبتغي من وراء دعوته هدى الناس إلى الحق .

ولأن الدعوة إلى الله ﷻ لا يمكن أن تثمر إلا إذا وافقت هدي النبي ﷺ ، كان -رحمه الله- يدعو بالأقوال والأفعال ، وبالبيان والقدوة ، فرأى فيه الناس المثال الحي لما يدعو إليه ، كما رأوا فيه الذروة في الحلم ، والبر ، والحكمة ، والرفق، والتواضع ، والصدق ، وهي صفات لا شك في أنها صفات الأنبياء والصالحين. يقول تعالى واصفاً نبيه ﷺ بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[٢].

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : (**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**)[٣].

فلقد كانت أخلاق الشيخ -رحمه الله- مضرب الأمثال لكل من عرفه ، وهي السبب في تحلق الناس حوله ، وحبهم واتباعهم له ، فقد ترجم -رحمه الله- الدعوة إلى واقع ملموس ، وجعلها حديث الناس في أنديتهم وتجمعاتهم ، كما

---

(١) الحسبة في الإسلام ، ابن تيمية ، تحقيق : سيد أبي سعدة ، ص٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي ، ج٣ ص١٣٠٥ ، رقم الحديث ٣٣٦٦ .

جعلها فكراً ، وسلوكاً ، وخلقاً ، وعملاً ، يتضح ذلك من التعليمات والتوجيهات التي كان -رحمه الله- يصدرها للدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . فقد جاء في إحدى توجيهات سماحته -رحمه الله-إلى أهل الحسبة :

(ويكون مع أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصيرة وثبات على الحق، ويعلم أنه سيصيبه شيء ، وإذا لم يعمل ذلك زاد البلاء فيما بعد ، فإن المنكرات ما تفشت إلا بسبب أن أول شيء يوجد يتساهل به ، فيكون الأول قد نسي وصار كعادة، وصعب إزالته . وتأتي الأمور الأخرى وهكذا ، والفعل له تأثير أعظم من القول)[١] .

من خلال هذه التوجيهات السديدة والتعليمات الرشيدة كان الدعاة والآمرين بالمعروف يقومون بعملهم ، على الوجه الأكمل ، فأهم ما يؤكد عليه سماحته -رحمه الله- في الدعوة هو الصبر ، والثبات على الحق ، والاستمرار في الدعوة إليه ، دون كلل أو ملل . فعلى هذا النهج سار أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام- في دعوتهم لأقوامهم، فلم ييأسوا ، ولم يقنطوا بل صبروا ، وثبتوا على الحق، يقول تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٢] ثم استمراره -عليه السلام- بالدعوة بكل الوسائل والطرق . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ ﴾[٣] .

والبصيرة التي نبه إليها الشيخ -رحمه الله- ودعا رجال الحسبة إلى التحلي بها تعني اليقين ، والفطنة ، وسعة الإدراك ، والكياسة ، والبرهان . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ ﴾[٤] .

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية : (هي الدعوة إلى شهادة

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٥ ص١٩١-١٩٢ .
(٢) سورة نوح ، الآيات : ٥-٦ .
(٣) سورة نوح ، الآية : ٨-٩ .
(٤) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك له ، يدعـو إلى الله بهـا عـلى بصيرة من ذلك ويقـين، وبـرهان ، هـو وكـل مـن اتبعه يدعو إلى ما دعى إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين ، وبرهان عقلي ونقلي)[١].

ثم إن البصيرة تعني التبصر بأساليب الدعوة وطرائقها ، ومناهج الإصلاح ومقاصـده، والعـلم بظـروف الزمان ، والمكان ، والحال ، والبيئة ، وأحوال الناس فلكـل مقام مقال، ولكل حال مآل ، والحكيم من الدعاة من يضع أقواله وأعماله مواضعها الحسنة بالأسلوب الأمثل ، والمنهج الأعدل ، والطريق الأقوم[٢].

كما أكد الشيخ -رحمه الله- على ضرورة ثبات الداعية على الحق ، فعمل الداعية هو تحويل عقيدة الإنسان وتغييرها ، وهذا ليس بالأمر الهين ، بل ويترتب علـيه كثير من الصدامات والصعاب التي ينبغي على الداعية أن يذللها بالأسلوب الحكـيم ، والصـبر ، والثبات حتى لو تعثر سير هذه الدعوة ، وتباطأت حركتها ، فيجـب أن يحـدوه الأمـل دائماً في أن الله ﷻ ناصره في نهاية الأمر ، ومظهر الحق على يديه .

يقـول -رحمـه الله- في نصـيحة جامعـة حـثَّ فـيها المسـلمين عـلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(وعـلى الآمر بالمعروف أن يستعمل أنجع الوسائل لإزالة المنكر وتغييره . قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[٣] . كمـا أن عـلـيه أن يصـبر ويحتسب إذا أوذي في الله أو سمع ما يكره .

قـال تعـالى حاكـياً عـن لقمـان في وصيته لابنه : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٤] والقائم بهذا الأمر ستكون له العاقبة الطيبة والذكر الجميل. قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ص٤٩٦ .

(٢) صفات الدعاة ، د. عبد الرب نواب الدين ، ط١ (الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٣هـ) ص٩٨ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة لقمان ، الآية : ١٧ .

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[١] .

وقد استخدم الشيخ -رحمه الله- ثلاثة أساليب في الدعوة هي من أنجع الوسائل التي استطاع من خلالها إيغال الدعوة في حياة الناس. وهذه الوسائل هي:

أولاً : الدروس : ذكرنا سابقاً أن الشيخ-رحمه الله- كان يقوم بمهمة التدريس في مسجد عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف -رحمه الله- وكان سماحته يعتبر التدريس وسيلة مهمة من وسائل تبليغه للدعوة ، إذ إن تلاميذ اليوم دعاة الغد، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية حمل هذه الدعوة ، والدفاع عنها بكل الوسائل، وتبليغها على الوجه الأكمل . لذلك كان -رحمه الله- يعطي جل وقته واهتمامه للتدريس ، لعلمه أن التعليم في المسجد هو الوسيلة التي تصيب الهدف، وتبلغ القصد . كما كانت الوسيلة التي ابتغى من خلالها الشيخ -رحمه الله- الإيغال بالدعوة في حياة الناس .

وقد أثبتت التجارب أن المسجد أقدر المؤسسات التعليمية في التربية ، وذلك للمناخ الإيماني الذي يهيئه . فهو أول مؤسسة تربوية أنشئت في الإسلام ، فهو أصل وغيره من المرافق فرع[٢] .

ثانياً : الخطب : كانت أيضاً من الوسائل المهمة التي استخدمها الشيخ -رحمه الله- في الدعوة، فهي مجال واسع لدعوة الناس وإرشادهم وتوجيههم، واستمالتهم إلى ما يريد من أهداف دعوية تختص بدعوته ، وهي وسيلة لا يقدر عليها إلا من وهبه الله قوة البيان ، وفصاحة اللسان . فكانت خطبه -رحمه الله- من السهل الممتنع في بساطة تراكيبها ، وجودة تعابيرها ، واشتمالها على أهم ما يفيد الناس في دنياهم وآخرتهم ، واستثارة عواطفهم ، واهتماماتهم ، ومن ثم توجيهها الوجهة الصحيحة .

ثالثاً : الفتاوى والرسائل : أدت فتاوى الشيخ -رحمه الله- دوراً كبيراً في خدمة الدعوة إلى الله بسبب ما كان يتمتع به سماحته من سعة العلم والبصيرة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٨ . وللاستزادة انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٦ ص١٧١

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد بن ناصر الشثري ، ج١ ص٣٥٧ .

النافذة والهيبة ، والإجلال وغير ذلك من الصفات التي يكنها له الناس من حوله مما كان سبباً في نفوذ فتاواه إلى قلوب وأذهان الناس واقتناعهم بها والعمل بها .

كما أدت هذه الفتاوى إلى تبصير الناس بأمور دينهم ، ورفعت مستواهم العلمي ، وبصرتهم بالطريق الصحيح .

ثم إن رسائله -رحمه الله- التي كان يبعث بها سواء في الداخل ، أو إلى الخارج كانت تحمل الكثير من المضامين المهمة التي خاطب بها وجدان وعقل المخاطب، والتي تضمنت في غالبها نصائح عامة إلى المسلمين ، وهي نصائح وتنبيهات تتعلق بأدق أمور الحياة . كما كانت هذه الرسائل والنصائح تعالج ظروف وأحوال المجتمع الموجهة إليه الرسالة .

كما أن فائدة هذه الرسائل تتجلى في أنه لم يكن من الممكن على الشيخ -رحمه الله- أن يلتقي بكل الناس كي يوجه لهم رسالة ، أو نصيحة ، فكانت الرسالة توجه منه بشكل عام إلى جميع الناس ، فتحقق ما لا يستطيع أن يتحقق له بالمشافهة. ومن ذلك رسائله -رحمه الله- وخاصة الموجهة إلى المسلمين من خارج المملكة مثل مسلمي السنغال ، والهند ، وغيرهم .

وهكذا يمكن القول إن الشيخ -رحمه الله- لم يترك وسيلة أو طريقة يمكن استخدامها في تبليغ الدعوة ، وتمكينها من عقول ونفوس الناس إلا وسلكها سواء كانت هذه الوسائل تبليغاً بالقول ، أم تبليغاً بالعمل ، أم بالقدوة . فكانت نتيجة إيغال هذه الدعوة في حياة وقلوب الناس أن حولت الدعوة من كلام إلى فعل يمارس بشكل واقعي وعملي ملموس ، كما حولتها إلى خلق لزمه كثير من الناس ، كما جعلت من كلمة الدعوة منهجاً للحياة الإسلامية كان له أثره في مجال أخلاق وسلوكيات المجتمع.

المطلب الثاني: التلاحم بين القيادتين السياسية والعلمية

إن استقرار أي نظام سياسي في العالم لا يمكن له أن يتحقق إلا بتلاحم ركنين أساسيين فيه هما ركن السياسة متمثلاً بشخص الحاكم ، وركن العلم متمثلاً بالعلماء والمرشدين ، والمخلصين من الناس . ثم إن صلاح الرعية مرتهن

بصلاح العلماء والحكام ، وفسادهم إنما ينشأ بالدرجة الأولى بفساد هؤلاء العلماء والحكام .

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على الحاكم العادل في عدله بين أهله وعدله بين رعيته ، حيث قال : (**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم ، وما ولوا**)[١] .

ولا يغيب عن الذهن الأسباب التي جعلت من الدولة الإسلامية دولة تسود على أجزاء عظيمة وشاسعة من مشارق الأرض ومغاربها ، فإن هذه السيادة إنما حازها المسلمون حينما انصهرت القيادتين السياسية والعلمية في بوتقة واحدة هي بوتقة الدين الإسلامي الذي نادى على لسان نبيه ﷺ بشعار أرسى من خلاله دعائم المجتمع الآمن المطمئن بقوله : (**كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته**)[٢] .

كما لا يغيب عن الذهن أيضاً أنه حينما كانت الدولة الإسلامية في أوج قوتها ومنعتها ، كان علماؤها يدخلون على الحكام يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، بل حينما كانوا يرون منهم اعوجاجا أو منكراً قوموه بالكلمة تارة وبالسيف تارة أخرى، حتى إن الحكام أنفسهم كانوا يحثون العلماء وغيرهم على الصدع بكلمة الحق مهما كانت قاسية وحتى لو كانت على الحاكم نفسه ، فهذا أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- يدعو الناس إلى نقده بكلمة الحق بقوله : (لا خير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فينا إن لم نسمعها) .

ولا يخفى على ذي عقل أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين من مداخلة الملوك لتعطلت الشريعة المطهرة لعدم وجود من يقوم بها ، وتبدلت تلك المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة ، وعم الجهل وطم، وخولفت أحكام الكتاب والسنة [٣] .

وكثيراً ما كان الحاكم نفسه هو من يدخل على العالم ، يسترشد بعقله ، ويستنير بفهمه ، ويسمع منه ما يخيفه من الله ﷻ ، وما يمكن أن يفيده في حكمه

---

(١) أخرجه مسلم في ، ج٣ ص١٤٥٨، رقم الحديث ١٨٢٧ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) اكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة ، سيد صديق القنوصي ، ط١ (١٤١١هـ) ص٣٥٤ .

للرعية .

هذه الصورة العظيمة من صور التواصل ما بين الحاكم والعالم وما بين الحاكم والرعية إنما قامت على الألفة والمحبة المبنية على عقيدة الدين الإسلامي الحنيف قال رسول الله ﷺ : (**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم ، وتصلون عليهم ...**) [١] .

وبالمقابل لم يكن العالِم يبخل على الحاكم بالنصيحة بما يرقق من خلالها قلبه على الناس ، وتنبيهه إلى ضرورة إقامة العدل ونشر الأمن ، والابتعاد عن الظلم، وتذكره بيوم القيامة ، والوقوف بين يدي الله ﷻ. قال رسول الله ﷺ : (**إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه**) [٢] .

هذا النموذج الحي من صور التلاحم ما بين القيادتين السياسية والعلمية هو ما نادى به الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- وأكد عليه ، ودعا غيره من العلماء إلى الإقتداء به من خلال مدِّ جسور التواصل بينهم وبين الحكام عن طريق النصيحة ، والتذكير ، والموعظة الحسنة .

يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: (ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التلطف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم ، فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة، فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان إذلالاً ، وهم لا يحتملون ذلك . وإنما ينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية ، وحصول الثواب في رعاية الرعايا ، وذكر سير العادلين من أسلافهم) [٣] .

وخير مثال على طريقة نصح الحكام بالحكمة والموعظة الحسنة نصيحته -رحمه الله- التي وجهها إلى أمراء المسلمين يحثهم فيها على تحكيم شريعة الله ،

---

(١) أخرجه مسلم ، ج٣ ص١٤٨١ ، رقم الحديث١٨٥٥

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، ج٣ ص١٣١ رقم الحديث ٢٩٣٢ . وصححه الألباني في الصحيحة، م ١ ، ج٥ ص٢٥٨ .

(٣) صيد الخاطر : الإمام ابن الجوزي : تحقيق : ناجي الطنطاوي ، ط٣ (دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ) ص٣٤٥

والاعتصام بحبله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كما يخص بالعلماء فيها بضرورة تبيان الحق للناس ، وإبداء النصيحة والإرشاد لهم . يقول رحمه الله - :

(فيا أمراء المسلمين ، ويا حماة الدين ، ويا علماء شرع رب العالمين ، ويا كافة إخواننا المسلمين . الله الله أن تستلب نعمتكم عياناً وأنتم تقدرون على ثبوتها فيكم، ألا وهي نعمة التوحيد ، وتحكيم الشريعة المحمدية ، وحفظ المحارم والأولاد، والعز والشرف ، واعتصموا بالله جميعاً في إقامة الحق ، والقضاء على جميع المنكرات، والأخذ على أيدي السفهاء والعصاة من قبل أن يحل بكم ما حل بمن قبلكم من سالف الأمم ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1] . فعلى العلماء إقامة الحجة ، وإيضاح المحجة ، وأخذ ما جاء به نبيهم محمد ﷺ بالقوة ، وأن يقوموا بواجب بث النصائح والإرشاد للجماعات والأفراد ، وأن يعلموا الجاهل، وأن يقوموا بواجب التعليم أعني تعليم العلوم الشرعية ، المبعوث بها صفوة الخلق وخيرة البرية ، علوم العقائد ، والتوحيد بنوعيه ، والعبادات ، وعلوم الإيمان باليوم الآخر ، وعلوم الحلال والحرام...

وعلى ولاة المسلمين تجريد صوارم العزمات ، ومتابعة صواعق التغليظ والتهديدات، والضرب على أيدي العصاة بيد من حديد ، ليرجعوا إلى نجاتهم وحياتهم، وأن يؤكدوا على العلماء فرداً فرداً غاية التأكيد أن يقوموا بواجبهم ويساعدوهم ، ويشدوا أعضادهم بالتنفيذ)[2].

هذه الدعوة الكريمة من الشيخ -رحمه الله- من أجل التلاحم بين القيادتين السياسية والعلمية لا يمكن لها أن تتحقق إلا بوجود جبهة قوية متساندة ومتعاضدة، قوامها العلماء الصادقين والمصلحين الأوفياء تحت إمرة حاكم عالم بحدود الله ، عاملاً بشرعه ، همه وهدفه خدمة الرعية والقيام على مصالحها . قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3].وقال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٣ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٧٦-١٧٧ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١).

على أنه من الخطأ الفادح اعتبار أن كل وهن أو نقص يحدث في المجتمع يكون سببه أولاً وأخيراً هم الحكام أو ولاة الأمور . والحقيقة أن المسؤولية في ذلك يتحملها بالإضافة إلى الحكام العلماء أيضاً ، وخواص المسلمين . فالله ﷻ قد أوجد العلماء كي تكون من ضمن مهماتهم مهمة رفد ولاة الأمر من الحكام وغيرهم بالمشورة الصالحة ، والتنبيه الحكيم ، بما أكسبهم الله من العلم ، ومن الرأي السديد ، إضافة إلى دورهم في نقل الصورة الحقيقية عن أحوال الرعية إلى الحاكم وتنبيهه والمشورة عليه بما فيه صلاح هذه الأحوال ، وإبعاد ما فيه فسادها ، أو الإضرار بها ، مستعملاً اللين ، والملاطفة ، والمناصحة ، حتى يتم القبول والتنفيذ. فمتى قصَّر العلماء في هذا الأمر أو تهاونوا فيه كانت النتيجة الإضرار الكبير بمصالح الأمة . ولا ننسى أن الحاكم بشر يخطئ ويصيب، وإذا ما أخطأ مرة أصاب مرات .

بالإضافة إلى ذلك كثيراً ما نصادف أن العامة يلقون اللوم على الحكام إذا ما شعروا بأن سياسة الحاكم لا تأتي بالنتيجة المطلوبة على الوجه الأكمل ، أو عدم كفايتهم فيما يتعلق ببعض الأمور . وهنا يكون دور العلماء في تبصير العامة من الناس بما يحمله الحكام من مسئوليات جسام ، وما يكابدونه من مشاق في سبيل خدمتهم ، ورعاية مصالحهم ، وعدم إلقاء اللوم عليهم ، بل مساندتهم ، ومؤازرتهم .

وكثيراً ما يحدث أن تكون الدولة مهددة بخطر خارجي ما ، وفي الوقت نفسه تكون هناك اضطرابات داخلية في داخل الدولة تقوم بها الرعية ، أو فئة من الناس، احتجاجاً على وضع ما ، أو مشكلة داخلية تحتاج إلى حل ، فيتعاظم الخطر، وتشتد الأزمة ، ويقع الحكام بين نارين في الداخل ، وفي الخارج .

من هنا كان تفهم الرعية لأحوال ومسئوليات الحاكم لها عظيم الأثر في استتباب الأمن ، وفي التمهيد لنشوء تربة صالحة لإحداث التغيير إلى الأفضل .

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٠-٤١ .

وإذا ما صرفنا النظر عن دور العلماء والمصلحين في المجتمع فإن ولاة الأمر لهم أثر كبير أيضاً في حياة الناس ، من خلال تقريب أهل العلم إليهم ، والتشجيع على التحلي بالأخلاق الحميدة ، والصفات الفاضلة ، وكف الظلم عنهم ، وقضاء حوائجهم . فمتى رأت الرعية هذا في ولاة أمورهم تبدلت حالهم ، وارتقت أخلاقهم، وتنافسوا على مكارم الأخلاق . وإذا ما أضفنا إلى ذلك وجود بطانة صالحة للحاكم من علماء أجلاء ينصارونه على العدل ، ويعينوه على الإنصاف ، تحقق التغيير المطلوب، وارتقت الأمة إلى مرتبة سامية من القوة والمنعة .

وقد دعا الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- إلى هذه الوحدة العظيمة ما بين العلم والسلطان ، وإلى اجتماع القلم مع السياسة . وهي دعوة إنما بزغت من فكر منير، ونظرة ثاقبة إلى واقع كان الخاسر فيه السلطان إذا تفرد بسلطانه وأعرض عن العلم والعلماء وخاسرٌ فيه أيضاً العالم إذا ما حجب نفسه عن السلطان فأعرض من مناصحته ، ومؤازرته ، وألب الرعية في الخروج عليه ، فالدين الإسلامي بنظر الشيخ -رحمه الله- دين قول وعمل ، لا دين كلام فحسب وخطب رنانة . يؤيد ذلك ما جاء في هذه الخطبة القيمة والتي ألقاها في حفل التعارف بين أعضاء رابطة العالم الإسلامي الذي أقيم بمكة المكرمة مساء يوم الأحد عام ١٣٨٣هـ يقول فيها :

(العلم والفكر إذا اتحدا مع الحكم والسلطان وسارا في الطريق السوي الذي أراد الله للجميع أن يسيروا فيه ظفرت الأمة الإسلامية (دونما شك) بكل ما تصبوا إليه من عزة وسؤدد واستقرار ؛ لأن الإسلام كما يعلم العقلاء ليس دين كهنوت وانزواء وعزلة ، وإنما هو دين ودولة ، قول وعمل ، سيف وكتاب ، يدعوا إلى المسجد كما يحث على ارتياد الحقل والمصنع ، وهذا ما يجب أن يعلمه الجميع عن دين الإسلام ، ليرفعوا رؤوسهم فخراً واعتزازاً ، وليدركوا بجلاء أي دين عظيم يسيرون في ركابه ويلتفون حول لوائه)[1].

هذا الفهم السليم لهذا الدين الصحيح جعل منه -رحمه الله- واحداً من

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩٧ .

دعاة الكلمة المقرونة بالفعل ، الكلمة التي تقف في وجه كل من يتهم الإسلام زوراً وبهتاناً بأنه دين تصوف ورهبنة .

لذلك كان التكامل بين مهام كل من الحاكم والعالم ضرورة حتمية تفرضها متطلبات وأحوال الرعية .

ووجود الحاكم ضرورة لا غنى عنها في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، ولا يتصور وجود دولة بدون حاكم ، كما لا يتصور وجود مركب بدون ربان يقودها ويوجهها الوجهة الصحيحة . كما أن حاجة الرعية إلى راع حاجة ضرورية أيضاً لتسيير مصالحها ، والقيام على أمنها وسلامتها .

ثم إن تضافر جهود الحكام والعلماء المسلمين في سبيل إحداث التغيير المنشود في إطار الشريعة الإسلامية إنما ينطلق من قاعدة متينة وراسخة أساسها القرآن الكريم الذي حدد معالم السياسة التي ينبغي أن يتأسس عليها هذا الحكم . فقد أوضح القرآن هذه المعالم ، ورسم طريقها ، وأنار معالمها من خلال ضرورات ستة يعتبر الحاكم والعالم شريكان في حمايتها ، وحراستها ، الحاكم بسلطانه ، والعالم بعلمه ، وهذه المدارات هي :

أولاً : المحافظة على الدين الإسلامي : قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [(١)] .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : (**من بدل دينه فاقتلوه**) [(٢)] .

ثانياً : المحافظة على النفس : فقد جاء القرآن بالمحافظة عليها ، وعدم قتلها إلا بالحق . كما شرع الله ﷻ في القرآن القصاص وهي عقوبة رادعة للامتناع عن القتل بغير حق . قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴿١٥١﴾ ﴾ [(٣)] . وقال أيضاً : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .
(٢) أخرجه البخاري ، ج٣ ص١٠٩٨ ، رقم الحديث ٢٨٥٤ .
(٣) الأنعام ، الآية : ١٥١ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧٩ .

ثالثاً : المحافظة على العقل : قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١) .

رابعاً : المحافظة على الأنساب : ولأجل المحافظة عليها شرع الله ﷻ حد الزنا على الزاني والزانية . قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (٢) .

خامساً : المحافظة على الأعراض : متمثلاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴿٤﴾ ﴾ (٣) .

سادساً : المحافظة على الأموال : قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٤) .

هذه الأمور الستة تنبني عليها السياسة الداخلية لكل أمة أرادت أن تحفظ وجودها ، وتحفظ بقاءها سليمة خالية من السوء ، كما بينت حاجة الناس إلى حاكم يعمل بمقتضى أمر الله ، وسنة رسوله ﷺ .

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، ورجحت خير الخيرين بتفويت أدناهما ، وهذا من فوائد نصب ولاة الأمور . ولو كان على ما يظنه الجاهل لكان وجود السلطان كعدمه ، وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن أن يقوله مسلم ، بل قد قال العقلاء : ستون سنة من سلطان ظالم خير من ليلة واحدة بلا سلطان) (٥) .

ويقدم لنا الشيخ -رحمه الله- الدليل الجلي على تكاتف السلطان مع أهل العلم في سبيل خدمة الرعية ، ومدى احتياج كل واحد من الطرفين للآخر من خلال الرسالة التي وجهها إلى عربان وقبائل المنطقة الشمالية ، والتي بسبب ظروف

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٢ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٣٨ . وللاستزادة انظر : الإسلام دين كامل ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط (المدينة المنورة : مكتبة أمين محمد سالم) ص٢٨-٣٠ .

(٥) فتاوى ابن تيمية ، ج٣٠ ص١٣٤-١٣٥ .

معيشتها كانت تنزح باستمرار من أراضيها لتستتبع مواضع القطر ، مما فرض عليها تنقلاً دائماً لم يسمح لها بسبب هذا التنقل تعلم أمور دينها بالشكل الصحيح. مما حدا بالملك سعود -رحمه الله- إلى أن يبعث بالمرشدين والوعاظ إلى هذه المناطق لتعليمهم أمور دينهم مستعيناً بالعلماء في اختيار الأنسب من هؤلاء الوعاظ . وهي رسالة بينت مدى اهتمام السلطة بالرعية من جهة ، واهتمامها بالعلماء ومشورتهم من جهة أخرى . يقول الشيخ - رحمه الله - :

(لذلك رأى إمام المسلمين الملك سعود -وفقه الله- بعث علماء مأمونين موثوقين حريصين على هداية الأمة وبيان الحق لهم ، وقد استشار أهل العلم فيمن يرسله إليكم للقيام بهذا الواجب العظيم)[١].

كما ينبه -رحمه الله- في نفس الرسالة السابقة الأمراء وولاة الأمر إلى ضرورة حث الرعية على امتثال أوامر الله ورسوله ، وهي دعوة من الشيخ تفصح عن مدى التلاحم بين العلماء وبين ولاة الأمر . وأهمية ما تعنيه النصيحة لولي الأمر في نظر الشيخ . يقول -رحمه الله-:

(...ويتعين ولا سيما على الأمراء ومن لهم الكلمة أن يقوموا بجهودهم على من تحت أيديهم بإلزامهم امتثال أوامر الله ورسوله ، واجتناب ما يسخطه ، فإنهم مسؤولين عنهم ولابد أمام الله عز وجل . وفي الحديث : (**كلكم راع ومسئول عن رعيته**)[٢].

وتحققوا بارك الله فيكم أنه لا ينال ما عند الله تعالى من عز ورزق وعافية إلى غير ذلك إلا باتباع ما جاء به رسوله محمد ﷺ بما هو مضمون كتابكم الكريم ، وسنة نبيكم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، واحذروا أن تجعلوا أوامر الله خلف الظهر فيوقع بكم وبنا إذا لم نقم بواجب إرشادكم ما أوقعه بسالف الأمم الذين عصوا رسله ، وتمادوا في شهواتهم الزائلة الفانية المعقبة للخسار والندامة ، وخزي الدنيا والآخرة .

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٥-١٥٦ .

(٢) سبق تخريج الحديث ، انظر الصفحة ٢٥٤.

ونسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم ويجنبنا جميعاً الطرق الموصلة إلى عذاب الجحيم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم) [١].

تتضح مما سبق معالم الأسلوب الحكيم الذي كان الشيخ -رحمه الله- من خلاله يتعامل مع ولاة الأمر ويرشدهم إلى ما فيه خير وصلاح الرعية ، فكان مثال البطانة الصالحة لولاة الأمر الذي كانوا بدورهم يقدروا كلمة الشيخ وأمثاله من العلماء، ويثمنون نصائحه ، فالتقى العالم والحاكم على حب الله ﷻ وامتثال أوامره ، فكان هذا سبباً مهماً ورئيساً في استتباب أمن هذه البلاد وعلو مكانتها ورفعة شأنها .

المطلب الثالث:تأهيل الدعاة علمياً

لم تتوقف جهود الشيخ -رحمه الله- عند حد دعوة الناس إلى الله تعالى فحسب ، وإنما تعدت هذه الجهود لتأهيل المدعوين التأهيل الذي يمكنهم من خدمة الدعوة إلى الله -تعالى- على الوجه الأكمل .

فالدعوة ليست مجرد بلاغ يؤديه الداعي ظناً منه أن واجبه قد انتهى عند هذه المرحلة ، وإنما الدعوة سلسلة من المراحل ، وهذه المراحل مستمرة ما دام الداعي على قيد الحياة .

وإذا كان التفقه في الدين شرطاً ضرورياً لتحقيق صواب العمل الدعوي ومشروعيته ، فإنه لا يتصور وجود فقيه دون أن يكون داعية ، كما لا يصح أن يكون هناك داعية بلا فقه يستنير به في دعوته . فالفقه والدعوة أمران متلازمان ، وربما أضر بالدعوة وجود داع يفتقر إلى أبسط قواعد الفقه ، أو الأحكام التي ينبغي أن يكون ملماً بها ، أو على الأقل ذا دراية تمكنه من تجنب الوقوع في المغالطات والتخبط التي تؤدي في النهاية إلى نفور المدعو من الداعية وفقدان الثقة به وبعلمه .

وقد كانت دعوة الشيخ -رحمه الله- مثالاً حياً للدعوة المرتبطة بالفقه المبنية على أساس متين من العلم بأحكام الإسلام وقواعده ، وعلى علم بكبرى المسائل

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٦ .

التي تكون في عصره سواء أكانت مسائل دينية ، أم مسائل اقتصادية ، أو غيرها .

ولا يغيب عن الذهن في هذا المقام أن الشيخ -رحمه الله- كان ذا ثقة عظيمة بنفسه وبعلمه أيده الله ﷻ بالقول الثابت ، فلم يؤثر عنه أنه تلكأ في جواب على مسألة ، أو تذبذب في رأي ، وإذا كان قد تباطأ في بعض الأحيان في رده على مسألة ما فذلك من باب إمعان الفكر والتمحيص فيها ، كي يستكمل جوانب هذه المسألة من كل الوجوه تحرزاً منه -رحمه الله- وتقديراً لعظم مسؤولية الإفتاء . وهذه هي الميزة الأهم في دعوته ، والتي أكسبته ثقة الناس ووضعته في المقام الأسمى بين علماء عصره .

ويمكن الاقتراب أكثر من السمات الفقهية التي أدت إلى نجاح دعوة الشيخ -رحمه الله- وتمكنها من قلوب الناس وحياتهم من خلال عدد من النقاط هي :

أولاً : علمه -رحمه الله- بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهذا العلم زاد الداعية في كل زمان ومكان ، وهو المرتكز الأهم في دعوته .

ثانياً : إلمامه بقضايا الإيمان ، ومسائله ، وأصوله ، وهي قضايا في غاية الأهمية فإذا ما اقترن هذا الإلمام مع العلم بالكتاب والسنة ، تشكلت لدى الداعي إلى الله قاعدة متينة وراسخة ينطلق منها في أداء مهمته . فمن المهم للداعي أن تكون أمور عقيدته واضحة في ذهنه ، وعلى قدر كبير جداً من الثبات ، والرسوخ. يقول الشيخ -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عدد من الأمراء : (فاعلموا -وفقكم الله- أن عقيدتي التي أنا عليها أني أدين لله بالنصح ، والمحبة لكم ولجميع إخواننا المسلمين إلى أن ألقى الله ﷻ)[1] .

ثالثاً : إلمامه بسير الأولين من الأنبياء والصالحين ، وبالأخص سيرة النبي محمد ﷺ ومعرفة أخبار الأمم الغابرة التي أهلكها الله ﷻ بذنوبها ، وسعيه الدؤوب -رحمه الله- لتبصير الناس بعواقب المعاصي والآثام ، وأخذ العبرة مما حدث لهذه الأمم . فقد كان -رحمه الله- يركز عليها كثيراً خاصة الخطب التي كان يلقيها في

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٢ ص١٧٠ .

المسجد يوم الجمعة[١].

رابعـاً : معرفته الواسعة بتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام مروراً بالمراحل التي مر بها ، وأحداث ووقائع هذا التاريخ .

خامسـاً : رصده الدقيق للتيارات المعادية للإسلام ومن يقف وراءها، والأهداف والمرامي التي يسعى لتحقيقها أعداء الإسلام وكشف أباطيلهم ومفترياتهم التي يثيرونها بهدف تشكيك المسلم بعقيدته وتشويهها . يقول رحمه الله في خطبة ألقاها في رابطة العالم الإسلامي مبيناً الهدف من هذه الرابطة :

(فأقول إن هدفها هو التذاكر ، وعرض المشاكل التي تعترض طرق تبليغ الدعوة إلى الإسلام ، ثم العمل على إيجاد الحلول العلمية تجاه ذلك ، والخروج بنتيجة تضمن -إن شاء الله- حصول المقصود من أداء فريضة الله علينا في تبليغ هذه الدعوة وشرح مبادئها ، ودحض الشبهات عنها ، ومجاهدة المؤامرات الخطيرة والمبادئ الهدامة التي يدبرها أعداء هذا الدين بقصد فتنة المسلمين ، وصدهم عن دينهم ، وتفريق صفوفهم ، وتمزيق شملهم ووحدتهم وأخوتهم)[٢].

سادساً : إلمامه بكبريات القضايا والمسائل الإسلامية ، ومن أبرزها :

أ- قضايا الاقتصاد : فإلمامه بهذه القضايا نابع من إدراكه -رحمه الله- أن الناس إنما ينقادون ويقتنعون بمن يهتم بشؤونهم وأحوالهم ، وخاصة الأحوال الاقتصادية ، لذلك كان اهتمامه بهذه القضايا سلاحاً قوياً في تمكين دعوته من قلوب وحياة الناس . ومثال على ذلك رسالته في حكم التسعير والتي تدل على شمولية فكره -رحمه الله- وعدم انغلاق دعوته في مجالات معينة دون أخرى . يقول -رحمه الله-: (فالتسعير جائز بشرطين :

« أحدهما » : أن يكون التسعير فيما حاجته عامة لجميع الناس .

و « الثاني » : ألا يكون سبب الغلاء قلة العرض أو كثرة الطلب .

فمتى تحقق فيه (الشرطان) كان عدلاً وضرباً من ضروب الرعاية العامة

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٨٣ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩٢-١٩٤ .

للأمر كتسعير اللحوم والأخباز ، والأدوية ، ونحو هذه الأمور مما هي مجال للتلاعب بأسعاره ، أو ظلم الناس في بيعها)[١] .

ب - قضايا الإعلام : فالإعلام رافد مهم من روافد الدعوة إلى الله تعالى، ومن خلاله يمكن للداعية أن يُسمِعَ صوته لأكبر عدد من الناس ، فإذا ما وُظِفَّ هذا الرافد التوظيف المناسب أتى بالفائدة المرجوة منه . لذلك نجد أن الشيخ - رحمه الله- قد اهتم بوسائل بالإعلام ، بقضاياه ، ومقتضياته ، وجهد في تنقيته مما يضر بعقيدة وأخلاق الفرد المسلم ، وما يتصادم مع حقائق ومبادئ الدين الإسلامي ، كما بذل جهده في توجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة . يقول -رحمه الله- في وصية إلى أحد مسئولي الإعلام :

(نبلغكم في طيه نسخة من الخطاب السامي رقم ..... في .... القاضي بتكوين اللجنة المناط بها تخطيط السياسية الإعلامية برئاسة معالي وزير الإعلام ، وعضوية المشايخ المسمين فيه ، وحيث نص الخطاب أن فضيلتكم عضو في تلك اللجنة فإنا نبلغكم ذلك ، مع توصيتنا إياكم بتقوى الله سبحانه ، ومراقبته في هذا الأمر الأهم جداً ، والوقوف مع حدود ما يجيزه الشرع المطهر ، وما يتمشى مع عادات البلاد وتقاليدها وفق منهج إسلامي قويم)[٢] .

جـ- قضايا التربية : منهج الشيخ -رحمه الله- في التربية واهتمامه بها يقوم على ركنين مهمين يتوقف عليهما جانب كبير من نجاح الدعوة :

الأول : تربية النشء تربية إسلامية صحيحة أساسها الدين الإسلامي ، فالتربية السليمة هي التربة المناسبة فيما بعد لزرع بذور الدعوة فيها ، بعدما تكون هذه التربة قد تهيأت مسبقاً ، وأُعِدتْ الإعداد الأمثل لطرح ثمارها . لذلك فإن الشيخ -رحمه الله- حينما يركز على تربية النشء التربية الإسلامية الصحيحة إنما يُعدّه لمستقبل يتقبل فيه الدعوة بعقل وقلب مهيئين لهذه الدعوة فيحصل بذلك نجاحها على أكمل وجه وأتمه. يقول -رحمه الله-:

---

(١) المرجع السابق ، ج٧ ص٦٥-٧٢ .

(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٥٣ .

(ومن أعظم الفروض وأهم ما يهتم به اعتناء المسلمين بنشئهم ، وأن يوجهوهم التوجيه الديني النافع لهم في دنياهم وآخرتهم ، وأن يأخذوهم بالتزام أصولهم الدينية التي هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واعتقاد ما اعتقده السلف الصالح مما نالوا به العزة والكرامة ، وما حازوا به شرف الدنيا والآخرة ، وأن يغلقوا عنهم جميع الأبواب العائدة بفساد عقائدهم وأخلاقهم)[1].

الثاني : تربية شخص المدعو سواء كان طفلاً أم شاباً ، رجلاً أو امرأة ، مراعياً الفروق الفردية بينهم معطياً كل شخصية ما يناسبها من التوجيه والإرشاد ، متدرجاً في جذبهم إلى سياج الدعوة ممهداً لهم باللين والرفق طريقها ، حتى إذا ما استطابت نفوسهم لها ، واستراحت قلوبهم لندائها سهل على الشيخ بعد ذلك قيادتها إلى الطريق الصحيح .

وإذا أمعنا النظر في فتاوى ورسائل وخطب الشيخ -رحمه الله- نجد أنه قد استعمل في دعوته كل الوسائل التي توجه بها إلى شخص المدعو من خلال مزجه للترغيب والترهيب ، فبعض النفوس تتربى وتستقيم حالها بترغيبها بالعمل الصالح الذي بعده الجنة ، وبعض النفوس تتربى من خلال ترهيبها بغضب الله ونقمته، وبعضها يتربى بتوجيهها لأخذ العبر ممن سبق . لذلك كان منهج الشيخ -رحمه الله- في تربية المدعو يتنوع بتنوع شخصيات المدعوين واختلاف مشاربهم، وتلك سمة عظيمة من سمات دعوة الشيخ -رحمه الله- التي سار فيها على نهج الرسول الكريم ﷺ.

يقول -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين ، وهي نصيحة تعتبر درساً في تأهيل الدعاة إلى الله تعالى ، لفت فيها أنظار بعض الدعاة والمرشدين إلى استعمال أساليب أكثر فعالية في الدعوة ، كما لفت أنظارهم فيها إلى البدء بالمهم فالأهم اقتداء بنهج الرسول ﷺ في الدعوة . يقول -رحمه الله-:

(..... فإن المتكلمين من الكتاب والمرشدين وسواهم ممن يلم بجنس هذه الأمور قد اختلفت وجهتهم وافترقت مغازيهم في كتاباتهم وإرشاداتهم ، وذلك

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣ ص٢٠٥ .

بحسب اختلاف وافتراق ما يدور في أفكارهم ويستقر في تصوراتهم ويحسن في أنظارهم من حيث المهمات والأهميات لا فرق في ذلك بين المتكلم والمرشد الديني والمتكلم خلافه . وأجد من يتكلم عن الأمور الدينية أكثرهم أو كلهم إلا من شاء الله لا يكتبون ولا يرشدون إلا في أمور هي في الحقيقة من الفروع والمكملات ، فتجد الكاتب ، وتجد المرشد لا يتكلم إلا حول فرضية الصلاة مثلاً ووجوب فعلها في جماعة، أو الحج ، أو صيام رمضان ، أو الزكاة وأشباه ذلك ، أو في أشياء من المحرمات كالربا والتعدي على الأنفس والأموال والأعراض ، وغير ذلك من المعاصي والمخالفات ، ونعم ما فعلوا ، وحسن طريقاً ما سلكوا ، ولكنهم كانوا عن أهم الأهم في بعد إلى الغاية ، فقد كان خير الخلق محمد رسول الله ﷺ في أول بعثته ومبدأ دعوته يبدأ بالأهم فالأهم ، وأقام ﷺ بمكة عشر سنوات من بعثته قبل فرض الصلاة التي هي عمود الإسلام وما بعدها من الأركان . كل ذلك في بيان التوحيد والدعوة إليه ، وبيان الشرك وتهجينه والتحذير منه ... وكان ﷺ يسلك في الإنذار عن الشرك والدعوة إلى التوحيد بشتى الطرق ، ويسعى في حثه الناس لإبلاغهم ذلك بكل ما يمكنه حتى إنه مرة صعد على الصفا ﷺ رافعاً صوته واصباحاه ، فلما اجتمعوا إليه قال : يا أيها الناس إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[1].

د- قضايا السياسة وضرورة انبثاقها من صميم الشريعة الإسلامية متمثلة بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ .

يقول -رحمه الله- في إحدى خطبه في رابطة العالم الإسلامي : (..... لكي يشتد جانب المسلمين وتلتئم جراحهم الدامية ، فيعز جانبهم وتحقق آمالهم وتذهب آلامهم ، وتزول مآسيهم أن تقوم رابطة على نطاق أوسع وأقوى يكون حزامها من حكام العالم الإسلامي أنفسهم ، فيجتمع هؤلاء في إطار العقيدة الإسلامية لبحث مشاكل المسلمين بلغة الحكم والسلطان الذي فرض الله قيامه في كل أمة ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب : التفسير ، باب : وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك، ج٤ ص١٧٨٧ ، رقم الحديث ٤٤٩٢ . وللاستزادة انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١ ص٨٥-٨٨ .

وهذا وحده كفيل بأن يعيد الحق إلى نصابه)[١].

هذه السمات الفقهية الآنفة الذكر عند الشيخ -رحمه الله- إنما هي غيظ من فيض ولا يمكن إجمالها في نقاط أو صفحات ، لأن حياة الشيخ -رحمه الله- كلها حافلة بالفقه والعلم والفكر من مبتدئها إلى منتهاها .

ويمكن اعتبار هذه السمات الفقهية لدى الشيخ -رحمه الله- مثالاً يحتذى لكل داعية إلى الله تعالى ، لأنها الزاد الذي لا غنى عنه في كل مرحلة من مراحل الدعوة، لذلك كان -رحمه الله- يحرص أشد الحرص على أن يكون الداعية مؤهلاً لهذه الدعوة، وعلى قدر كبير من العلم والتمكن حتى يصل بدعوته إلى مبتغاها ، فالداعية يدعو إلى الله على بصيرة ، وهذه البصيرة لا تكون إلا بالعلم الشرعي والتمكن منه، والتفقه فيه ، كما أن على الداعية أن لا ينسى أنه يزاول وظيفة من أشرف الوظائف لأن وظيفة الدعوة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين جميعاً عليهم الصلاة والسلام .

لذلك كان لزاماً على من قام بمهمة الدعوة إلى الله أن يقدرها حق قدرها بالعلم والمعرفة ، وأن لا ينبري للقيام بها إذا لم يكن واثقاً من المقومات التي يملكها.

وهذا ما حدا بالشيخ -رحمه الله- على التأكيد على ضرورة وجود هذه المقومات لدى كل داعية . يقول -رحمه الله- في رسالة إلى رئيس مجلس الوزراء حول من يقوم بالوعظ والإرشاد في المسجد الحرام دون أن يكون مؤهلاً التأهيل الكافي:

(حفظك الله يلاحظ إن فيه أشخاصاً يأتون إلى المسجد الحرام ويقومون بإلقاء محاضرات دروس ووعظ وإرشاد ، وقد يكون البعض منهم غير صالح أو غير مأمون، ونظراً لما للمسجد الحرام من الأهمية الكبرى وكثرة الوافدين من أقطار الدنيا، وحرصاً على المصلحة ومنع الفوضى ، فقد رأينا من الضروري وضع تنظيم كفيل بأن لا يتولى التدريس والوعظ والإرشاد في المسجد الحرام إلا

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٩٤-١٩٧ .

من كان كفواً وأهلاً لذلك)[١].

ويقول -رحمه الله- في رسالة أخرى بهذا الخصوص: (... ينبغي عدم السماح لأي واعظ أو مرشد من الأجانب بالوعظ والإرشاد ما لم يحمل إجازة منا بذلك ، حيث إن كثيراً من هؤلاء الوعاظ الأجانب يستخدمون وعظهم وإرشادهم بالتسول، وبعضهم جهال ضررهم أكثر من نفعهم ، وقد يكون فيهم من لا يطمأن إليه)[٢].

من خلال كلام الشيخ -رحمه الله- نستنتج أن عمل الداعية ليس أمراً سهلاً، كما أن إعداده وتأهيله للقيام بهذه المهمة ينبغي أن يؤسس على قاعدة متينة من العلم والمعرفة والفقه ، والالتزام ، والشمولية ، كما أن غياب سمة أو صفة من هذه الصفات يكون ضرره أكثر من نفعه حسب ما ذكره الشيخ رحمه الله ، وهذه حقيقة أقرتها التجربة العملية ، لأن الدعوة عمل جليل ، ومهمة شاقة تتطلب ممن قام بها أن يتصف بالصفات التي تشتمل على كل معطيات الدين ، خُلقاً ، وعلماً ، ونهجاً.

لذلك كان الشيخ -رحمه الله- يحرص على إعداد هذا الداعية منذ البداية الإعداد الذي يتلاءم مع حجم وأهمية المهمة التي يقوم بها .

وما أحسن ما ذكره في هذا المقام سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- والذي كان أحد تلاميذ الشيخ النجباء والذي أصبح فيما بعد علامة زمانه ومفتي الديار السعودية حيث يقول : (كنت ممن قرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم ولازمته نحواً من عشر سنين فكنا نعتني بحفظ المتون لما فيها من الفائدة العظيمة فقد كانت هناك مقولة مشهورة مضمونها :

ليس العلم بما حواه السطر ما العلم إلا ما وعاه الصدر

هذا باعتبار أن حفظ المتون أساس عظيم الانتفاع بالعلم حيث إن افتقاد حفظ هذه المتون قد يضعف التماس المسائل ودليلها من مظانها والحفظ مما يعين

---

(١) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ ص١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ج١٣ ص١٥٩-١٦٠ .

الطالب على العمل . وقد كانت مجالس الشيخ عامرة بالعلم والتوجيه للخير والحرص على العمل الصالح ، والأمر بالمعروف ، والنصح لله ولعباده ، والإجابة عن أسئلة الطلبة مع العناية بالدليل والترجيح فجزاه الله خير الجزاء)[١] .

المطلب الرابع: الإكثار من مجالس الذكر والوعظ

الوعظ والإرشاد من أهم الأمور الدعوية التي ألح الشيخ -رحمه الله- عليها، وكان يكثر منها ، فلم يكن يقف عند حد استظهار الطلاب للعلوم والمعارف، بل كانت الدعوة مقصده الأسمى . وكان يطمح إلى تخريج جيل قادر على حمل مسؤولية الدعوة علماً وعملاً ، فكراً وممارسة ، لذلك كان سماحته - رحمه الله- يكثر من الوعظ والإرشاد والتذكير في كل مناسبة ، وكلما رأى أن الوقت مواتياً لها .

وكان الشيخ -رحمه الله- يعظ الناس على حسب أصنافهم ودرجاتهم في الفهم ، فما كان يعظ به طلابه يختلف عما يعظ به العامة ، وما يعظ به الصغير يختلف عما يعظ به الكبير . كما كان -رحمه الله- يعتبر الوعظ من أهم الواجبات التي يجب على الداعي إلى الله -تعالى- أن يضطلع بها ، قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢] . وقال أيضاً : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[٣] . وقال : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[٤] .

وكان رسول الله ﷺ دائم الوعظ والإرشاد لأصحابه ، يرقق به قلوبهم ، ويطهر نفوسهم ، ويشحذ هممهم . فكلام الداعية إذا خرج من القلب وقع في القلب، لذلك كان على الواعظ استعمال ألطف المعاني في وعظه ، وأكثرها استثارة للمشاعر الدينية التي تقود الإنسان إلى تذكر الموت ، وتذكر يوم القيامة ،

---

(١) كلمة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعنوان (في طريق الدعوة) وهي مسجلة على شريط يمكن الرجوع إليها لمن أراد الفائدة .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٥ .

(٣) سورة الأعلى ، الآية : ٩ .

(٤) سورة ق ، الآية : ٤٥ .

والمرور على الصراط ، والجنة والنار .

ولقد أوجب الله ﷻ على العباد توقير وتعظيم حرمة مجالس الذكر والوعظ بقوله مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [(١)].

يقول ابن كثير -رحمه الله- في هذه الآية الكريمة: (أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ، ويحمدونه ، ويسبحونه ، ويكبرونه ، ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، أقوياء أو ضعفاء) [(٢)].

ومجالس العلم أولى من غيرها بالتعظيم والتوقير لأن العلماء ورثة الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- ومجالسهم أولى بالتعظيم والتوقير من غيرها فهذه المجالس تتلى فيها آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ﷺ وأخبار الصالحين وسيرهم.

لذلك كان الشيخ -رحمه الله- يجل مجالس العلم ويوقرها ، فقد كان سماحته يتوضأ قبل الدرس ويستقبل القبلة ويبدأ شرحه ببسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله [(٣)].

وكان للشيخ -رحمه الله- نشاط في الإرشاد والنصائح منقطع النظير في ذلك الوقت ، وذلك من خلال الكلمات التي كان يلقيها في مسجده ، أو في المنتديات العامة، كما كان الشيخ -رحمه الله- يرسل رسائل إرشادية إلى أئمة المساجد لتقرأ في المساجد وخصوصاً في المناسبات [(٤)].

وقد كانت المواعظ التي يعظ بها الشيخ -رحمه الله- الناس ترقق القلوب ، وتفيض منها المشاعر ، بما يحفظه من المواعظ والحكم ، والمأثور . وكانت مواعظه ترغب الناس في الآخرة ، وتزهدهم في الدنيا من غير أن يميت قلوب العباد

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص١١٠ .

(٣) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار ، ص٨٧ .

(٤) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د. محمد ناصر الشثري ، ج٢ ص٦٦٥ .

بالتخويف، والتهويل ، فقد كانت الدعوة عنده -رحمه الله- دعوة إلى العمل ، ودعوة إلى عمارة الكون بما يرضي الله ﷻ كما كانت تلك المواعظ ترغبهم بفضائل الأعمال وحب الخير ، وتنفرهم من المعاصي ، والعواقب المترتبة عليها . يقول -رحمه الله- في نصيحة وجهها إلى عامة المسلمين :

(فإن حقيقة التقوى أن يجعل العبد بينه وبين غضب ربه وعقابه تقيه ذلك: بفعل أوامره، واجتناب نواهيه وزواجره . وأعظم المأمورات وأهمها توحيد الرب جل شأنه ، فإنه الأمر الذي من أجله خلق الثقلان الجن والإنس ، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١]

وكان الشيخ -رحمه الله- يُضمِّن مقدمة وعظه في كثير من الأحيان بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، ثم يستطرد في الكلام مستشهداً بين الحين والآخر بسير أخبار الصالحين وغيرهم ، وهذا فيه كثير من قوة الحجة ، والبراهين العظيمة التي تؤيد مواعظه وخطبه .

وكان -رحمه الله- يبعث بالرسائل الوعظية إلى أئمة المساجد والعلماء كي يتلوها على الناس في المساجد ، كما كان يكلف العلماء بإسداء هذه المواعظ والنصائح للناس وخصوصاً في المساجد القاصية ، ومن هؤلاء الشيخ عبد العزيز ابن محمد الشثري-رحمه الله- فقد كلفه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- بأن يتصل بالمساجد التي في أطراف البلد ويلقي فيها نصائح بعد صلاة العشاء كل يوم أو في كل أسبوع مرة أو مرتين . وقد بقي على ذلك نحو سنة أو أكثر [٢].

ومن صور اهتمامه -رحمه الله- بالوعظ والوعاظ أنه سعى لدى ولاة الأمر لتعيين عدد من الدعاة والمرشدين لهذا الغرض ، يتضح ذلك مما جاء في الخطاب الذي وجهه إلى جلالة الملك والذي يقول فيه :

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ . وللاستزادة انظر : فتاوى الشيخ ورسائله ، ج٣ص١٤٠

(٢) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، د، محمد بن ناصر الشثري ، ج٢ص٧٤٤ .

(فقد كان للفتكم الكريمة العام الماضي نحو إيجاد خمسين وظيفة واعظ ومرشد أثر طيب جداً وتأثير حسن ، على أن الخمسين الوظيفة المذكورة لم تكف إلا لجزء من المنطقة الجنوبية ، والتقارير التي وصلت إلينا من المشايخ الذين تجولوا في تلك المناطق تحتم وجوب المبادرة في إنقاذ تلك المناطق من الجهل الضارب هناك .... فنرجو أن يتفضل جلالتكم بتبني إنقاذ هذه المناطق من الجهل والشرك ، ونقلها إلى نور التوحيد والعلم : وفي الحديث عن سهل بن سعد -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: (....**فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**)[١] وذلك بأمرين:

الأول : صدور أوامر كريمة بإحداث خمسين وظيفة واعظ ومرشد مضافة إلى الخمسين في ميزانية ٨٥ ، ٨٦ ليعين فيها من فيهم الكفاءة -إن شاء الله-للقيام بهمة الوعظ والإرشاد .

الثاني : إيجاد إدارة خاصة لتكون مرجعاً للوعاظ والمرشدين نختار لها رئيساً كفواً ونذكره لجلالتكم ، وتكون هذه الإدارة مرجعاً مباشراً لأولئك الدعاة والوعاظ والمرشدين ، وتتولى تنظيم وتوزيع أعمالهم في المناطق والإشراف عليهم)[٢].

كما كان الشيخ -رحمه الله- يحرص أشد الحرص على أن يكون الواعظ مثقفاً ثقافة شاملة تقنع الناس من حوله بأهمية ما يصدر عنه من أفعال وأقوال ، وخاصة أهمية وجود ثقافة لغوية متمكنة ، وبالأخص الإلمام باللغة العربية ، فقد كان -رحمه الله- يكره اللحن ، من ذلك أن أحدهم قام مرة يتكلم في مسجده ، فقال: (عمر بن الخطاب) بكسر الراء . فقام الشيخ -رحمه الله- ولما قيل له . قال : ما استطعت أن أجلس وقد كسر (عمر)[٣].

ولقد كانت أغلب نصائح الشيخ -رحمه الله- تزخر بالمواعظ والإرشادات التي لا تكاد تخلو منها رسالة أو فتوى . ومن الأمثلة على ذلك نصائحه إلى عامة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٦ ، رقم الحديث ٣٠٠٩ ، ص١٤٤ .
(٢) فتاوى الشيخ ورسائله ، ج١٣ص١٥١ .
(٣) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. الأطرم ، و د. العمار . ص١٩١ .

المسلمين والتي كان يعظهم بها ويذكرهم بما عليهم من واجبات يجب أن يؤدوها ، مثل إخلاص العمل لله ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ والابتعاد عن الشرك بالله ، والابتداع في الدين ، والقيام بفريضة الصلاة ،وأداء الزكاة ، وصيام شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، وتناصح المسلمين وتذاكر بعضهم مع بعض في القيام بفعل ما أمر الله به ورسوله ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم التشبه بالكفار ، وضرورة اعتناء المسلمين بنشئهم ، إلى ما هنالك من إرشادات لم يكن الشيخ -رحمه الله- يبخل بها كلما كانت الفرصة مواتية له .

وكان الشيخ -رحمه الله- حكيماً في اختياره للوقت المناسب للوعظ والتذكير، فكان لا يميل إلى التذكير بعد صلاة الجمعة اكتفاء بالخطبة ، ولقوله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٠﴾ ﴾ [١] ولئلا يثقل على المصلين ولاسيما من أتى مبكراً [٢].

وفي هذا حكمة بالغة منه -رحمه الله- فرغم أن المسجد كان بالنسبة له مكاناً مهماً يستطيع من خلاله الاجتماع بالعامة ، وإلقاء الخطب والمواعظ ، إلا أنه كان يختار الوقت الذي يشعر فيه أن الناس مهيئين لتقبل الوعظ والإرشاد ، فالنفوس تعاف، والتكرار ممل حتى لو في أطيب الأشياء . وهذا نهج سليم في الدعوة استقاه -رحمه الله- من سيرة النبي ﷺ العطرة بقوله عليه الصلاة والسلام : (**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**) [٣]. فكان -رحمه الله- رفيقاً في دعوته شفوقاً على الناس بحلمه وصبره، ولين كلامه ، وهو ما كان سبباً في استئناس الناس لدعوته ، وإقبالهم على مجلسه، وتدافعهم من حوله .

وهذا بعكس ما عليه كثير من دعاة اليوم الذين يظنون أن الوعظ يجب أن يكون في كل وقت وحين ، فترى الناس وقد نفرت من حولهم ، وملت سماعهم ، ونسيت مواعظهم.

---

(١) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .

(٢) حياة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وآثاره ، د. العمار ، و د. الأطرم ، ص١٩١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، ج٣ ، ص١٤٥٨ ، رقم الحديث ١٨٢٨ .

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له على جزيل نعمه وسوابغ منه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صلِ عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــــد :

فبتوفيق من الله ﷻ قمت بإتمام هذه الرسالة التي وضحت من خلالها آثار جهود الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب ، راجية منه ﷻ أن ينفعني بما قدمت ، وينفع به جميع المسلمين ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

أولاً : أما أهم النتائج التي أعانني الله ﷻ في التوصل إليها فهي كالتالي :

١- إن الدعوة إلى الله تعالى علم ومنهج أساسها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ .

٢- إن أمة محمد ﷺ هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لذلك كان من أهم واجبات الدعاة النصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يحثوا الناس على هذه الشعيرة ، ويبينوا ما في تركها من مخالفة شرعية لأوامر الله ﷻ ، ورسوله المصطفى ﷺ .

٣- إن على الداعي إلى الله تعالى أن يلتزم بما يدعو إليه ، ليتطابق قوله مع فعله ، وأن يكون صورة صادقة لما يدعو إليه ، فهكذا كان منهج الشيخ محمد -رحمه الله- من التزام بالدعوة قل نظيره ، فلم يؤثر عنه تناقض أو فصل بين سلوكه وأفعاله وأقواله وبين ما كان يدعو إليه ، وهو ما كان له عظيم الأثر في التفاف الناس حوله ، والثقة به ، مع محبتهم له وإجلالهم لعلمه وأخلاقه .

٤-وجوب الاهتمام بتعليم العلوم الشرعية لأن العلوم الشرعية أساس الفقه ، ومنها تنطلق باقي العلوم ، وهي العلوم التي بها يعرف الله ﷻ وبها يعبد ، ومن خلالها يخشى الله تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [١].

٥-المدارس والمساجد من أهم المؤسسات التعليمية التربوية التي يحسن بالدولة أن تعنى بها وتزيد من أعدادها ، وتمدها بالمستلزمات التي تعينها في أداء مهامها في تخريج الدعاة القادرين على حمل رسالة الدعوة بعلم وثقة ، فهذه المؤسسات هي التي تتيح للداعية منذ نشأته فهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً متكاملاً ، وتزوده بالعدة المناسبة لدعوته من قيم ومثل عليا ، وثقة بنفسه لا متناهية .

٦-وجوب نبذ القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر ، وتحكيم الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة ، وهو ما أكدَّ عليه الشيخ محمد -رحمه الله- وحذر من تحكيم قوانين لا تعمل بشرع الله ﷻ ، كما حذر -رحمه الله- من الذين يعطلون شرع الله ﷻ ويتهمون الشريعة الإسلامية بالنقص ، وعدم تلبيتها لمتطلبات العصر الحديث .

٧-أهمية عناية الدولة بالعمل على استقلال القضاء وحصانته ، والقضاء على المحسوبيات والوساطة التي تعطل تحكيم شرع الله ﷻ ، وضرورة وقوف ولاة الأمر إلى جانب القضاة وإعانتهم على أداء مهامهم بنزاهة وصدق وعدل .

٨-الضرب على أيدي أشباه المفتين وأنصاف المفتين الذين من شأن فتاواهم إثارة الخلاف والشقاق بين الناس ، وإحداث البلبلة التي تؤدي إلى إثارة الكثير من الفتن والاضطرابات .

٩-ضرورة انتقاء أئمة المساجد والخطباء والوعاظ ممن يُرى فيهم الكفاءة والمقدرة والصلاح ، والحرص على عدم التساهل في ذلك خوفاً من حدوث أضرار كبيرة.

١٠-ضرورة الإكثار من المكتبات العامة وتعميرها بالكتب النافعة ، وإتاحة الإطلاع عليها والاستفادة منها لكل الناس ، لأن المكتبة من وسائل الدعوة الهامة ، وهي نافذة مهمة يطلع من خلالها القارئ على الكثير من العلوم

---

(١) سورة فاطر ، جزء من الآية : ٢٨ .

والمعارف .

١١-وجوب تفعيل دور هيئة مراقبة الكتب والمطبوعات ، وعدم التساهل وغض النظر عن المطبوعات التي تسيء إلى قيم ومبادئ الإسلام بشكل أو بآخر ، وضرورة مراقبة المجلات المفسدة للأخلاق ، وهي كثيرة ومنتشرة ، وخاصة في المكتبات الخاصة الصغيرة التي همها الأول الربح والكسب المادي على حساب تشويه الدين الإسلامي وإفساد النشء .

١٢-الإذاعة والتلفزيون والصحافة المقروءة من أهم الوسائل الإعلامية التي يجب على القائمين عليها القيام بتخطيط سياستها بما يتناسب ويتلاءم مع مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف .

١٣-أهمية وضرورة تلاحم القيادتين السياسية والعلمية ، لتشكيل قاعدة متينة يقوم عليها استتباب أمن المجتمع وسلامته ، وذلك من خلال نصح العلماء لولاة الأمر، وتنبيههم ، وتوجيههم لخدمة مصالح العباد بما يرضي الله ﷻ ، وبالمقابل إصغاء ولاة الأمر للعلماء ، وتقبل نصحهم ، وإرشادهم ، ومد يد العون لهم ما داموا يدعون إلى الخير والصلاح .

١٤- الدعوة إلى الله تعالى يجب أن لا يقتصر نشاطها داخل المملكة العربية السعودية ، أو الدول العربية والإسلامية ، بل يجب أن تمتد لتشمل الدول الإسلامية غير العربية ، والدول والمجتمعات غير الإسلامية .

١٥-إن التشبه بالكفار في المأكل والمشرب والملبس والعادات والتقاليد يؤدي إلى ضياع الهوية الإسلامية ، ويوجب غضب الله ﷻ .

١٦-إن رفع القبور وبناء المساجد عليها ، والرقي والتمائم ، والاحتفال بالمولد النبوي كلها بدع ما أنزل الله بها من سلطان ، ويجب محاربتها والقضاء عليها.

١٧-إن سفور المرأة واختلاطها بالرجال ، ونبذها الحجاب ، وتبرجها ، كلها أمور تفضي إلى المحرمات .

١٨-يترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتخلي الناس عن هذه

الشعيرة المهمة مضار كثيرة منها : اللعن والطرد من رحمة الله ﷻ ، وعدم استجابة الدعاء ، وإهلاك الخاصة والعامة ، والإثم المشترك بين تارك الاحتساب وفاعل المنكر .

١٩-إن جهاز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأجهزة المهمة في المملكة العربية السعودية والتي ينبغي أن تولى عناية كبيرة ودعماً مستمراً.

٢٠- يتبين لنا من خلال دراسة آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في الدعوة والاحتساب بأنه لا بد للدعاة إلى الله من التنبه والتبصر لعدد من الأمور من أهمها :

أولاً : ضرورة اعتماد الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى على كتاب الله ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ وأن لا يحيدوا عنهما بحال من الأحوال .

ثانياً : أن يعمل الداعية إلى الله تعالى على إصلاح المجتمع من خلال إصلاح العقيدة ، وسعي الداعية الدؤوب لبنائها على أسس ومعايير راسخة .

ثالثاً : ضرورة تحلي الداعية بالخلق الحسن ، والصبر ، والبصيرة ، وتأليف القلوب ، وتهيئة النفوس لتقبل الدعوة ، وهذا يعود إلى ذكائه وقوة إيمانه ، والابتعاد قدر الإمكان عن استعمال أسلوب الإكراه والإجبار على أمر من الأمور ، مع ما يجب أن يتمتع به الداعية من سعة ورحابة صدر ، ولين مع شدة في الوقت المناسب ، وأن يتحاشى الإعجاب بنفسه ، والرياء في عمله .

رابعاً : اهتمام الداعية قبل القيام بمهمة الدعوة بدراسة أحوال المجتمع ، وأحوال المدعوين من جميع الجوانب ، النفسية ، والاعتقادية ، والفكرية ... إلخ .

خامساً : اجتهاد الداعية في حسم أسباب الفساد في المجتمع ، وإيقاظ الناس وتنبيههم من غفلتهم ، ولفت أنظارهم للنتائج المترتبة على المعاصي ، ووضع العبرة من إهلاك الله ﷻ للأقوام المنحرفة في إطار تصويري قصصي يجذب المدعو إليه ، ويجعله يصل إلى النتيجة والعبرة بطريقة

عقلية ووجدانية، فهذا من شأنه إيغال الدعوة في حياة وعقول وقلوب الناس ، ويجعلها حديث أنديتهم ومجالسهم .

سادساً : الدروس في المسجد والخطب ، ومجالس الذكر والوعظ من الأمور التي يجب على الدعاة الإكثار منها ، واستغلال المناسبات الدينية مثل أيام الجمع، والأعياد في أهمية اجتماع المسلمين على كلمة واحدة ، وعدم إفساح المجال لأعداء الإسلام للتسلل بين صفوف المسلمين ، وتذكير الناس بأيام الله ، وما أعد الله ﷻ للمتقين من مغفرة ورضوان .

ثانياً : التوصيات :

أولاً : أوصي نفسي والعاملين في مجال الدعوة إلى الله تعالى أن يكون كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ هما القاعدة والمرتكز الأساسي الذي ينطلقون منه لتبليغ دعوتهم إلى الناس .

ثانياً : أوصي الدعاة أن يستخدموا أحدث وسائل الاتصال لتصل رسالتهم على نطاق واسع ومقبول .

ثالثاً : إن كثرة المعاصي والغفلة التي وقع فيها كثير من الناس اليوم يجب أن لا تُدخل في قلب الداعية اليأس والإحباط ، وإنما تكون ثقته بالله كبيرة ، وأمله في الإصلاح كبير . من هنا فإني أوصي كل داعية بالصبر والاحتساب ، وأن يتخذ من منهج رسول الله ﷺ في الدعوة قدوة له ومثالاً أعلى ، ويستذكر كم عانى ﷺ في دعوته قومه إلى دين الإسلام ، وكم لاقى من مصاعب ومحن ، ورغم هذا بقي ﷺ صابراً مؤمناً بحكمة الله ﷻ وإرادته ومشيئته .

رابعاً : تذكير الدعاة إلى الله بأهمية اتحاد كلمتهم وتعاونهم في مجال بذل الخير لغيرهم، لأن ذلك يحقق الأهداف الرئيسة لدعوتهم التي ينافحوا عنها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ

١ **اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة** ، د. إبراهيم الفوزان ، ط (الرياض: مطابع الفرزدق ، ١٤٠١هـ) .

٢ **اتحاف النبلاء بسير العلماء** ،راشد الزهراني ، ط٢ (الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ) .

٣ **ابن باز الداعية الإنسان** ،فهد البكران ، محمد طلبة ، ط١ (جدة : مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ، ١٤١١هـ) .

٤ **أفكار تربوية** ، د. إبراهيم عباس نتو ، ط١ (جدة :مكتبة تهامة ، ١٤٠١ هـ).

٥ **إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة**، سيد صديق القنوصي، ط١(١٤١١هـ) .

٦ **أشهر أئمة الدعوة خلال قرنين** ،إبراهيم بن عثمان الفارس ، ط١ (الرياض : دار الوطن للنشر ١٤١٢هـ) .

٧ **أدب الفتيا** ،الحافظ جلال الدين السيوطي ، دراسة الدكتور محي هلال السرحان ، (بغداد : مطبعة الإرشاد) .

٨ **أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية** ، د. إبراهيم بن صالح الخضيري ، (الرياض :وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية) .

٩ **إطلالة تاريخية على المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية مع دليل شامل لها** ، د. محمد بن عبد الله الضبيعان ، (الرياض : مطابع مكتبة الملك فهد ١٤١٥هـ) .

١٠ **أساس البلاغة ، الزمخشري**، تحقيق : أ. عبد الرحيم محمود ، ط (بيروت: دار المعرفة) .

١١ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** ،ابن قيم الجوزية ، ط١ (الرياض : دار المنار ١٤١٧هـ) ج٢ .
١٢ **أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام** ،محمد بخيت المطيعي ، ط٢ (القاهرة : جمعية الأزهر للطباعة والنشر ، ١٣٥٨هـ) .
١٣ **إحياء علوم الدين** ، أبي حامد الغزالي ، ط (بيروت : دار الفكر) .
١٤ **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٧هـ) .
١٥ **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز** ، د. عبد الفتاح حسن أبو علية ، ط (الرياض : دار المريخ للنشر) .
١٦ **الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية**، عبد الله بغدادي ، ط٢ (جدة: دار الشروق ، ١٤٠٦هـ) ج٢ .
١٧ **الاتجاهات الجديدة في سياسة التعليم**، صلاح البكري ، ط (القاهرة : مطبعة المدني).
١٨ **الإرشاد للأئمة والخطباء والعباد** ،عبد البديع صقر ، ط (القاهرة : دار الاعتصام) .
١٩ **الأحكام السلطانية** ، **والولايات الدينية** ،أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي ، ط (مصر : شركة ومطبعة البابي ، ١٣٩٣هـ) .
٢٠ **الاعتصام** ،الإمام الشاطبي ، ط (القاهرة : دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع) .
٢١ **الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع** ،الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق : مصطفى عاشور ، ط (القاهرة : مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع) .
٢٢ **الإبداع في مضار الابتداع** ،علي محفوظ ، ط٥ (القاهرة : دار الاعتصام، ١٣٥٧هـ) .
٢٣ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ، أحمد عز الدين البيانونى ، ط٢ (القاهرة

: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ) .

٢٤ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ،السيد جلال الدين العمري ، نقله إلى العربية : محمد أجمل الإصلاحي ، ط١ (بيروت : دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه ، ١٤٠٤هـ) .

٢٥ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، أبي بكر محمد الخلال ، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، ط١ (الرياض ، دار الاعتصام ، ١٣٩٥هـ) .

٢٦ **الإسلام بين العلماء والحكام** ،عبد العزيز البدري ، ط١ (المدينة المنورة: المكتبة العلمية ، ١٤١٧هـ) .

٢٧ **الإسلام دين كامل** ،محمد الأمين الشنقيطي ، ط (المدينة المنورة : مكتبة أمين محمد سالم) .

ب

٢٨ **البلاد العربية السعودية**، فؤاد حمزة ، ط٢ (الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ) .

ت

٢٩ **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز**، إبراهيم العتيبي ، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٤هـ) .

٣٠ **توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز** ، د. حسن عبد القادر صالح ، (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) .

٣١ **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين** ، د. مديحة أحمد درويش ط١ (دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠٠هـ).

٣٢ **تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية** ، د. حمد السلوم ، ط٣ (واشنطن : مطابع انترناشيونال كرافيكس ، ١٤١١هـ) .

٣٣ **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**، بدر الدين بن جماعة الكناني ، ط (مطبعة أم القرى ، ١٣٥٨هـ) .

٣٤ **تاريخ الفتوى في الإسلام وأحكامها الشرعية** ، د. لينة الحمصى ، ط١

(دمشق: دار الرشيد ، ١٤١٧هـ) .
٣٥ تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبد الله بن ناصر القصير ، ط١ (الرياض : دار العاصمة ١٤١١هـ) .
٣٦ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ط (الرياض : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) .
٣٧ تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ، د. صالح بن سعد السحيمي ، ط١ (الرياض : دار ابن حزم للنشر والتوزيع ،١٤١٠ هـ).
٣٨ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ط١ (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١هـ)
٣٩ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،تحقيق ، عبد العليم البردوني ، ط٢ (القاهرة: دار الشعب ، ١٣٧٢هـ) .
٤٠ تفسير الجلالين ،محمد بن أحمد وآخرون ، ط (القاهرة : دار الحديث).
٤١ تاج العروس ،محمد مرتضى الزبيدي ، ط١ (القاهرة : ١٣٠٦هـ) ج٢
٤٢ تلبيس إبليس ،ابن الجوزي البغدادي ، تحقيق : علماء الأزهر الشريف ، ط٢ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٦٨هـ) .
٤٣ تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، ط٥ (دمشق : دار القلم ، ١٣٩٧هـ) .
٤٤ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب ، ط (الرياض :رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)
٤٥ التحليل السياسي لفكر الملك عبد العزيز ، د. محمد السيد سليم ، (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) .
٤٦ التطورات السياسية والحضارية في الدولة السعودية المعاصرة ،لطيفة السلوم، ط١ (١٤١٦هـ) .
٤٧ التعليم النظامي وغير النظامي في المملكة العربية السعودية ، د. إبراهيم محمد

إبراهيم ، ط١ (جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٥هـ) .

٤٨ **التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز – رحمه الله –** عبد اللطيف بن دهيش ، (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز).

٤٩ **التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، عبد الله الحقيل** ، (ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز) .

٥٠ **التعليم العام في المملكة العربية السعودية** ، د. حمد إبراهيم السلوم(١٤١١ هـ) .

٥١ **التعليم في عهد الملك عبد العزيز** ، أ.د. محمد السلمان ط (الرياض : الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ١٤١٩ هـ) .

٥٢ **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية** ،سعود بن سعد آل دريب ، ط١ (الرياض : مطابع حنيفة للأوفست ، ١٤٠٣هـ) .

٥٣ **التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي وتطبيقه في المملكة العربية السعودية** ، محمد مصطفى الزحيلي ، ط١ (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٠هـ) .

٥٤ **التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية** ،حامد محمد أبو طالب ، ط١ (القاهرة : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ) .

٥٥ **التعريفات** ،لأبي الحسن الحسيني الجرجاني ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، ط١ (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٢هـ) .

٥٦ **التفسير الكبير** ،ابن تيمية ، تحقيق وتعليق : عبد الرحمن عميرة ، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ) .

٥٧ **التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية من عام ١٣٥١-١٤٠٨هـ** ،طامي بن معيض البقمي ، (الرياض : الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤١٩هـ) .

٥٨ **الثقافة الإسلامية وتحديات العصر** ، د. شوكت محمد عليان ، ط١ (الرياض : دار الرشيد للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ) .

ج

٥٩ **جهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد** ، حمد الجاسر ، ط (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

٦٠ **جزيرة العرب في القرن العشرين** ، حافظ وهبة ، ط٥ (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ) .

٦١ **جهود الملك عبد العزيز في التنمية السياسية** ، د. محمد نصر مهنا ، (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .

٦٢ **جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة** ، عبد العزيز آل الشيخ ، (الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ).

٦٣ **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خمسة عقود** ، (الرياض : الإدارة العامة للثقافة والنشر ، ١٤١٩هـ) .

٦٤ **الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد القرطبي** ، ط١ (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٨٦هـ) .

ح

٦٥ **حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره** ، د. صالح بن عبد الرحمن الأطرم ، و د. عبد الله بن موسى العمار ، (الرياض : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١١هـ) .

٦٦ **حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي في سطور** ، أحمد القرعاوي ، ط١ (عنيزة : مكتبة الأمة ، ١٤١٣هـ) .

٦٧ **حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية** ، عبد الله الرويشد ، (القاهرة : رابطة الأدب الحديث ، ١٤٠٤هـ) .

٦٨ **حراسة الفضيلة** ،بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط٤ (الرياض : دار ابن

الجوزي للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ) .

٦٩ **الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية** ، عبد الله العثيمين (محاضرات أعدت بمناسبة الأسبوع الثقافي السعودي في الجزائر، ١٤٠٤هـ) .

٧٠ **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** ، د. بكري شيخ أمين ، ط١ (بيروت : دار صادر ، ١٣٩٣هـ) .

٧١ **الحرب النفسية في صدر الإسلام** ، د. محمد بن مخلف بن صالح المخلف، ط ١ (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١٣هـ) .

٧٢ **الحسبة في الإسلام** ،ابن تيمية ، تحقيق : سيد بن أبي سعدة ، ط١ (الكويت : مكتبة دار الأرقم ، ١٤٠٣هـ) .

٧٣ **الحسبة والنيابة العامة** ،سعد بن عبد الله العريفي ، ط١ (الرياض : دار الرشد للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ) .

٧٤ **الحسبة في الإسلام** ،عبد العزيز بن محمد بن مرشد ، ط١ (الرياض : مطبعة المدينة ، ١٣٩٣هـ) .

د

٧٥ **دور التعليم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية** ، عبادة خياط ، ط١ (جدة : دار البيان العربي ، ١٤٠٣هـ) .

٧٦ **دليل الدراسات العليا** ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (إعداد إدارة الدراسات العليا ، أشرف على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠٠-١٤٠١هـ) .

٧٧ **دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، ط (إدارة الدراسات والمعلومات) .

٧٨ **دليل المعهد العالي للقضاء للعام الدراسي ١٣٩٢ - ١٣٩٣هـ** (الرياض مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٤هـ) .

٧٩ **الدعوة في عهد الملك عبد العزيز** ، د. محمد بن ناصر الشثري ،

ط٢ (١٤١٨هـ) .

٨٠ **الدليل المختصر عن جامعات العالم** ،حسين عبد الجليل علي ، (القاهرة: دار الاعتصام) .

٨١ **الدين النصيحة** ،الحافظ زين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي ، تحقيق : أشرف عبد الرحيم ، ط١ (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١١هـ) .

٨٢ **الداء والدواء**، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي، ط (القاهرة: دار الحديث) .

ذ

٨٣ **ذم الجهل وبيان قبيح أثره** ، د. محمد بن سعيد بن رسلان (القاهرة : دار العلوم الإسلامية) .

ر

٨٤ **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وغيرهم** ،محمد بن عثمان القاضي ، ط ١ (القاهرة مطبعة الحلبي ، ١٤٠٢هـ) .

٨٥ **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه** ، تقديم : بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط١ (الرياض: مكتبة الملك فهد ، ١٤٢٠هـ) .

٨٦ **رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز** ، محمد الشوكاني ، تحقيق : محمد إبراهيم الشيباني ، ط٢ (الكويت : مكتبة ابن تيمية) .

٨٧ **الركائز الأساسية للنظام الوطني للمكتبات العامة بالمملكة العربية السعودية**، د. هشام بن عبد الله عباس (الرياض : مطابع التقنية للأوفست ، ١٤١٤ هـ) .

٨٨ **الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – أعمالها–** ، ط ١ (الرياض :الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١٤١٩هـ) .

ز

٨٩ **زاد الداعية إلى الله** ،محمد بن صالح العثيمين ، أعده : فهد بن صالح السليمان ، ط٣ (الرياض : دار الوطن للنشر ، ١٤١٣هـ) .

٩٠ **زوائد السنن على الصحيحين** ، جمع وترتيب : صالح أحمد الشامي ، ط١ (دمشق: دار القلم ، ١٤١٨هـ) .

٩١ **زاد المعاد في هدي خير العباد** ،لابن قيم الجوزية ، علق عليه شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط ، ط٥ (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ) .

س

٩٢ **سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما** ، أمين الريحاني ، ط٥ (الرياض : منشورات الفاخرية ، ١٩٨١م) .

٩٣ **سنن الترمذي** ،للإمام الحافظ أبي عيسى محمد الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي) .

٩٤ **سنن أبي داود** ،سليمان بن الأشعث أبو دواد السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط (بيروت : دار الفكر) .

٩٥ **سنن النسائي** ،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ (حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ) .

٩٦ **سنن الله في المجتمع من خلال القرآن** ،محمد الصادق عرجون ، ط٣ (جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ) .

٩٧ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، محمد الألباني، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٧٨هـ) .

٩٨ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** ، محمد الألباني، ط٤ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨هـ) .

٩٩ **السياسية المالية في عهد الملك عبد العزيز** ، د. صالح الشعيبي (بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، من ١٩- ٢٣ ربيع الأول ، ١٤٠٦هـ) .

ش

١٠٠ **شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز** ، خير الدين الزركلي ، ط٢ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٧هـ) .

١٠١ **شريعة الإسلام** ، د. يوسف القرضاوي ، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٩٣هـ) .

١٠٢ **شعب الإيمان** ،أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ) .

١٠٣ **شرح النووي على صحيح مسلم** ،أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، ط٢ (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ) .

١٠٤ **الشيخ محمد بن إبراهيم وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية** ، محمد آل اسماعيل ط (الرياض : المطابع الأهلية للأوفست)

١٠٥ **الشريعة الإسلامية تحكم** ، د. منير عبد الحميد هارون ، ط١ (الرياض : الإسراء للخدمات الإعلامية ، ١٤١٤هـ) .

ص

١٠٦ **صحيح البخاري** ،أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ (بيروت : دار ابن كثير اليمامة ، ١٤٠٧هـ) .

١٠٧ **صحيح مسلم** ،ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط (بيروت : دار إحياء التراث العربي) .

١٠٨ **صحيح الجامع الصغير** ، محمد الألباني ، ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٨هـ) .

١٠٩ **صحيح سنن النسائي** ، محمد الألباني ، ط١ (الرياض : مكتب التربية

العربي
لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ) .

١١٠ **صحيح ابن حبان** ، ترتيب : الأمير علاء الدين الفارسي ، خرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، وحسين أسد ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ) .

١١١ **صحيح سنن ابن ماجة** ، محمد الألباني ، ط٢ (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨هـ) .

١١٢ **صفات الدعاة** ، د. عبد الرب نواب الدين ، ط١ (الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٣هـ) .

١١٣ **صيد الخاطر** ، ابن الجوزي ، تحقيق : ناجي الطنطاوي ، ط٣ (دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ) .

ض

١١٤ **ضوابط الاجتهاد والفتوى** ، أحمد علي طه ربان ، ط١ (المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ) .

١١٥ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** ، محمد الألباني ، ط٢ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ) .

ط

١١٦ **طرق تدريس التربية الإسلامية** ، عابد توفيق الهاشمي ، ط٥ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ) .

١١٧ **الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية** ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : د. محمد جميل غازي (جدة : دار المدني للطباعة والنشر) .

ظ

١١٨ **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز** ، عبد العزيز بن محمد الأحيدب، ط (الرياض : مطابع الإشعاع التجارية ، ١٣٨٨هـ) .

ع

١١٩ عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ، عبد العزيز شرف ، ومحمد إبراهيم شعبان ، ط١ (القاهرة : ١٤٠٣هـ) .

١٢٠ علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله البسام ، ط٢ (الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٩هـ) .

١٢١ علماؤنا ، فهد البدراني ، و فهد البراك ، ط٢ (١٤١٠هـ) .

١٢٢ علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ط٣ (مصر : دار النصر للطباعة الإسلامية ، ١٣٩٧هـ) .

١٢٣ علماء وأعلام وأعيان الزلفى ، فهد الكليب ، ط١ (الرياض : مطابع أطلس للأوفست ، ١٤١٥هـ) .

١٢٤ علماء نجد خلال ستة قرون ، عبد الله البسام ، ط١ (مكة المكرمة : مطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٨٩هـ) .

١٢٥ عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، د. محمد أحمد ملكاوي ، ، ط٢ (الرياض : دار ابن تيمية للنشر والتويع والإعلام ، ١٤١٢هـ) .

١٢٦ العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، محمد عبد الله الرشيد ، ط١ (الرياض : مكتبة الإمام الشافعي ، ١٤١٦هـ) .

١٢٧ العلم رفعة وخشية، يوسف علي بديوي ، ط١ (دمشق : دار الكلمة الطيبة ، ١٤١٧هـ) .

١٢٨ العقيدة الإسلامية ونواقص الإسلام ، الشيخ عبد العزيز بن باز (الرياض : إدارة التوعية والتوجيه) .

ف

١٢٩ فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، جمع وترتيب وتحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ (مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، ١٣٩٩هـ) .

١٣٠ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، محب الدين الخطيب ، ط (بيروت : دار

المعرفة ، ١٣٧٩هـ) .

١٣١ **الفتيا ومناهج الإفتاء** ،محمد سليمان عبد الله الأشقر ، ط٢ (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٨هـ) .

١٣٢ **فصول في الدعوة الإسلامية** ، د. حسن عيسى عبد الظاهر ، ط١ (قطر: دار الثقافة ، ١٤٠٦هـ) .

١٣٣ **الفتوى بين الانضباط والتسيب** ، د. يوسف القرضاوي ، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٤١٥هـ) .

ق

١٣٤ **قلب جزيرة العرب** ، فؤاد حمزة ، ط٢ (الرياض : مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ) .

١٣٥ **قادة الفكر الإسلامي عبر القرون** ، عبد الله الرويشد ، ط (مطبعة دار إحياء الكتب العربية) .

١٣٦ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** ، ابن تيمية ، ط٢ (١٣٩٦هـ) .

١٣٧ **القاديانية** ،عبد الله صالح الحموي ، ط١ (الرياض : مكتبة السروات ، ١٤٠٣هـ) .

١٣٨ **القاموس المحيط** ،الفيروز أبادي ، ط١ (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ)

١٣٩ **القوانين الوضعية في ميزان الشريعة الإسلامية** ،أحمد بن عبد الرحمن الحصين ، ط١ (١٤٠٨هـ) .

ك

١٤٠ **كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في ٢٠ عاماً** ، جامعة الملك عبد العزيز (١٣٩٤هـ) .

١٤١ **كشف الشبهات** ،محمد بن عبد الوهاب ، ط٢ (القصيم : دار البخاري للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ) .

١٤٢ **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، محمد بن عبد الوهاب ،

ط١٣ (الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٤٢١هـ) .

١٤٣ **الكتاب السنوي عام ١٣٩٤ - ١٣٩٥هـ** ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٤٤ **الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة** ، ط١ (المدينة المنورة : مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، دار العلم ، ١٤١٩هـ) .

ل

١٤٥ **لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية** ، عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٢هـ).

١٤٦ **لسان العرب** ، ابن منظور ، ط١ (القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق) .

م

١٤٧ **مشاهير علماء نجد وغيرهم** ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ط٢ (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٤هـ) .

١٤٨ **موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية** ، ط١ (الرياض : أسبار للدراسات والبحوث والإعلام ، ١٤١٩هـ) .

١٤٩ **معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية** ، علي جواد الطاهر ، ط٢ (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٨هـ) .

١٥٠ **مصباح الزجاجة** ، أحمد بن اسماعيل الكناني ، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي، ط٢ (بيروت : دار العربية ، ١٤٠٣هـ) .

١٥١ **منهج السلف في تلقي العلم الشرعي** ، عبد الباسط بن محمد خليل ، (الدوحة: دار الثقافة والطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ) .

١٥٢ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، ابن قيم الجوزية ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٠هـ) .

١٥٣ **منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي** ، محمد بن الأمين الأنصاري ، ط١ (الرياض : مكتبة الأنصار ، ١٤٠٤هـ) .

١٥٤ مقدمة ابن خلدون ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٩٦م) .

١٥٥ مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، أحمد حمزة الدين ط١ (القاهرة : دار الحديث ، ١٤١٦هـ) .

١٥٦ مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة العربية السعودية ولمحات من إنجازاتها ،عبد الله بن راشد السنيدي ، ط٢ (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ) .

١٥٧ منهاج المسلم في تكوين المجتمع المسلم، أبو أسامة عبد الحميد محي الدين، ط١ (جدة : مكتبة الخدمات الحديثة ، ١٤١٤هـ) .

١٥٨ منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى ، عبد الله بن رشيد الحوشاني ، ط١ (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٣هـ).

١٥٩ من أجل مسجد فاعل ،عبد الرحمن بن عبد الله اللعبون ، ط٢ (الرياض: دار ابن لعبون ، ١٤١٨هـ) .

١٦٠ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، حمد الجاسر ، (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٨٦هـ) .

١٦١ مدخل إلى الإعلام ، سيد محمد الشنقيطي ، ط١ (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١١هـ) .

١٦٢ منهج الدعوة الإسلامية ، عبد الحميد كشك ، ط (القاهرة : دار الجيل للطباعة)

١٦٣ معالم القربة في أحكام الحسبة ،محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ، تحقيق د. محمد شعبان ، و أ. صديق المطيقي ، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م) .

١٦٤ مقاصد أهل الحسبة، خالد بن عبد الرحمن الشايع ، تقديم : إبراهيم بن سليمان التركي ، ط١ (الرياض : دار بلنسية للنشر والتوزيع ، ١٤١٤ هـ) .

١٦٥ موسوعة الفضائل والرذائل ، د. عبد القادر الشيخلي ، ط١ (عمان : دار

البشير ، ١٤١٤هـ) .

١٦٦ **مواضيع همم الشباب** ،عبد الله بن جار الله الجار الله ، ط٢ (الرياض : المديرية العامة للمطبوعات ، ١٤٠٨هـ) .

١٦٧ **مختار الصحاح** ،محمد بن أبي بكر القادر الرازي ، ط٤ (بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ) .

١٦٨ **مجموع الفتاوى لابن تيمية** ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط٢(الرباط : مكتبة المعارف ، ١٤٠١هـ) .

١٦٩ **موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى** ، د. يوسف القرضاوي ، ط١ (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤١٥هـ) .

١٧٠ **معجم متن اللغة** ، أحمد رضا ، ط (بيروت : مكتبة الحياة) .

١٧١ **معجم مقاييس اللغة** ،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط (بيروت : دار الفكر) .

١٧٢ **المعجم الوسيط**، إبراهيم أنيس وآخرون ، ط٢ (مصر : دار المعارف ، ١٣٩٢هـ) .

١٧٣ **مناهج البحث وكتابتها** ، د. يوسف القاضي ، (الرياض : دار المريخ ، ١٣٩٩هـ) .

١٧٤ **المدخل إلى علم الدعوة** ، د. محمد أبو الفتح البيانوني ، ط١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥هـ) .

١٧٥ **المملكة العربية السعودية مسيرة دولة وسيرة رجال** ، غالب عوض العتيبي(بيروت : مكتبة المعارف ، ١٤١٩هـ) .

١٧٦ **المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه** ، عبد الله قاسم الوشلي ، ط١ (صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٤٠٨هـ) .

١٧٧ **المفردات في غريب القرآن** ،الراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، ط (بيروت : دار المعارف للطباعة) .

١٧٨ **الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية** ،المنهج القويم في الفكر والعمل

محاضرات المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز ، ١٩- ٢٣ ربيع الأول ، سنة ١٤٠٥هـ ، (الرياض : مطابع جامعة الإمام) .

١٧٩ **المعجم الصغير** ،أبو القاسم ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : محمد شكور أمرير ، ط١ (بيروت عمان : المكتب الإسلامي ، دار عمار ، ١٤٠٥هـ) .

١٨٠ **المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي** ،عبد الرحمن السعدي ، ط٢ (عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤١٢هـ) .

ن

١٨١ **نظام وسياسة التعليم في المملكة** ، أ.د. سليمان الحقيل ، ط٧ (الرياض: ١٤١٤هـ) .

١٨٢ **نصوص الدعوة في القرآن الكريم** ، د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، ط١ (الرياض : دار اشبيليا ، ١٤١٨هـ) .

١٨٣ **النظام الإداري في المملكة العربية السعودية**، يوسف إبراهيم السلوم ، ط٢ (الرياض : شركة الطباعة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـ) .

١٨٤ **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين** ، د. محمد رجب البيومي ، ط١ (دمشق : دار القلم ، ١٤٢٠هـ) .

هـ

١٨٥ **هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة** ،علي محفوظ ، ط (مصر : دار النصر للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ) .

و

١٨٦ **وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة** ،محمد الغلايني ، ط (جدة : دار المنارة) .

١٨٧ **الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز** ،خير الدين الزركلي ، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين ، ١٣٩١هـ) .

١٨٨ **وظيفة وسائل الإعلام في تنمية المجتمعات الإسلامية** ،إبراهيم مرزوق عبد الرحمن ط١ (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٤هـ).

المجـــلات

- مجلـــة البحوث الإسلامية ،العـدد الثالث ، (دور عالمي لرسالة عالمية ، الشيخ عبد الله بن منيع) .
- مجلة البحوث الإسلامية ،العدد الثامن عشر ، ١٤٠٧هـ ، (من أفذاذنا العلماء محمد بن إبراهيم ، الدكتور عبد المحسن التركي) .
- مجلـــة البحوث الإسلامية ،العـدد الـثاني والثلاثون ، محرم ، ١٤١١هـ (العلم وأخلاق أهله ، الشيخ عبد العزيز بن باز) .
- مجلـــة الـــبحوث الفقهية المعاصرة ،العـدد الأول ، رمضان ، ١٤٠٩هـ (فضل العلم وشرف أهله ، للشيخ عبد العزيز بن باز) .
- مجلة المنهل ،العـدد خمسمائة وخمسة وخمسون ، شوال ، ١٣٨٦هـ (كل شيء عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، للشيخ عبد العزيز بن باز) .
- مجلـــة الدعـــوة ،العدد مائة وإحدى وثلاثون (الكليات والمعاهد ثمرة جهاد الشيخ محمد بن إبراهيم ، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي) .
- مجلـــة الجامعـــة الإسلامية ،العدد الثاني ، شوال ، ١٣٨٩هـ ، (رئيس الجامعة الإسلامية الشيخ محمد بن إبراهيم ، الشيخ عبد المحسن العباد) .
- مجلة الدارة ،العددان الثالث والرابع ، السنة الرابعة والعشرون ، ١٤١٩هـ ، (محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، للدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ) .
- المجلة العربية ،العـدد مائتان وأربع ، محرم ١٤١٥هـ (من سوانح الذكريات ، الشيخ حمد الجاسر)
- المجلـــة العربية، العـدد مائة وثمان وعشرون ، رمضان ، ١٤٠٨هـ (ابن باز العالم الزاهد ، عبد الله العقيل) .
- مجلـــة جامعة الملك سعود ، ١٤١٤هـــ ، (مكتبة الرياض السعودية ، ماضيها وحاضرها ، سعد بن عبد الله الضبيعان) .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
- المقدمة	٥
-أهمية الموضوع	
-الدراسات السابقة	٧
-تساؤلات البحث	٩
-منهج البحث	٩
- خطة البحث	١١
الفصل التمهيدي الشيخ محمد بن إبراهيم عصره وترجمته	**١٣**
المبحث الأول : عصر الشيخ محمد بن إبراهيم	١٤
المطلب الأول : الحالة السياسية والدينية	١٤
المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية	١٨
المطلب الثالث : الحالة التعليمية	٢١
المبحث الثاني : ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم	٢٦
المطلب الأول : حياته الشخصية	٢٦
الفرع الأول : اسمه ونسبه	٢٦
الفرع الثاني : مولده ونشأته	٢٦
الفرع الثالث : أخلاقه	٢٨
الفرع الرابع : أعماله	٣٠
الفرع الخامس : مرضه ووفاته	٣١
الفرع السادس : ثناء العلماء عليه	٣١
المطلب الثاني : حياته العلمية	٣٤
الفرع الأول : بداية طلب العلم	٣٤

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
الفرع الثاني : شيوخه	٣٥
الفرع الثالث : اشتغاله بالتدريس	٣٧
الفرع الرابع : تلاميذه	٣٧
الفرع الخامس : مؤلفاته	٣٩
الفصل الأول : جهود الشيخ محمد بن إبراهيم في الدعوة إلى الله تعالى	٤١
المبحث الأول : جهوده في مجال التعليم	٤٣
المطلب الأول : فضل العلم الشرعي	٤٣
المطلب الثاني : جهوده في إقامة المؤسسات التعليمية	٥٠
المطلب الثالث : النصائح والتوجيهات العلمية للشيخ	٥٧
المبحث الثاني : جهوده في مجال القضاء	٦٢
المطلب الأول : الجانب النظري لجهود الشيخ في مجال القضاء	٦٢
الفرع الأول : وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية	٦٢
الفرع الثاني : التحذير من القوانين الوضعية	٦٥
الفرع الثالث : التأكيد على استقلال القضاء وحصانته	٦٩
الفرع الرابع : توجيه القضاة وإرشادهم	٧١
المطلب الثاني : الجانب العملي لجهود الشيخ في مجال القضاء	٧٣
الفرع الأول : توحيد رئاسة القضاء	٧٣
الفرع الثاني : إنشاء المعهد العالي للقضاء	٧٧
المبحث الثالث : جهوده في مجال الإفتاء	٨١
المطلب الأول : التعريف بالفتوى ومكانتها في مجال الدعوة	٨١
المطلب الثاني : رئاسة دار الإفتاء	٨٤
المطلب الثالث : منهج الشيخ في الإفتاء	٨٧
المطلب الرابع : تنوع جوانب الفتوى لدى الشيخ	٩٥
المبحث الرابع : جهود الشيخ في إعمار المساجد	٩٩

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
المطلب الأول :التعريف بالمسجد وأهمية إعماره	٩٩
المطلب الثاني :أنشطة الشيخ الدعوية من خلال المسجد	١٠٣
المطلب الثالث :إشراف الشيخ على تعيين الأئمة والمؤذنين	١١٠
المبحث الخامس : جهود الشيخ إنشاء المكتبات العامة	١١٤
المطلب الأول :بداية ظهور المكتبات في المملكة العربية السعودية	١١٤
المطلب الثاني :جهود الشيخ في تأسيس مكتبة الرياض السعودية	١١٥
المطلب الثالث :جهوده في طباعة الكتب النافعة وتوزيعها مجاناً	١١٨
المطلب الرابع :جهـوده في مراقبة ما يصدر من المكتبات ودور النشر	١٢١
المبحث السادس : جهود الشيخ في كتابة الرسائل والمؤلفات	١٢٦
المطلب الأول :جهود الشيخ في كتابة الرسائل	١٢٦
المطلب الثاني :جهود الشيخ في كتابة المؤلفات	١٣١
المبحث السابع : جهود الشيخ في مجال الإعلام	١٣٣
المطلـــب الأول :الـتعريف بالإعلام وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى	١٣٣
المطلـــب الـــثاني : جهـود الشـيخ في إنشـاء مؤسسـة الدعـوة الإسلامية الصحفية	١٣٧
المطلـــب الثالـــث :جهـوده في مـتابعة وسائل الإعلام ونقدها وتوجيهها	١٣٩
المبحث الثامن : جهود الشيخ في النصيحة لولاة الأمر	١٤٦
المطلب الأول :التعريف بالنصيحة وأهميتها	١٤٦
المطلب الثاني : مضامين نصيحة الشيخ لولاة الأمر	١٤٩

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
الفرع الأول : الجانب العقدي	١٥٠
الفرع الثاني : العبادات	١٥٣
الفرع الثالث : تحقيق مصالح المسلمين الدينية والدنيوية	١٥٤
الفرع الرابع : ضرورة الردع بالوازع السلطاني	١٥٧
المبحث التاسع : جهود الشيخ في الدعوة خارج المملكة	١٥٩
المطلب الأول : أهمية الدعوة خارج المملكة	١٥٩
المطلب الثاني : إنشاء رابطة العالم الإسلامي	١٦٢
المطلب الثالث : بعث الدعاة خارج المملكة	١٦٦
المطلب الرابع : بعث الرسائل والنصائح	١٦٨
الفصل الثاني: جهود الشيخ محمد بن إبراهيم في الاحتساب على الوجهاء والأعيان	١٧٣
المبحث الأول : جهوده في الاحتساب على الوجهاء والأعيان	١٧٥
المطلب الأول : تعريف الحسبة وعلاقتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٧٥
المطلب الثاني : نماذج من احتساب الشيخ على الوجهاء والأعيان	١٧٨
الفرع الأول : مراعاة الآداب الشرعية والأخلاقية	١٧٨
الفرع الثاني : منع ما يثير البلبلة والشقاق	١٨٢
الفرع الثالث : تطهير البلاد من أسباب الفساد والرذيلة	١٨٤
الفرع الرابع : أحكام وإرشادات عامة	١٨٧
المبحث الثاني : جهود الشيخ في الاحتساب على العامة	١٩١
المطلب الأول : خطورة عدم تغيير المنكرات والسكوت عليها	١٩٢
المطلب الثاني : الترغيب في الفضائل والتحذير من الرذائل	١٩٥
المطلب الثالث : التحذير من التشبه بالكفار	٢٠٠
المبحث الثالث : جهود الشيخ على أهل الأهواء	٢٠٥

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
المطلب الأول :رده على من نادى برفع القبور وبناء المساجد عليها	٢٠٧
المطلب الثاني : رده على من أباح الرقي والتمائم	٢١١
المطلب الثالث :رده على من أباح السفور والاختلاط	٢١٦
المطلب الرابع : رده على من أباح الاحتفالات بالموالد وذكريات الأيام	٢٢٣
المبحث الرابع : جهود الشيخ في تنظيم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٢٧
المطلب الأول :مضار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٢٧
المطلب الثاني :وضع الهيكل التنظيمي لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٣١
المطلب الثالث :الإشراف على رجال الهيئة ومتابعتهم وإرشادهم	٢٣٤
المبحث الخامس : جهود الشيخ في تشجيع المحتسبين وإعانتهم والدفاع عنهم	٢٤١
المطلب الأول : مكانة المحتسب في الإسلام	٢٤١
المطلب الثاني : مساندة المحتسبين عند المسئولين	٢٤٤
المطلب الثالث : إعزاز جانب المحتسبين وحمايتهم من أهل الشر والفساد	٢٤٧
الفصل الثالث: آثار جهود الشيخ محمد بن إبراهيم في الدعوة والاحتساب وأوجه الاستفادة منها	**٢٥١**
المبحث الأول : آثار جهود الشيخ في الدعوة	٢٥٣
المطلب الأول :إصلاح الأمة المرهون بإصلاح عقيدتها	٢٥٣
المطلب الثاني : البركة في التعليم	٢٦٠

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث :إحياء رسالة المسجد وجعله منبراً للدعوة	٢٦٨
المطلب الرابع : بروز جانب الإفتاء	٢٧١
المطلب الخامس : الصدع بالحق والشجاعة أمام الباطل	٢٧٧
المبحث الخامس : آثار جهود الشيخ في الاحتساب	٢٨٧
المطلب الأول :إقامة دواعي الحق وإسقاط دواعي الباطل	٢٨٣
المطلب الثاني :المحافظة على شخصية المجتمع السعودي خاصة	
والمجتمع الإسلامي عامة	٢٨٩
المطلب الثالث : حسم أسباب الفساد	٢٩٧
المطلب الرابع :إيقاظ الغافلين ببيان آثار المعاصي	٣٠٥
المبحث الثالث : أوجه الاستفادة من جهود الشيخ في الدعوة والاحتساب	٣١٤
المطلب الأول :الإيغال بالدعوة والاحتساب في حياة الناس	٣١٦
المطلب الثاني :التلاحم بين القيادتين السياسية والعلمية	٣٢١
المطلب الثالث : تأهيل الدعاة علمياً	٣٣٠
المطلب الرابع :الإكثار من مجالس الذكر والوعظ	٣٣٨
الخاتمة	٣٤٣
أولاً : النتائج	٣٤٣
ثانياً : التوصيات	٣٤٧
أولاً : فهرس المصادر والمراجع	٣٤٩
ثانيًا: فهرس الموضوعات	٣٦٧